1,5,

[redacted] C.2

مراد ، عبد الحكيم .

جبر القيمة .

JUN 14 A1528
DE 10 A1147
JAN 6

100
M97jA
c.2

JN 16 58
JAN 5 59
JAN 23 59

100
M97jA
C.2

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

جبر القيمة

.. ليس صحيحاً ان التاريخ قد تحول يوماً من نقطة .. فما كان التحول الا الظاهرة من تحت الجبر ، تراثياً .. لان عمد القيمة مستمر السلطان والتحقق في التاريخ .. كل التاريخ ..

المادية الشيوعية أو عدم الذات

خضوع اعمى لجهالة عمياء

هذه هي الحياة .. — في نظر الشيوعية — قتال استمرار ، لا سلام استقرار ، والبروليتاريا أولى الاحياء بالكفر بهذه العقيدة ..

ولست ادري ، بعد ، لماذا هذه النظريات ؟! أتشرع الحرب والنضال ..، والناس لم ينتظروا ليفعلوها سنة ولا شريعة ..

فليس يكفي البروليتاريا ان تكدح .. لان عليها ، من شريعة الشيوعية ، فوق الكدح ان تفعل بيدها ان تموت ..

Cat. H Mag. '53

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

المحامي اديب الحسني ، اليعربي

يقدم رسم صديقه

مؤدى الكتاب

الاستاذ عبد الحكيم سعيد مراد

ناظم الحركة اليعربية

الاهـــــــداء

رسم المهدى اليه

المرحوم الاستاذ سعيد مراد الغزي

استاذ المجلة واصول الفقه

والد المؤدي

أى أبى

إن حنيني اليك لا ينتهي ..

إني ، من أبده ، عرفت صاحب الأبـــد .. وعرفت كيف خلق الحنين .. وأودعه وأوحاه في الجسد .. فكرة ذات جدد أحد ..

.. وما صبرت عنك ، من بعد ، .. بعد ان أعياني الوجد .. وأنعبتني، أنت، أن أجد بالجد .. إلا لأني رحت في الاضطرار ، وفي إغلاق الحصار ، أعتمدك وأتئد واعتقد .. وأبصر ، في اعماقي ، كيف نتحد ..

– ثم اذا أنا انت .. أصالة ذات .. وكل صفات .. لا نقلا ولا تقليـداً ولا صناعة ذات وصفات ..

وبذلك أكون ان تكون .. فوجدتك من نقطة الفقد ، وحين البـــأس .. لحظة هي الظنون .. تهتف من عمق الوهد ، وغمر اليـــأس : انني رجعت منك بالمنون ..

ولكن ماذا عسى ان أصنع .. وانا ما ازال أهوي اليك .. آخرَ مني .. – – أنا منه – وكلا عني ، انا عنه .. – آخرَ ما تزال له ذات .. تحوم حولك وحولي ، ان تكون وان لا تكون .. فأن تعشعشتْ .. وإلا فلتظل انت الظنون .. وسر المنون .. وموعد موثقي مع الجنون .. انك ، ان لا تكن ، – فكيف أنا كنتُ .. ، وكيف بعدمك ، اكون ..

ماذا اصنع ، وما ازال اهوي اليك .. ، واحب .. فلا احب ، الا باسمك وعليك .. كأنك ولدي الذي فقدت .. – لا انك ، انا لك ، ولد .. – انت الذي فقد أن وجد .. – وانا اب ، بنفسي، اعيده .. ثم بوصية الخير منك اكرره واجيده .. ويمتد بي .. ويجد مني جديده .. وينطلق من قريبي بعيده ..

– وأروح انا خلوداً .. هو هو ارتغابه ، واعتداده وخلوده ..

لقد احببت ، بعدك ، لك ، البُعد .. لان الحب مدّ حبك الفرد .. ولانك ، عندي ، الزمان الذي يغذ ويمتد ..

لقد احببت .. وشد ما احببت .. ولكني كنت ارى ، كل مرة ، ومنتهى المبتدا من كل مرة .. اني بك احببت ..

– فانت الحب .. وانت الذي احب ويحب .. ومنك واليك وعليك الحب ..

وانت الذي بي – مني – استمر منه ، له ، كما يشاء ، احب .. ويستمر ان استمر ..

لقد فقدت فيك نفسي .. فوجدت فيك نفسك .. ثم وجدتها فيّ تمسك .. ثم فقدتها لي ولك .. ان تمسني او تمسك ..

لقد عاشني الفقدان .. وملأتني الحرمان .. وكان ما كان .. ثم منهما .. وفيهما ائتلف الوجدان .. ووجدت الامكان ..

– ولقد كان .. لأرى بك الحب والحق والخير والرضوان .. روحاً عن نفس .. ثم لأراها بك تتميز وتحس ..

ثم فقدتها جميعاً ان تموت .. ثم ردت الي جميعاً انك لا تموت .. من انها هي لا تنفد ولا تفوت ..

لقد عرفت اليك الطريق .. مع العرفان كيف حق فيك الحقيق ..

ثم شهدت طريقك الى الغيب .. وبقاءك في منعة الظن والريب .. فانت بقاء .. فلا بد انك كنت ، من قبل ، ما هو البقاء .. كما انت من بعد ، حكاية البقاء .. فلا بد اننا كل الطريق .. الى الواحد الحقيق ..

لقد وصلت .. بما يؤكد اني اصل .. في الخبر المتصل .. فنحن ، قط ، لم ننفصل ..

أكنتُ بيت قصيدك .. وكلمة توحيدك .. وكتاب «معرفتك» و«وجودك» !!

– وكأنك لم تكتف بالعمد ، في الحياة من الجهد والكد .. بل رحت تنشد

الحد ، من أبد المـــد .. فأسترجعت بالمجسد المجرد .. فأوحيت اليّ الحنين اليك المؤبد ..

وشئت ان أفقد وثني واجتماعي .. منك عليك .. ليظل الحنين يوقدني ويرمضني اليك .. انطلاقاً في « المدى » الممتد .. :

– خلف كل شيء .. بحنين مجهول .. في المعلوم .. الى الذات المعلوم المجهول .. التي هي لي انت .. ثم صارت العزلة والتأمل والصمت .. ثم الاتصال والبيان والتوصل .. ، ثم الخلاص والغياب والتحصل ..

...

ولكن من قال الى علاك ؟! ان ما أردت يتشخص انساناً سوي الانسان .. ، لقد قتلتني كما كنتُ .. وما دريتُ ، لماذا قتلتَ قتلتَ .. ثم أحييت أحييت ..

– وبعد ، فهل حييت كما انت أردت .. أم انكسرتُ وأقويت ؟!

ها انا لم اعد شيئاً آخر سواك .. ولكن دون فضل مني في شيء ، حتى المطاوعة التي لعلك اكتشفت فقويت .. وفيها زرعت ورويت ..

لقد خلق .. واعطاك .. فسويت ..

لئن كتبتُ كتابا .. لقد كتبتني ، من قبل ، كتابا .. كلمة كلمة .. وباباً بابا .. ولقد غرست وسقيت وأنميت .. ثم اعدت فنظرت ونقحت واغنيت ..

– وماظلت لي اخطاء .. فأليك تهدى الاخطاء .. فأنها مما لم تحكم تربيتك .. وتقهر قدرتك ، ويتمم عليّ من مدّك على الغد الحصار .. وعلى الهيض المطار .. فأنت إنسان ..

إن للناس ، من دوننـــا ، تُهدى القيمة .. ولنا ، انا وانت ، الخيبة والذلة – يلفهما الغفران – أن نعود .. وقد انقصنا ، معاً ، حق القيمة .. انها من الله تأدت .. لم نعلم كيف فينا ظهرت واشتدت .. انهـــا ان تبدت ، فعلى عينه ، بالمشيئات ، تكون الصناعات ..

اليك ، أبي ، —

والى اخواني اليعربيين مدى .. القيمين هدى .. السادة في العبودية .. الذين تحملوا ايْد القيمة .. وارتضوا المثال من « القيوم » —

— الذين قبلوا ان يقبضوا على الجمر .. في غمرة العصر .. ليستبقوا انفسهم في حق الجبر .. فيخسروا امر انفسهم .. ليغنموا من الامر ..

اقدم ما وضعت من اخطاء ..

إنها ، ابي ، من فعلي وتركك ..

• • •

اما ما تأدى على قلمي من الصواب .. فهو من الحق والصواب ، وهو يملكنا جميعاً .. وليس من ملكي ولا ملكك .. فكيف اهديه اهداء العبد ، عطاء من غنى السيد .. الا ان تتعلق بالعطاء المشيئة .. وهو ، منذ الله ، السخاء منه بالنسيئة ..

• • •

الى اخواني اسوق الرجاء .. ان يرحبوا ويحتفوا بالاخطاء فهي ما انا .. اما الصواب فسواي ..

لئن أحصيت الاخطاء .. لقد قلت .. وهان ان يبصروها وينقدوا ويعلموا .. او يقوموا ويقلموا .. حتى تنفد وتفنى البقية من الـ «انا» بنفاد الاخطاء .. وظاهرة الفناء والانقضاء ..

انهم إن فعلوا فقد نجوتُ .. فليست النجاة ، الا من كل ما هي الذات ..

وماذا لعمري هم يريدون لي ؟

وانت ، ابي ، أليس هذا هو ما انت تريد . وبأرادته كنت انت السعيد ..

المجلد الاول

كتاب المعرفة

أو

الرفع الأعلى لثنائية كسر المعرفة البشرية تحت جزر العرفان

« .. ولو عرف الحق ، لكنا
لا يمتلج فكر في ضمير احدنا الا لبته
الافكار .. ولا هبت نازعة او خالجة
في نفس الفرد منا ، الا تداعت اليها
النوازع والخوالج .. - فاجتمع الناس
كلا واحداً على صعيد واحد ... »

المؤدي ١٩٤٣

ان العرفان كبير من أوله .. لن
يزداد ذرة كبر ...

المؤدي

الديالكتيك*

يقول ستالن :

مأخذ الكلمة

« أخذت كلمة ديالكتيك من الكلمة اليونانية « ديالیغو » — Dialego ، ومعناها المحادثة والمجادلة . وكان الديالكتيك يعني، في عهد الاولين ، فن الوصول الى الحقيقة باكتشاف التناقضات التي يتضمنها استدلال الخصم ، وبالتغلب عليها .

المعتبر السابق

وكان بعض الفلاسفة الاولين يعتبرون ان اكتشاف تناقضات الفكر والمصادمة بين الآراء هما خير وسيلة لاكتشاف الحقيقة .

استعارة الكلمة

فهذا الاسلوب الديالكتيكي في التفكير ، الذي طبق فيما بعد على حوادث الطبيعة ، أصبح الطريقة الديالكتيكية لمعرفة الطبيعة ،

انقلابية الكلمة

ان حوادث الطبيعة ، بموجب هذه الطريقة ، هي متحركة متغيرة دائماً وابداً ، وتطور الطبيعة (١) هو نتيجة تطور تناقضات الطبيعة ، نتيجة الفعل المتبادل بين القوى المتضادة في الطبيعة . »

تنقسم هذه المقولة إلى اربعة مقاطع متفقة مع التنقيط من ستالن والتسمية منا .

---

* « قدمنا هذا النص ، بينما هو متأخر الورود ، ليعلم القارىء ما هو الديالكتيك وما هو أصله . وقد وقفنا على كلمة في العربية لا نرى خيراً منها ، نمسك عنها الان ، حتى لا يستهجنها القارىء ، وحتى يتفرغ لاستهجان غيرها ويستفتح به ، فاذا ما وصل اليها كانت مفاجأة . وكان له شأن آخر . » — مؤدي الكتاب —

(١) — لم نستعمل كلمة « التطور » لترجمة كلمة Evolution بل لترجمة كلمة Developpement التي تتضمن أيضاً معنى النمو والتوسع .

الاستاذ خالد بكداش — معرب « النظرية الفلسفية العامة لتطور الكون والمجتمع » لستالن

فصل الكلمة

سبق الكلمة

خير ما في الكلمة من أداء، وشر ما فيها من غباء صيغة المفاعلة « المحادثة والمجادلة » ، فاذا عرضت على قانون التراثي أمكن تزحزحها بين نقطتي التراثي ، حتى تصل إلى منطقة النور ، فأن حصّلتها في سطعه جاءك أروع المعرفة حتى الآن .

الكلمة ، ليست في مبدإها ، في هذه الصيغـــة ، فقد خطت بالمفاعلة خطوة تراءٍ ، تموّه بها أصلها الأصيل في معضلة المعرفة منذ « عهد الأولين » ..

وليس يعني هذا أن الكلمة ، إذ هي كلمة ، كانت واحدةً فصارت اخرى .. ، ولكنه يعني أن ما كان ينبغي ان يكون الكلمة ، لم يُعرف ولم يكتشف ، فقد كان فعلاً لا قولا .. فعلاً لم يُلحظ .. وظل بلا تعبير .. أي ظل بلا كلمة تطلق عليه ..

ـ ولكنه انتقل الى فعل آخر، وهذا الفعل الآخر مثنى فعل.. لأنه انقسام فعل .. ومن هذه التثنية أمكن ان يُلحظ الفعل .. وان يُشهد .. وان يبدو ويتراءى ..

ومنذ التراثي .. جاءت الكلمة فلبسها وعبّرت عنه ، فصار له اسم أطلق على انقسامه لا على وحدته .. وسُمّي به فرعاه لا أصله ومسماه ..

إن التفاعل والمفاعلة حدوث بعديّ .. فأن استطعنا أن نرجع بهما الى قبلية وسبق ، تحصل عندنا الاصل ، ونجونا من تمويـــه الخطوة التي خطاها الفعل في التراثي ..

المحادثة والمجادلة

قبل أن تنشأ المحادثة والمجادلة، كان الحبر .. وقبل ان يكون الحبر سبقته أجيال من النشوء ..

لسنا بسبيل أن نغذ في القدم.. ، غير اننا نرانا أصبحنا في خير عميم منذ تبادلنا الحديث .. فلم نكن لنصل الى تبادل الحديث الا نشأة تبادل ، تحت اضطرار تبادل ، وانسياق الى التبادل ..

كل ما كان .. لم نكن نعيه .. الا بعد ان ندخل فيه.. ، ولم نكن نفعل الا مجبرين مضطرين ، في سياق لا ندري ، ثم نأخذ ندريه .. ، بعد ان اجتزنا مرحلة في طرقه ونواحيه .

وقبل ان يتأسس تبادل الاحاديث ويتوطد ويثبت ، كنا نفعل مفاعلة اخرى .. كنا نتشاجر ..

والمحادثة نفسها ، ظلت زمناً لا تنفرط الا وهي مشاجرة .. ، والادلة ما تزال قائمة موجودة تعبر عنها كل الابتدائيات التي تعايش ، وفي هذا العصر ، التقدميات ..

ان المحادثة تتضمن ان المتحادثين ندان .. ولكن هذا هو الظاهر .. ، وانه ، بلا ريب ، تَضَمُّن أتى عليه التمويه اذ خطا خطوة فعل في التراثي ..

وبالنسبة لما نحن فيه ، فأن معنى التكافؤ بين المتحادثين ، ليس بشيء المعرفة وليس بتقدم بها .. فليس ثمة منه خطوة في طريق « الوصول الى الحقيقة » فهو التوقف ..

واذن ، فلا بد ان المتحادثين ليسا ندين ، او هما ، على الاقل ،

في الكفاءة انسانا كفاءتين.. ليست الواحدة منهما عين التي للآخر، فبين الرجلين من فرق ما بينهما بَيْن ..

وخلال المحادثة ، اذن ، ينتصب ذو الكفاءة الواحدة ، في حدود كفاءته ، معلماً لذي الكفاءة الاخرى في غير منطقة كفاءته، فيتبادلان ، لا المحادثة والمجادلة ، وانما يتبادلان التلمذة والتعليم..

وليس في هذا أي معنى للمفاعلة ، فها هو قد اسفر عن خطوة الفعل من نموه التتلمذ والتعليم في التراثي ..

تسآل سقراط

لقد ادرك سقراط منطقة بعيدة من هذا الادراك وامتد فيها..عفواً او وعياً..فكان منه ان خطا بالمفاعلة خطوة في الرجعى من التسمية الى الفعل..فكان ارتداده الى ما وراء التراثي ابداعية رائعة حقاً..

لم يقنن سقراط « التراثي » كما عرفنا نحو عموميته وقانونيته .. ولكنه ، بلا ريب، كان مأخوذاً به، مسخّراً نحته في قيادة المعرفة دائماً خطوة ارتداد الى الوراء .ليعلم ولتعلّم شيئاً عن السبق..

طريقة سقراطية تعليمية

وقد كان من سقراط ان جعل من المحادثة والمجادلة ، من الديالغو ، « طريقة تعليمية » فاستنبت واعية عامدة مستهدفة.. وقد استهدفت « التعليم » الحق .. تحت ستار ما أشف وأرق .. من المحادثة والمجادلة .. ، فكان سقراط يسوقك ويحصرك ، في التدرج من اسئلته ، في سياق ، الى مآل .. ويجعلك تعلّم نفسك بواسطته ويوفر عليك ، بمكر جميل ، خيّر المشاعر الابتدائية من الاذعان والانصياع والانقهار .. اذ يحوّلها الك ، بطريقته ، لتؤديها انت للحق كما هو الحق .. لا اليه ..

لقد أسقط نفسه سقراط من الحساب .. فصح معه الرصيد من الحساب . **اسقط نفسك يصح معك كل علم وكل حساب ..**

لقد مضى سقراط مختاراً في جبر السياق .. الى حق الغاية

والمصير والمآل ..

التداعي

كانت المحادثة قبل سقراط عفوية الانسياق لا تستهدف الا الوصولية الدنيا من موقوتات الرغبات كالتسلي والافضاء او التحدي والاستقواء .. أو هي لا تستهدف ، وانما هي الفاعلة فوق المتفاعلين دونها تعلمهم وتدربهم وتعدهم للاهلية البشرية كما هو المقصود من الابداع بالاهلية البشرية ان تصبح وتصير ..

لقد كان التداعي يسوقها ، ذكراً بذكر ، وخبراً بخبر، وقصة بقصة .. ، « فالحديث ذو شجون .. والشيء بالشيء يذكر .. »

التجانس قانون

وهذا هو التداعي في آليته .. ، تداعي المتجانسات والمتشابهات .. بالايقاظ والاحياء .. ، مسألة عمد الخالق في الخليقة ، وما كان أشد حساسية الخلية أو العضوية والاعصاب في النبات والحيوان والانسان، ناهيك بكيمياء المادة ، وآلية التجانس بينها في تركيب الشبيئة من الاشياء ..

لقد ركّب الانسان ، كما ركب غير الانسان ، جناساً – مجانسة تركيب – مع النفس والغير ومع الطبيعة والكون..

– ان الطبيعة في الداخل الانساني ، من قبل ، – اذ هو حيوان – ومن بعد ،

– وان الطبيعة في الخارج من الانسان ،

تؤثر في الانسان .. وجناساً مع الانسان . فالتأثير جناس وان التأثير من الطبيعة احداث في الانسان وحصول عليه..

وان الاحداث ذو اثرين ، هما تحت الترائي اثنان ، وهما وحدة فوق الترائي، آلت بالترائي الى انقسام :

١ – واحد يدعو الاستجابة .. أي هي جوابه .. ، وهذا من الايجاب .. ، وهي هي الانفعال .. (التقبل والانسجام)

٢ – والثاني يدعو النفرة ، في الآن ، أي الرفض .. وهو الاحتفاظ بما قبل الاثر .. وهذا هو السلب .. (تحت هـذا البحث بحث كبير متعلق بالانفعال واختزان الانفعال ومواليد الانفعال .)

هذا من طلائع المعرفة .. وأوليات التعليم ، الكائنة في تقدير التكوين .. وفي مشروع الخلق ..

ان الانسان مختلف ، في الطروثية عليه ، فالتأثرات ، والاستجابات والسلبيات مختلفة ، والتقبل مختلف ، والتعبير عن كل ذلك ، من بعد ، مختلف جداً .. في مدى ما هو الانسان في سياق الوجوه ..

ومن هنا احرز الانسان شتى معرفات .. (هي ، في الاصل من التقدير ، وعند المعطي جميع معرفة ووحدة عرفان) سمحت له ان يعلّم ويتعلم ..

جناس المعرفة وتداعي التعلم والتعليم ..

– واذن ، سمحت له ان يفاعل .. تحت التراثي .. فيتحادث ويتجادل .. ، خطوة خطاها من الفعل والانفعال .. الى التفاعل .. خطوة تعبر عن انقسام .. لان المتفاعلين ليسا المتحادثين .. وانما الفكرة من الواحد ، التي لا يعرفها الآخر ، هي المؤثرة في الآخر .. والفكرة في الثاني التي لا يعرفها الاول هي المؤثرة في الاول .. ان وُجدت الواحدة عند المتجهة اليه اخرى مجانسة .. يدعوها منها التقبل الى انسجام ، والا فهي المرفوضة ، وهي التي تدعو الى نفرة المتقارفين او الى الاصرار والاصطدام .

مصادرة التداعي وتسميته بالديالكتيك

– فالتفاعل ، هنا ، حادث بعد انقسام الشخصية .. انقساماً هو الثنائية ومنها التعدد والكثرة .. ، والتفاعل ، اذن ، حادث مع اجزاء الشخصية لا مع كل الشخصية .. وهو حادث التداعي .

لقد احتفظنا ، اذن ، حتى الان بفكرة التعليمية سواء من الطبيعة او من نشوئية الانسان .. فالتعليم .. ولا شيء غير التعلم ..

انه من احتقاب الفكرة المقيمة الناشئة عن استمرار الرفض ـ اي الاصرار ـ ، بعد الحاح ما يدعو النفرة .. ومن تذكر هذه الحال ، ومن احيائها .. كانت في الانسان سلبيات .. ولكنها سلبيات حية في فكر الانسان .. فهي معرفة كريهة تقض المضجع وتقيم في معسكر .. وهذه السلبيات عند الواحد ، قد لا تكون سلبيات عند الآخر .. ولعلها ايجابيات .. او حياد ، او صفر علاقات .. او صفر مجانسات ..

من هذه الحال ، راحت المحادثة ليست تعليمية ، ليست تبادل معلومات ومعرفات .. بل تمسك كل ، بالحاصل في لدنه من المعلومات ، ايجاباورفض كل الحاصل في اللدنية الاخرى منها سلباً ، فهي ، اي المحادثة ، اصبحت تنابذاً ، في متقسمها التالي ، تنابذ جهالات .. بالاصرار على رفض المعرفات ..

التناقض

لقد اخذ الاصرار اريكة .. وتربع .. ونبع منه التحدي وتجمع .. فداخل المعرفة البشرية وامتدفيها ، وتنفس نفس الشجار القديم .. وما هو الا رفض التعليم .. وقصر التعلم ، وما هو الا تعبير قصر الذات العارفة عن الانغلاق والاكتفاء ، لتؤلف النقض للغير لا التناقض مع الغير .

« فالديالكتيك كان يعني ، في عهد الاولين ، فن الوصول الى الحقيقة باكتشاف التناقضات التي يتضمنها استدلال الخصم ، وبالتغلب عليها . »

حادثة فيلسوف وفيلسوفة

طرح فيلسوف يوناني فيلسوفة يونانية على الثرى اذ حجته .. انه لم يقنع بالحجة .. وقد كانت مقنعة !!

لعله كان يريد التغلب لا الوصول الى الحقيقة .. ولعلها هي التي ارادت التغلب .. لا الوصول الى الحقيقة ..

ان التغلب هذا ، يتضمن شتى المعاني ..

لعل الفيلسوف كان يريد ان يقرر رأيه .. او فهمه .. انه معرفته .. ، او يفرضه فرضاً لانه ، عنده ، الرأي .. والمعرفة .. وانه ليبدو له – يتراءى اليه – ان رأيه لا يسمح لرأي غيره ولا يستوي معه او ينسجم ..

– فليست المسألة مسألة منطق ولا مسألة حجة .. (ترقب معضلة المنطق في كتابنا الثاني) ، انها مسألة التعليم والتعلم .. اورفض التعليم والتعلم ..

اما الفيلسوفة المطروحة ، فظلت ، وهي على الثرى ، منطرحة لعلها تظن او تريد ان تظن انها ما زالت في المناظرة .. ، اذ الطرح جزء منها .. فسألت الفيلسوف من انطراحها ، وفي قول انها نهضت ثم سألت –:

– عن اي شيء برهنت بعملك هذا ؟

يظن بعض الادباء حتى هذا اليوم ، ان سؤال الفيلسوفة فيه الضمن من الشتيمة والسباب .. كأن تكون قد ارادت ان تقول له: انك عبرت عن انك وحش او ابتداء حيوان .. لا فيلسوف ، ولا انسان ..

إنه ان عبر .. فهو الذي قد عبر .. وقد يرد هذا .. وإلا فقد عبرت هي عن شيء وعبر هو عن سواه ..

– ولكن الفيلسوفة .. هل كانت بسبيل هذا ؟

إنها ، في احتدام النقاش ، في المحادثة والمجادلة ، وبعد التغلب وتحت الاستمرار ، راحت ، في رأينا ، الى أبعد من الحال .. وقفزت الى ما وراء الاجيال ..

– ولعلها ظنت أن طرحها على الثرى انما هو حجة من الحجة عند الانسان .. فهو ، اذن ، لعله من الفيلسوف حجة او سياق برهان ..

هل اراد ان يقول لها ان الغلبة للقوة ؟ هل اراد ان يقول لها ، قولَ فعلٍ ، انها عاجزة او مكابرة لا تريد ان تفهم وتعرف وتتعلم .. وان المنطق صيغة رفض والحجة صيغة سلب .. فلا جزاء عليهما الا الطرح والضرب ..

– وهل ساق فعلته برهاناً أم جزاءً على التحذلق أم تداعياً بين تغلب وتغلب ؟.. هل كانت حجتها في جوّ من المنطق ينكر الواقع ويدحض المشاعر ؟ وهل هي لم تفطن الى هذا المنطق منه أو سواه .. فاستحقت ان تنزل هذه المنزلة من علاه ؟ وهل كان هو وراء الافق ، يعبر ، بتحريكه شيئية ما ، دون الافق ، عن انه يريد ، او عن انه هكذا يفهم .. فالحجة ليست محواً للواقع مما يشعر او يريد .. ولا هي المحو ، للرفض مما لا تفهم ولا تريد .. وما هي الا الاصرار ، وهي في اتجاه الغير تكذيب وعدم اعتبار ..

لسنا ندري ، على التحقيق ، ما كانت الستراتيجية والأفقية بين الفيلسوفين ولكنا ، وعلى التحقيق ، ندري ، كل حين ، ان المسألة ليست مسألة محادثة ومجادلة .. وحجة .. ومنطق ..

ان ثمة شيئاً وراء كل ذلك ..

الحجة قاصرة

ليست تلزمني القناعة .. الا ان أصير – قبولاً مني – الى اقتناع .. فليست القضية ان يتحد الناس جميعاً ويتفقوا على ان الحجة لزمتني ، في مفهومهم أو معقولهم بالاجماع .. ،

العفو والبرهان

ان عفو العرفان ، عند امرىء قد تلقى العرفان ولا يدرى ، هو ، كيف تلقاه ، امر لا يتعلق منه بالبرهان .. ، فالبرهان على ما كان مسألة تعقيب ، وقضية تحصيل من الحاصل .. فهو التأكيد والتعليم لا البرهان .. والبرهان ، منك في اتجاه الغير ، على ما لم يكن ، عندك ، مسألة جحود وانكار لعندية الغير .. لا يرد عليها البرهان ، وكيف يرد ضد ما هو الحدثان !!

فالمسألة في البدء مسألة بيان .. يجلو حال الانسان او يتعرض لانخداع الغير ، وكلاهما تعليم ..

ان عفو العرفان ، ـ بما لم يصبح ، عندك ، بعد ، ويطلل على الامكان ، ـ هو غيب العرفان .. لا سبيل لك عليه ، اذ هو عندي عرفان وامكان ، من دفع او حجة او برهـــان .. انه الحدثان .. ولو كان الوهم او الانخداع .. فما لك علي وعليه الا البيان ..

ان السبيل اليه ان تسمح له ان يصبح ويطل ويمكن ويشهد ويُعرف .. انه اليك مني ، بالتعليم ، هو هو العرفان .. والا فالبيان منك يجلو لي انه الوهم او خفي البهتان .

انه التعليم الذي يرفض الا ان يهبط عليك ـ او عليّ ـ ويتنزل ويصر .. حتى يثبت .. ويدخل تحصيلاً فيك من الحاصل عندي .. كوناً ما كان ..

ـ فان اخذته قاعداً فهو الاحسان .. او تركتني فلك شان .. ، وإلا طرحتك على حضيض الثرى ، انثى كنتَ او كنت إجماع الذكران ..

التحدي

واذن ، ومنذ نسيت التعليمية ، بالتراثي .. اصبحت المحادثة والمجادلة ، في جملة ما اصبحت وما صارت اليه ـ اللهم الا بين افذاذ العلماء ـ تحدياً .. اى اسلوباً سلبياً لتدمير منطق الخصم او الغير .. لا لبنيان منطق الذات .. ليرى ويُعلم .. بالتعليم ..

التناقض والديالكتيك

ان هذا ينشىء الخطأ والضياع ، ما دام لا يدخله الاقناع والاقتناع ..

انه ينشىء « التناقض » والاصرار على التناقض ، في الفكر لا في الواقع ، لانه رفض التعليم .. وسلب التعليم .. والرفض هو المناقض للتقبل .. والاصرار على المناقضة تأكيد المفاعلة .. وهي احتراب لا افتراب .. واذن،هو استمرار الديالكتيك .. لا قطع دابر الديالكتيك ..

وانه قد ينشيء تعيين الخطأ والتناقض ، ولكن عند اللدنية ، ومن قِبل لدنية اخرى أو من قبل جزء ذات اللدنية بالفعل من التعليم .. وبالتقبل من التعلّم لا من المفاعلة ..

— فـ « الديالكتيك كان يعني ، في عهد الاولين ، فن الوصول الى الحقيقة باكتشاف التناقضات التي يتضمنها استدلال الخصم ، وبالتغلب عليها . »

وحي الثبات نشدان .. واقتراح

تختلف ، إذن ، مفاهيم الناس طولا وعرضاً وعمقاً ، وتتناقض ، لا المفاهيم،ولكن يتناقض الرفض من جهة مع المفهوم عند اخرى أو يتفاوت المفهومان طولا أو عرضاً أو عمقاً .. فالناس ، اذن، بحاجة الى ثبات او الى مقياس ..

إن الناس في البدء يتعلمون من احساسهم وشعورهم ، من « فصل » حياتهم في « كتاب» الوجود ثم يزدادون .. ولكنهم ما اكثر ما ينخدعون تحت الترائي !

وهم لا يملكون شيئاً يضمن القطعية ، ولا يعرفون عرفاناً مؤكداً انهم يعرفون ، او انهم يجهلون ويُجهلون .. فعلى اي شيء وعلى اي عرفان يعرضون المفاهيم وعليه يقيسون ؟

لا بد من الخطو الى الوراء .. الى الفعل .. قبل المفاعلة ..

واذ كانوا في سور ، من اجتماعيتهم ومن بيئتهم الطبيعية ، فهم لا بد متعارفون ثم هم ، ولا مناص ، متقارفون ومتعاملون ، ثم هم ، اما انهم يتجاذبون اطراف الاحاديث لغرض او على غير غرض .. فاذا هم مختلفون ، ثم يتعارضون ويتنافسون .. على الحق او على الغرض .. فتكثر المواليد وتتشعب السبل والتغاضين والتجاعيد ..

ومن هنا يصعب الحصر .. فلنضيّق الطريق ولنترك سبل الكثرة من أسباب التناقض وأغراض التناقض ولنرجع الى وحدة السبيل قبل التشعب .. فلن تخرج ، كلها ، في القانونية من السبق والحصول ، عن الواحدية .

التطبيق

لكي تقنعني ان أصحبك في سفر وأشركك في تجارة .. تأخذ تحدثني عن جلدك وصبرك واحترازك ، وتعدد لي مطارح رأس مالك ، وتذكر لي أمانتك واقتدارك ، وتمد أمام عيني أفق التسامع بك وتوقع قيمة توقيعك .. وتطنب عن حسن تصرفك ..

— فترتاح الى حديثك ، لا اليك ، ذات نفسي ، وأوشك أنقل ارتياحي ، الى هذه الصفات ، اليك على انك بها تتصف .. وأكاد أضعك في يقين ما تقول .. برغم ان الخبر خبرك والانشاء إنشاؤك .. وما انا غبي عن هذا ..

— ثم أهش اليك وانبسط ولعلي ، على فوح هذا الذكر ، نحبو اليك مني البركة ، ويلتمسك مني التطلع ، وازيد عنك في امرك .. وتحدق بي النية ان لا أدعك إلا صاحباً وشريكاً ثم من بدري .. فلعلي لن أدعك الا وريثاً او زوجا لوريثة او ابالابن وريثة ..

وإنك لتلحظ هشي وبشي واقبالي .. وتنسجم هذه المعاني في نفسك مع احساسك بتلبيتي واعتزامي ..

— ل —

– فتُحدق بك المسرة تأخذك من اقطارك لترحّب منك بالمد من اقطارك .. والانبساط والتطلق من أشعة افكارك .. فتخرجك مما كنت فيه من حالك.. وتزج بك في مدى مقالك ..

ويمد الحديث مده فينطلق عفوك فيه وتسير سيرتك سجية منك لا تعيه .. ، فاعلم منك ، وعلمك على لسانك ، انك ما اكثر ما تسودّ الدنيا في عينيك ، وتضيق الآفـــاق بين جنبيك ، وانت تختزل الوجود في نقطة لا تسعك، فتخرج عن الوجود بشعور منك لا خالجة منه تردك أو تمنعك ، او تترك فيك ذكراً عن ماض ، أو افتراحاً عن مستقبل ايماض.. وتشفي على الانتحار فلا ينقذك منه الا التوهم بانك أنجزته في لجة ليل الأسى أو لدن غيابة في معترك النهار..

التناقض – واعلم منك انك جواد وهاب بلا تقدير وبلا حساب .. وان مسكنك محجوز رهناً بنفقة زوجك الآن بعد الآن .

ها انا اكتشف ان الصفات التي عددت وزعمت وأدعيت، لم تعرفك .. فأغرب بك ان عرفتها وعددت وزعمت وأدعيت ..

– فالجلد والصبر صفتان لا يتفق معهما يأس أو اعتزام انتحار.. والاحتراز مزيج صفات لا ينزلق منهـــا العطاء بغير الاستحقاق والميزان ولا ينسجم معها الوقوع في حال ارتهان ..

ثم انك لا تملك رأسمال من المنقول ، لانك لو ملكته في أي مطرح من مطارحه لما حجز المسكن.. وانت لست بالامين الامين.. لانك لو كنته او كان هو منك الرثاء من التاجر لكانت زوجك – مهما بلغت الخصومة – اكثر كل احد تعويلاً على امانتك او رثائك وثقة بك او بافترائك ..

وانت ، الى مثالبك ، بالغ الضعف الذي لا يطرف فيه اقتدار لانك لم تقصدني الا وقد نفدت منك الحيلة وقر منك القرار ..

ثم انك في أفق التسامع بك لم تسمع انت ذكراً ولا تأمة ، فكيف بالتسامع والاقطار .. أما قيمة توقيعك فيتحدث عنها بالصمت فرد واحد هو ، حال الحبس والحجز بالوكالة عن أسيره ، العقار ..

أما حسن التصرف بالفعل، فدعه ، بعد الذي حل، من سياستك الزوج والاهل ، الى هذا التصرف في القول .. فانت قد لعب بك امامي جزء منك هو لسانك .. فلم تحر ان تمسكه .. فضلاً عن ان تصرف انطلاقه .. انك ريشة في مهب الريح .. وانا لا رغبة لي في سفر او تجارة .. ها انا منهما ومنك استريح ..

التوفيق هذا التناقض لا مفر من ان يوحي الي سلوكي .. والا ان توفق .. فلعلك تقول : انك صابرت امرأتك المعتوهة سنين طويلة رحمة بها منك ، وانك اضطررت لذلك ، ان تنقل مالك من دارك لانها كانت لا تحفظه لك .. وانك ارسلتها اخيراً الى ذويها مع نفقة سنة سخية وكان لها اخ عاطل فاتخذها ذريعة وانكر المقبوض ، فآليت ان لا تدفع الا الى صندوق الدولة وبعد دعوى تلاحق فيها الى مستقرها الاخير ، وتستحلف فيها زوجك ، ليتسامع الناس بكل امرك ، فلا يخدعون من خصومك بطلب يستقر عليك ديناً تضطر على ادائه .. وها انت ، بما فعلت ، قطعت دابر الشقاء ، واحكمت الحال ، بعد ان صبرت زماناً قطعته من عمرك احتساباً لله ان ابتلاك .. ولا تود له دفعاً كدفع الناس البلاء ..

فان وفقت الى هنا .. ، هذا التوفيق ، وفقت عنك ، أنا ، بين البقية من المتناقضات ..

هل كان اكتشاف التناقض وصولا الى الحقيقة؟ الى جدة من الحقيقة ؟ أم وصولا الى اكتشاف كذب الخصم او انخداعه ، لا الجدة من الحقيقة، من ناحية ، او الصدق في الاخبار من الناحية الاخرى ؟ وهل الوصول الى الحقيقة ، في طريق

الوصول ، يعني وجود التناقضات ، ثم اكتشافها ؟

لو بقي التناقض لبقيت معرفة واحدة وكان الشيء الآخر انخداعاً لا معرفة .. او معرفة عند الواحد .. يكذبها الآخر ..

فالتناقض على كل حال ، ليس تناقض معرفة .. بل هو تناقض معرفة مع جهالة .. او صدق مع كذب ..

ليس في المعرفة تناقض .. من الفعل (التعريف والعرفان) وانما التناقض بين التعريف وبين الادعاء الكاذب مع المعرفة انه الكذب .. ، او بين التعريف وبين الجهالة .. ويقع هذا ، في الذات الواحـــدة ، بين المرء ونفسه .. او بين المرء وغيره ..

ليست الحقيقة ، اذن ، شرارة .. تنطلق من احتكاك اثنين يتحادثـــان ويتجادلان .. ، وليست الحقيقة ، اذن ، باكتشاف التناقضات .. ولكن الوصول الى الحقيقة يكون بالتعليم وبالتعلم .

ان التوفيق هو التعبير عن سبق عدم التناقض .. هو نفي ظن التناقض ،

ـ فأن لم يقع التوفيق فثمة جهالة او كذب .. وبقاء التناقض مسألة من مسائل عدم التقرر .. عدم البت .. مسألة بقاء الظن .. لا ثبوت الظن حتماً ..

وبقاء التناقض مسألة عندية .. تحت التراثي .. اي ، بقاء ما هو التناقض بمفهوم منك وتقبل .. وعدم قدرة على الاقتناع .. ، او هو ، عند خصمك ، جهالة ـ لذاته ـ ترفض ان تقبل منك الفكرة بانه مخطىء او دجال ..

إن بقاء التناقض مسألة من مسائل الجهالة لا المعرفة .. فهي ضمن البقاء السابق بحاجة الى تعليمية .. تزيل التناقض اي تزيل ظن التناقض .. وتعيـــد حلقات السلسلة المفقودة او تسلسل الخطى ..

على ان التناقض ، إن يفعل ، فانه ينفي مقولة الخصم .. ولكنـــه لا ينشىء مقولة الذات ..

ان الحقيقة لا تجيء ولا تكتشف عن طريق المحادثة والمجادلة.. وليست الطريقة فناً .. وانما هي – في الاصل – وقبل التراثي – تبادل المعلومات من اجل سقوط المقولات (مقولات الانخداع) وبقاء النشدان وانتظار الجديد من العرفان .. واذن فالمسألة تعليمية لا تحقيقية واذ هي بالغاية تحقيقية في الطريق ، في التقدم ..

فاذا كانت القضية قضية استمرار مجادلة .. واستمرار اكتشاف .. فهو شبيه بما يحصل في المحادثة والمجادلة .. عدم انتهاء واستمرار اكتشاف تناقض .. (نفي السيرة البشرية) ولكن لا بد من ثبات ولا بد من معرفة تثبت.. لقد كنا نجهل..، فصرنا – بهذه التعلمية – نعلم ..

إن المسألة بحالها ، اذن ، كما أرادها الديالكتيك في عهد الأولين .. من حيث ارتجال المحادثة .. لا من حيث ما يجري وراء المحادثة .. أي قبلها وبعدهـــا .. وقبل استئنافها مرة اخرى .. مع المحادث ومع غيره .. من تفكير وشحذ ذهن وقريحة ..

وإذ تبين ان مسألة المعرفة والاكتشاف لا انتهاء لها ..

فقد اعتبر الديالكتيك طريقة .. ولكنها طريقة منتجة للحقائق ..

اما وان كل ما يبدو انه حقيقة يعود فيظهر نقصه .. اما وان الطبيعة نفسها هي المتغيرة .. فأذن فلنقلب المسألة من الفكر والمعرفة الى الطبيعة .. ان ديالكتيك الطبيعة وتغيّرها ، اذن ، هو السبب في ديالكتيك الفكر .. وهكذا تمت انقلابية الكلمة .. وانقلابية المعرفة .. وانقلابية الوجود .. وبدا كل شيء مقيتاً بغيضاً .. على الفهم المادي ..

الماركسيـــــة

* المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية

يقول ستالن :-

المادية الديالكتيكية هي النظرية العامة للحزب الماركسي اللينيني . وقد سميت بالمادية الديالكتيكية لأن اسلوبها في النظر الى حوادث الطبيعة ، او طريقتها في البحث والمعرفة هي ديالكتيكية (١) ، ولأن تعليلها حوادث الطبيعة ، وتصورها لهذه الحوادث ، اي نظريتها هي مادية .

اما المادية التاريخية فتوسع نطاق مبادىء المادية الديالكتيكية حتى تشمل دراسة الحياة الاجتماعية ، وتطبق هذه المبادىء على حوادث الحياة الاجتماعية ، اي على درس المجتمع ، وعلى درس تاريخ المجتمع .

١ - المادية الديالكتيكية ، سميت كذلك

أ - لأن اسلوبهـــا في النظر إلى حوادث الطبيعة ، اوطريقتها في البحث والمعرفة هي ديالكتيكية .

ب - ولأن تعليلها حوادث الطبيعة وتصورها لهذه الحوادث ، اي نظريتها هي مادية .

٢ - المادية التاريخية :

---

* - انظر المقدمة فلا بد لك منها

(١) سيأتي تحديد معنى كلمة «ديالكتيك» بعد قليل في سياق البحث . ويترجمها بعضهم بكلمة «جدلية» لكن رأينا ان نحتفظ بلفظها الاصلي لكثرة تداولها في جميع لغات العالم ، ولأن كلمة « جدلية » لا تؤدي المعنى المقصود اداء تاماً . (المعرب لكتاب ستالن - الاستاذ خالد بكداش -)

لقد قدمنا التحديد وعقدنا حوله مقدمة الكتاب .

أ – توسع نطاق مبادىء المادية الديالكتيكية – حتى تشمل دراسة الحياة الاجتماعية

ب – وتطبق هـــذه المبادىء على حوادث الحياة الاجتماعية ، أي على درس المجتمع وعلى درس تاريخ المجتمع

...

١) – إننا نخاف أن نقع في ما وقع فيه الماديون وأكثر الميتافيزيين .. نخاف العجز مصحوباً بالادعاء ، ونخاف مضاعفاتهما من التراثي (١) الذي يجر إلى فرض الفكر فرضاً على أنه معرفة حين هو قصر أو عجز او انخداع .. وهو ما ينتهي بالغشم والاستبداد ، أو الضلال والفوضى .

ولذلك فلسنا نرى أن نمضي بالقارىء معربين ، منذ البدء ، عن النتائج نسوقها تعاريف وتعاميم ملزمة قبل أن تلزم عنده وقبل أن يصبح هو قادراً ، من بعد ، من نفسه ، على وضعها وضعاً ، من لدنيته الحاصلة ، أو قبولها قبولا لا يطرف به الشك ..

...

٢) – نحن الآن أمام أعقد فكرية في التاريخ كله .. فالتاريخ كله ، والمعرفة كلها ، والوجوه كله ، مواضيع هذه الفكرية ، بما احتوت هذه المواضيع من خطأ وصواب ..

وهي ، اي الفكرية ، من التعقيد بحيث تقترح القبول والتسليم ، أو الرفض والمعاداة أو المعجز من الصبر على المعاناة ..

– وكل واحد من المواقف الثلاثة نسبي غير أخير ولانهائي .. ويظـــل تحت التراثي (٢) .. ولا يتخـذه متخـذه تحت الوضوح والاقتناع الأكيد ..

ولذلك كان من الأعجاز أن نلزم أي واحد من المواقف الثلاثة ، بدون التراثي .. لان تمام العرفان ، ليس من حظ الانسان ..

---

(١) و (٢) – انظر التراثي في كل من المقدمة وبحثي التراثي وقانون التراثي وكل بحوث التسمية.

وتكاد ، إذن ، تحت التراثي ، تتشابه المواقف وتختلط ، بفروق ما بينها ، هي الابعاد والاعماق والارتفاعات ..

وهذه الاقطار من الشعاع .. ، المارة جميعاً بمركز واحد – هو الذاتية اللدنية الحاصلة من العرفان – تطول او تقصر ، ليعبر منها الطول والقصر عن مقدار الذاتية من العرفان .

ولذلك كان الموقف الأخير من الثلاثة لا يتسنى إلا لنفر قليل من سكان هذا الكوكب .. يخليهم الاسراع إلى الانفعال .. ، لا لأنهم في عصمة منه .. بل ، على العكس ، بسبب من الكثرة الانفعالية السابقة ، ثم الانتقال منها إلى ذاتية عويصة قادرة ..

أليس ، في الاصل ، أن اتخاذ هذا الموقف لا يعني الا محاولة النجاة من التراثي للخلوص الى واحد من الموقفين بدون التراثي .. – مع تعديل في الثاني بنفي المعاداة – ، إزاء هذه الفكرية بعينها او أية فكرية على الاطلاق ؟؟

أليس هذا الموقف ، – بالمضارعة – هو نواة المأمول من موقف ايجابي صميم اكيد ، هو عبارة الفوز بتقرير كبير لمعرفة مـــا .. عن كل مسائل المعرفة والوجود والمثل ؟

وبعد .. ، أليس الموقف الايجابي التام ، ان وجد ، هو الذي يتخذه المتخذ ، بعد ان يكون قد تحمل ، هو ، مسؤولية كل شيء وكل حي ، وكل عرفان وحصول ؟

وبعد .. فمن هو كفؤ التحمل ؟ ! ثم ، كيف يُقبل المقبلون .. ويقنع القانعون ؟! وبوشل من المعرفة !! وانسطاح من الاشعة .. ليسا يعبران بالقناعة الا عن افتقار أي افتقار .. في الذاتية .. ضرب من نفسه ، اذ هو افتقار ، سوراً على العرفان ، أطوال اقطاره هي أطوال وشله من المعرفة ومقدار حظ سطوحه من الشعاع ..

وبعد .. كرة اخرى .. أهذا ما هو العرفان أم هـذا ، بلا ريب ، ولا تراء ،

هو حكم الرياضية المقيس عليها قياساً قياساً .. ما هو الجهل والقصر والافتقار ؟!

ما اقل المتحملين !! إن كان التحمل هو ، بالرياضة ، ما هي الاعياء ..

وما اكثر المدعين !! إن كان التحمل هو التراثي والتقليد، والتبعية والادعاء..

تلك الفكرية المعقدة ، اذن ، معجزة تعقيد ..تتطلب اعجازاً من الحل يكافئها اعجازاً ويزيد ..

والحل المعجز ، فيما نرى ، هو الذي يمضي ، هوناً ، من التافه ، والشكلي ..، ويستأخر الصعب حتى يهون .. ، ويمضي من الظاهر والمحسوس ..الى الخفي المغيب.. حتى لا يكون الخفاء والغيب ، من بعد ، الا قطعة من العيان والشهود .. ولكن اي عيان وشهود !!

... ...

لقد اكتفينا من مقولة ستالن باعادة ايرادها مقصة هذا التقسيم الذي رأيت ، لينبثق الوضوح الذي نريد .

وسنرى الان ، كيف يسطع عليها التقسيم فتبرز للعيان ..

١ – المادية الديالكتيكية هي

أ –

١) – اسلوب ، في النظر الى حوادث الطبيعة ، – ديالكتيكي.

٢) – طريقة ، في البحث والمعرفة – ديالكتيكية

ب – نظرية –

١) – تعليل حوادث الطبيعة

٢) – تصور حوادث الطبيعة مادية

فاذا اجيز لنا ان نملا الفراغ الحاصل في ٢) من أ – بكلمة (في الطبيعة) او في الحوادث الطبيعية ، او اذا ملاناه من انفسنا ، سبقاً منا، كان من حقنا ان نستنتج :

ان المادة الديالكتيكية هي (١) نظرية في المعرفة (٢) ديالكتيكية ومادية ،

ولكنها (٣) في معرفة الطبيعة ، اي قاصرة على معرفة الطبيعة .

- فهي تبدأ بمعرفة الطبيعة .. من وهلة المبادرة ..

٢ - المادية التاريخية هي اشتراع المادية الاولى (الديالكتيكة) ، المشروعة على الطبيعة ،على المجتمع وعلى الحوادث الاجتماعية والتاريخ الاجتماعي والحياة الاجتماعية ودراساتها .. - اجتماعية مادية ..

وبالمادتين معاً - بالمادية الديالكتيكية وزوجها المادية التاريخية ..- يكون قد تم ضرب النطاق على المعرفة اطلاقاً وتسويراً .. لا خروج من حصاره (اجتماعية مادية تحت معرفة مادية ديالكتيكية).

...

فالمادية الاولى ، اذن ، ذاهبة امتداداً في الثانية .. والمادية الثانية ، اذن ، امتداد الاولى وتعديها حدوه الطبيعة والحوادث الطبيعية الى الحياة الاجتماعية وحوادثها ودراستها .. فهي تسويد ما اعتُبر انه شريعةٌ على الطبيعة شريعة على الحياة الاجتماعية .

لـــــوافت المعرفة

..وأخذ الرب الألـــه آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها ..

واوصى الرب الألـــه آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل اكلاً. واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لانك يوم تأكل منها موتاً تموت.

.. فقالت الحية للمرأة لن تموتا . بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه (ثمر الشجرة) تنفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ..

العهد القديم - تكوين ٢ - ١٥ ، ١٦ ، ١٧
٣ - ٤ ، ٥

الميتافيزيقا والمعرفة

ان الميتافيزيقا (١) تدرس الطبيعة بالانسان ، اي انها تستعمل الانسان للدرس والمعرفة .. — وبعبارة اخرى، إنها تدرس .. وتحصّل المعرفة بواسطة من الذاتية الانسانية سبقاً وحصولا ..:

— اي بما كانت هذه الذاتية من قبل ، وبما حصلت من بعد ..

---

(١) اننا نبحث الميتافيزيقا ، ماكانت وما صارت ، لاننا في صميم كتاب المعرفة ، وفي اللجة من مسائل المعرفة . ولان الرفيق ستالن ، في كتابه — النظرية الفلسفية العامة لتطور الكون والمجتمع — قد ساق بحوثه عن الماديتين، الديالكتيكية والتاريخية ، في وهم من تميزهما عن مسائل الميتافيزيقا والمثالية .فقد جاءت مقولاته كما يلي : (طالعها في ختم هذا الكتاب للالمام فاننا لم نتعرض لها لانهـــا ليست من مسائل المعرفة — وسيبحثها كتابنا الثاني)

١ — تتميز الطريقة الديالكتيكية الماركسية بالخطوط الاساسية التالية

أ — ان الديالكتيك ، خلافاً للميتافيزيقا ، لا يعتبر الطبيعة تراكماً عرضياً ... الخ

ب — « « « « ، لا يعتبر الطبيعة حالة سكون وجمود ... الخ

ج — « « « « « « « حركة التطور حركة نحو بسيطة ...

د — ان نقطة الابتداء في الديالكتيك ، خلافاً للميتافيزيقا ، هي وجهة النظر القائلة على أن كل اشياء الطبيعة وحوادثها تحوي تناقضات داخلية ..

٢ — تتميز المادية الفلسفية الماركسية بالخطوط الاساسية التالية :

أ — خلافاً للمثالية التي تعتبر العالم تجسداً لو الفكرة المطلقة ، ..

ب — « « « تؤكد ان شعورنا وحده هو الموجود واقعياً ...

ج — « « « تنكر امكان معرفة العالم وقوانينه ..

— اننا في هذا الكتاب، لم نتعامل مع النصوص المتقدمة الا مروراً ، وليس تعاملنا في هذا الكتاب بمتعمد الا مسألة المعرفة

اننا نبحث الميتافيزيقا ، لانها الاسئلة الفلسفية قبل التـــاريخ .. ولعله يصح ان نقول انها الحير والمحاولة ، منذ الانسان ،لقد كان السؤال المنتج في كل حصولة وواقع وعند كل ظاهرة .. هو: (لماذا؟) (ماذا وراء هذا ؟)

فطبيعي ، إذن ان تنبع مسألة الذات إزاء الموضوع
وطبيعي ان تعمد الميتافيزية إلى دراسة الذات لتعرف عنها ، - فتجعلها موضوعاً ..
وطبيعي ان تشك (١) في كل ما هي الذات ومركبها ومعارفها وتحصيلها ..
.. وان تتقلب بين الحس والشعور والمنطق والرياضة والتجربة وشتى الطرائق الخ ..
ومما لا ريب فيه ، عند المادية ، او مما لا ريب في انه يلزم المادية ، ان كل حصولية هي طبيعية .. اي ان اية حصولية لا تخرج عن الطبيعة لانها منها ..
وينبع عن ذلك ان المتجه المتافيزي نوعية طبيعية في حصوليته . ،
- فلا مناص ، اذن ، من ان تكون الاندفاعات ، كل الاندفاعات ، في طرائق المعرفة - بما وجد من اللوافت ، وبصرف النظر عن الاخطاء ، ومع اعتبار الاخطاء - اندفاعات طبيعية ، جد طبيعية ..

(سيتضح للقارىء ، بعد ان يتقدم ويوغل في هذا الكتاب ، ان الخطأ عند المخطىء هو قيد المخطىء لا يتعداه ..
وانه مسألة جاهليته لا قطعية معرفته غيره او حقيقة سواه . وسيتضح للقارىء ، من قانون التراثي ، ان خطأ المخطىء ليست تتغير به حقيقة الوجود ولا حق المعرفة ولا الواقع الا عند المخطىء .. والتغير ، على المخطىء ، علم لا تغير .. وان تغير المفاهيم وانقلابها مسألة بشرية لا مسألة وجودية .. ان الوجود لا يتزحزح عن طريقه بالمعرفة الانسانية ، لا بما كانت هذه المعرفة ولا بما هي ، ولا بما ستصير .. ان المعرفة قدم .. والطروء منها هو على الانسان طروء ..)

لتطمئن المادية ، موقتاً ، .. فليس في هذا ما ينفي الديالكتيك .. بل لعله من الديالكتيك ان راحت الميتافيزية تدرس .. ثم تدرس ما به تدرس .. ثم تتخذ من الخطوط الخلفية (الوراثية - الميتائية) الخطّ وراءه الاخر .. في سلسلة خطوط دفاعية احترازية واحتياطية لا بد منها ، ولو اصبحت في مجموعها صيغة منهى الجموع من الميتائيات وميتا الميتائيات Metametas

ولعل الشك (٢) ، الذي هو موجد الديالكتيك وموجبه في السلوكية

(١) انظر بحث الشك . (٢) انظر موضوع - دول الجهالة - وتفصيل مقولة سقراط

الميتافيزية – في نظريات المعرفة – يمضي ضرورةً في السيرة الميتافيزية في بحوث الوجود والمثل ..

إن ينابيع المعرفة ، ولا حاجة للقطع الآن ولا للحصر ، عريقة وفائقة .. فهل الانسان محروم من ورودها إذا لم يتقدمه اليها الشك واذا لم يحترز منها بتلك الخطوط ؟

هذا ما قررت جوابه الايمانية بالقول والفعل المباشرين .. وهو ما قررت جوابه الميتافيزية بالقول والفعل المداورين .. وهو هو ما قررت جوابه الانكارية المادية في حصولية واقعها الراغم المرتد الى ايمانية مقنعة ..

والجواب واضح ، فالمعرفة ضرورة ولزوم .. فهي فرض محتوم .. تهاجم الانسان .. ولا تنتظره ان يرد الينبوع ..

ومع كل ما هي الميتافيزية ، تشككا وديالكتيكاً تصرف وسلوك فقد نجب ، تحت حنانها القاسي .. وشدتها الرؤوم ، من الأبنـــاء والبنات ، بالأبوة السابقة من مثنى التعليم ، نسلٌ رائعٌ من الطرائق والعلوم ، تخلفت عنه الماديات جميعاً كلٌ متخلفٌ على مَدّ ماهو التاريخ ..

ولقد سلّطت الميتافيزيةُ الأم على هذا النسل الرائع رصداً ، هو نسل آخر ، من الابناء والبنات ، كان هو المنطق والتاريخ والرياضيات والحسناوات الواصلة من التجربات . ، وهو أشبه شيء بالمؤسسات الموازية في أجهزة الدول من الادارات .. او التوائم لأفراد الثنائيات في كل ما هو اصيل في الحياة ..

– رصداً يروح ، هو الآخر ، يصطنع شباكاً من الخطوط الوائية الملابسة المضافرة .. يحمي التراجع والتقدم .. ويحنو على الخطأ ويمجد الصواب ..

– رصداً ناسلاً ولوداً .. دَوْلَ ولادةٍ وحصوليةٍ .. فلكل علم فلسفة وتاريخ ومنطق ورياضة وتجربة .. ولكل طريقة مثل ما للعلم .. ولكل كل ...

أجل . لقد تبادلت الميتافيزية مع العلوم والمعارف تبادلا مستمراً ديالكتيكياً .. جعل من الميتافيزية ، برغم اخطائها ، شيئاً حياً يتقدم ويتطور .. هو ، اليوم ، كثرةٌ

من المعرفة ، وخصب من المحاولات ..

ومع كل ما هي الماديات .. ،تخلفاً في المدى من المكان والزمان .. وجموداً وقصر بصيرة وتكاثفاً قسوخاً ورسوباً .. ، فقـــد عاشت ، تسلقاً ، على جذعين هما توأم التعليم الاول والمثالية ،وانسياقاً ، بدفـــع توأم التعليم الثاني وعطاءات المواليد من أنسال الميتافيزية ..

ـ لا يزعم أحد ، ان المادية ليست ذات عمل في الحياة والمعرفة .. ولا يتوهم أحد ، أنها عبث من العبث .. انها ارض المطار للطائر المدوم الحوام .. ومراح المسافر المجهد التعبان .. لا بد للمطوف من مستقر تتهافت عليه منه الوعثاء ..

ولقد قامت الماديات جميعاً بمهماتها خير قيام .. فابتلعت ، طباق مافعلت المادة، الافكار والمجردات .. لتروح، في مرسومات الحياة وطقوسها وتقاليد الاحياء ..، صرف مجسدات وعادات .. ومدنيات هي ـ في التراثي ـ تهافت حضارات .. وهي في القيمة ، بعد دخول القيمة ، تأكيد ثبات ..

.. واستطاعت ان تقدم اسمى الفكر ، بالصناعة ، لقيمات لقيمات .. وان تحفز للمحاكاة والتقليد ، في كل عصر ، ابناء العصر ممن فروا من توأم التعليم الاول ، اوفرت بهم منـــه الرجعيات .. فكان فرارهم الى توأم التعليم الثاني .. وفاق ما هو القدر على كل الحياة .

الديالكتيك والمعرفة

قيس العرفان

.. ولكن برغم ما صارت اليه الميتافيزية (١) من شتات ، فانها ما تزال تمضي مع كل ما هي المعرفة الانسانية وما تصير اليه .. لتحصل العرفان ولتفهم الوجود وتحقق مثل القيمة العصماء .. ومن اجل هدف الانطباقية العملية ومن اجل تقويم السلوكية تحت ما يصير اليه التفكير وسننه من التوقيع والتشريع ..

ان المقولة الميتافيزية الملحنة على ايقاع المنطق القائلة : « انا افكر .. — فلا بد اني .. (٢) » لم تكبر حتى الان لتصبح : « انا اعرف .. » ذلك ان الميتافيزية تعرف نسبياً .. ولكن هل ما تعرفه هو حق العرفان او مطلق العرفان :

« نحن نعرف » هذه عبارة ادعاء منا قاصرة علينا .. كالاقرار .. الذي هو حجة قاصرة على المقر لا تتعداه .. تنسحب وتتقلص لتصبح لزوم اعتراف للغير لا تعدي ادعاء من الذات .. ، وحتى الاعتراف يتقلص لكي لا يكون شيئاً على المعترف نفسه ، إذا كذبه الحاكم او اباه ، لانه مظنة تواطؤ او عوض في الحقوق او نيابة في الجزاء ..

ف (نحن) الذين ، على الاكثر ، (نعرف) . وما نعرف ، هو معرفتنا . (ما نعرف — ليس مفعولا للعارف) ، واذن ، فان مانعرف غير لازم سوانا ، عرفاناً او وجوداً او وقوعاً او تمثلا .

— على انه ، إن لزم ، فالاشياء ساكتة لاتنبس ولا تقول انها عرفت ما نعرف

---

(١) نقصد هنا بالميتافيزية — التقدم في المعرفة في ظل الميتافيزية ..

(٢) مقولة ديكارت

(معرفتنا) او انها هي ما نعرف ، او طبقه او جناسه او سواه.. اللهم الا بلغة اخرى من عديد اللغات، إن يكن لنا عنها من ترجمات، فمن ابناء لغتنا (نحن ، الترجمان.. فكيف نعرف ؟ وكم نعرف؟ وماذا نعرف ؟ الا عرفاننا ، نحن) وطرائقه ومقداره وما هو ؟ !

أما المعروف (المفعول) الذي نزعم أننا نعرف ، فهو ، – عند الميتافيزية ، وعند العلوم من امامها ، إرثاً عنها ، وفي تركيب اللغة ، عدلَ تركيب ، وقسطَ مقدار ، – ليس هو ، حتماً ، مانعرف عنه .. إنه هو (١) .. ، صرف هويته ..، المجهولة منا، اذان معرفتنا عنه ليست هويةً له .. ليست ما هو .. ليست ماهيته).. ان معرفتنا صرف نفسها ..

المعروف منا، هو ما كنا نعرف عنه ؟!!! هو مانعرف عنه ؟!! هوما سنعرف عنه ؟ ! هل هـــذا صحيح ؟! ليس صحيحاً : لأن هذه المقولة مقولة خلط بين المعرفة والوجود .. أولا – وثانياً ، لأن هذه المقولة مقولة فوضى معرفة او قصر معرفة لا انضباط معرفة ولا رشد معرفة ..

وهي ، بعد ، ليست مقولةَ دَوَلٍ .. يعني انه الدول.. لانها زعم ثباتٍ وصمودٍ ودوام ..

وهي ، ليست مقولة تقدميةٍ .. ولكن مقولة وصولٍ وحصول ..

وهي ليست جزئية الزعم ولا تدريجية .. ولكن كليةٌ ونهائيةٌ وقطعية .. مما ينفي قيامة الزعم من الدول

---

(١) « في ذاته » لا كما يبدو لنا – كما قال كانت – ، ولا ما نعرف عنه .. والمادية الماركسية اقامت النكير على كانت لهذه المقولة.

واذن فعلى المقولة ان تصبح :- المعروف منا معرفة، هو ، هندنا ، ابداً، نحن البشر ، معرفتنا عنه ، معرفة تظل دون هويته . -

هذا هو صحة الدول لان صحته في كـره..

فاذا كانت المعرفة لاتنطبق على الهوية . . قصراً من المعرفة وجزئية منها من العارف . . كان لا بد ان تكون مقولات المعرفة الانسانية كافة ، وطرائق المعرفة كافة ، قصراً عن الوجود . . مهما طال هذا القصر ، يظل هو هو القصر عن الطول .

وهى ، بعد ، ليست الا مقولات .. وليست الا طرائق .. أما المقولة فزعم لا ثبوت .. وأما الطريقة فطريقة لا وصول ..

واذا صح الدول « الديالكتيك » صح على انه طريقة للمعرفة قديمة .. عرفها كل أحد وسلكها كل احد وسماها الاقدمون قصر تسمية .. واعطاها هيغل (١) مفهوم الانطلاق .. ثم حبسها ماركس في المادة ..

واذا صح الدول صح على انه طريقة للمعرفة ، فهو الطريق لا المعرفـة .. وهو الخصوص لا العموم .. والاقتراب او التقدم لا الوصول .

فاذا كانت المعرفة لاتنطبق على الهوية (الماهية) ، كان لا بد ان تكون مقولات المعرفة وطرائقها قصراً عن الوجود ..

- وكان لا بد أن الكلية من العرفان - إن كانت - هى ، وحدها ، الطول .. الموازى للوجود أو المنطبق على ما هو الوجود .. وهى الممتنعة بالضرورة ، من المنطق ومن الدول معاً، وهى التى تلزم الكلى الوجود ..

- وكان لا بد ان المعرفات ، من دونها ، صرف هبات .. وجبر اخذ من عدل توزيع وقسمة عطاء ، يكون به النصيب كسراً من مجموع الانصباء .

«١» : ان ديالكتيك هيغل ديالكتيك وجود.

وبعد فليس يصح قول آنجلس (١): « ان الفهم المادي للعالم يعني ببساطة ، فهم الطبيعة كما هي » (لاحظ زيادة الكاف في « كما » — هذه الزيادة في الترجمة من تركيب اللغة الاجنبية — والتي بدونها تكون الجملة : فهم الطبيعة ما هي ، أي ، فهم ما هي الطبيعة) دون أية اضافة غريبة »

ليست تصح هذه المقولة لما تقدم .. ولأن معناها الترك والاستغناء عن كل الدوّل في المعرفة ونبذه ..، ولأن معناها اسقاط مسألة المعرفة كلياً منذ الآن بالانتهائية والوصول .. وهما منتهى الدول لا الدول .. والثبات لا الدول وسبق العلم لا الحصول من العلم والمعرفة لا طريق المعرفة .. والانطباق على الوجود لا القصر عنه ..

وبعد ، : فليس يصح قط قول آنجلس : « ان العالم المادي الذي تدركه حواسنا ، والذي ننتمي اليه نحن انفسنا ، (٢) هو الواقع الوحيد . » لأنه قول بعين المعرفة الشخصية (معرفة ماركس) ويطبقها على الهوية.. على أقطار الهوية.. تطبيقاً هندسياً .. ويريد لها أن تنطبق .. ثم هو يرى أنها تنطبق لأنه هو الحاكم الذي يفصل في رؤيته .. ولأن الوجود « المعروف » عنده ضامر متقلص في حدود عرفانه ومختزل مصغر في أطار امكانه ، اما السعة والامتداد والكبر فمشمولة ومحتواة في الضيق من مقولة جحوده ونكرانه

مما لا ريب فيه أن هذا القول من ماركس تابع عن معرفة هي دون الكلية من المعرفة .. فاذا أرادت هذه المعرفة ، بوصفها هذا ، أن تنال بمقولاتها ما لم يخطر لها ببال من مترامیات العرفان والوجود .. نوالا تعين به المعرفة والوجود حق عليها الاقتصار في الجهالة والغرور والغباء ..

انه لن يصح قط ، يوماً ، من ايام الانسان في انجاه الأبد .. أن يقول اننا نعرف ما هو الشيء .. مهما طالت وتمادت أقطار تلك المعرفة ..

لقد فتح كانت ، باعترافه بالعجز ، أمام الانسان مطارح الآفاق .. أما ماركس فقد أغلق على نفسه طبقات المادة.. وراح بما فعل، لا الى الديالكتيك في المعرفة .. ولكن الى القناعة بالحاصل من فهم أعشى ومعرفة عمياء ..

---

(١) و(٢) هاتان المقولتان واردتان في بحث المادية التاريخية وهي ليست غرض هذا الكتاب الا عرارا واقتضاءا ..

منتهى الدول الهادى

اذا كنا نحن الذين نعرف .. أي اذا كانت معرفتنا ليست هوية ما نعرف ، فهل نحن امناء ؟ هل نحن امناء على المعرفة ؟

يجب اذن ، أن ندرس أنفسنا .. أجل يجب أن ندرس ما به ندرس ونعرف مابه نعرف .. يجب ، اذن ، أن ندرس الامانة فينا .. يجب أن ندرس الذات موضوعاً ..

لقد كان هذا هو الدول في المعرفة ، ولقد كان هذا هو المسمى الذي أراد ان يتناوله أو يشير اليه معنى الكلمة « ديالیغو » ، هذه الكلمة التي هي مصدر الدول الهيغلي .

–هذا هو الدول الذي نمضي مجبرين في سياقه عفواً ووعياً ، وهو هو السياق اذا آمنا .. وهو هو السياق اذا لم نعمد الى الايمان والتصديق .

يجب أن ندرس أنفسنا .. ولكن على ضوء الأمانة ..

ولكن ما هي الامانة .. ومن هو الامين ؟

الأمانة ، هنا ، هي الثبات .. والأمين هو الثابت .. ذلك أن الامين لا ينقص ولايزيد .. لا يتغير .. لايتناقض .. ، فنحن ، اذن ، ننشد ثباتاً من المعرفة لا ينزغ فيه الشك .. فأين أين الثابت وأين أين الثبات ؟ أين هو الكلي العرفان ؟ اننا نموت ألف مرة .. لنحيا هذه المرة الواحدة ..

نريد الثبات والقطعية والتمام من المعرفة .. ، نريد .. ومع هذه الارادة لم نر على متن كل التاريخ البشري ، من هذه جميعاً ما اليه نطمئن .. وبه نقطع ونستريح ..

أما المادية فقد اختزلت كل هذا الدول في المعرفة .. وتراجعت عنه متسترة بالدول في الوجود ، أجل .. لا يستهجن أحد ما نقول .. ، فلقد نفته نفياً قطعياً

فقالت اننا نعرف .. واننا نعرف الطبيعة ..! وان معارفنا صحيحة «١» !!..
ثم ها نحن نمد هذه المعرفة مداً من الطبيعة الى الاجتماع .. بالمادية التاريخية ..
فالتاريخ هو « نضال الطبقات »«٢» من أجل المعايش ، كما أن « النضال » « بين المتناقضات» «٣» في كل « محتوى داخلي» «٤» أمر لامفر منه ودول لا خروج من سوره ، في المجتمع كما في الطبيعة ..

أجل .. ها نحن نمد هذه المعرفة مداً ، فنعرف كل شيء .. ، وللمرة الاولى في التاريخ .. ونتنبأ بكل شيء سيقع «٥» ، لكي نوقعه نحن «٦» .. فـ« تغيير التاريخ ونصنع التاريخ» «٧» ..

إنها قطعية لا ريب فيهـــا .. وتفرد في المعرفة يمتد ، من حاضره ، على ما سيكون .. كما يتراجع ويسحب نفسه فيمسح على ما كان من ماضي الزمان ..

— وبالرغم من التناقض الذي هو الدول .. وبالرغم من أن هذا الدول قد استولد القطعية في المعرفة والوجود .. ، وهي ليست قط من طبيعته ، فانه هو ماننشد بلا ريب ، لو صح .. إنه الثبات والامانة والتمام .. أليس هو ، إذن ، نقيض نفسه ، وانتحار كله ببعضه ؟!

فلننظر : —

بماذا نعرف ؟ وكيف نمد المعرفة ؟؟ وكيف نتنبأ ؟؟

---

(١) — يقول ستالن : « وينتقد أنجلس رأي « كانت » والمثاليين الآخرين القائل انه ليس من الممكن معرفة العالم و « الاشياء بذاتها » ويدافع عن الرأي المادي المعروف القائل بأن معارفنا صحيحة »

(٢) — يقول ماركس : « ليس ادراك الناس هو الذي يحدد معيشتهم ، بل على العكس من ذلك ان معيشتهم الاجتماعية هي التي تحدد ادراكهم . »

(٣) و (٤) هذا معتقد المادية في طبيعة الوجود

(٥) — التنبؤ ، ان صدق ، يضاد الدول .. لانه نبع الكلية من العرفان

(٦) — ما أهون هذه النبوءة وأصدقها !! ان ، بموجبها ، الجبير أنبياء ..

(٧) — يقول ماركس : « ان الفلاسفة لم يقوموا حتى الآن الا بتفسير العالم ، اما الآن فالمهم تغييره » — لقد وقف العالم ، بالانتظار ، لم يتغير حتى جاءه « المغير » ماركس !!!

بالدول!.

ماذا ؟! بالدول ؟!

آلدول الذي فرغنا توأ من دفنه ونفيه ؟! – عندما اعتمدنا ثبات المعرفة وصحة العرفان ، وامانة العارف ، وعندما واجهتنا القطعية في مقولة المادية ، فطلقنا ، من اجلها ، الذاتية والدراسة الاحترازية والميتافيزية ..

آلدول الذي فرغنا توأ من دفنه في مسألة المعرفة ، بالرسالة المادية ؟

آلدول الذي اوحاه، عملياً،من قبل، شك الميتافيزية وانصاعت له ، طوعاً او كرهاً من الانسان التعلمية، ؟ فكان واسطة الدرس والمعرفة في اللا ايمانية والايمانية بالتعليم بما هو مثناه ..

آلدول– الذي اصطنعته المادية في المعرفة ، وقالت انه أسلوب معرفة وطريقة معرفة ؟ – يصبح هو المعرفة لا الأسلوب.. ثم يشيض ايضاً .. ويؤول أولاً .. ثم يدول دولا هو دول وجود؟ ثم اذا به الوجود نفسه لا الدول..ثم اذا هو قطعية وجود وثبات .. لا دول فيه ولا ما يجهلون .. ، واستقرار وجود لاشبة فيه ولا ما يحزنون ..

هذا غدر لا ريب فيه .. غدر ولا غدر معاوية وابن العاص بعلي وبالاشعري.. وصفة ولا صفة بيكون Bacon التي رانت على كل صفاته ولكن كلا غدر الاولين .. ورخسة الثاني ، إقليمية محدودة في المكان والزمان .. لم تنصب على الارض بمذهبية من الغدر .. تعم كل الارض ..

لقد كان الفلاسفة يحاولون المقولة من مثل مقولة ديكارت « انا افكر .. فلا بد اني . » وينتظرون الرحمة من المعرفة والنقاد .. ومن انفسهم هم مشفقون .

– اما الان ، فلماذ الرحمة .. وما شأن النقاد .. إزاء الاستبداد ؟ اننا نبدأ بالدول حماراً نركبه .. ثم نترجل عنه ونطلقه بعد ان تنطلي الخدعة ويتم على الناس السحر ..

ان الدول سحر لا ريب فيه .. فليشهروه ، إذن ، كل حين اقتضاء ..

اننا نحن المؤمنين ، لا نعرف شيئاً .. ومقولة اعترافنا معروفة .. : «لا علم لنا الا ما علمتنا ..» وبلينا المبتافيزيون ينحازون الينا بعد لأي من بديهة او اثنتين ..

– ومع ذلك فها نحن قد عرفنا الغدر كما عرفنا الكذب والاحتيال .. فهل هذه شيء اي شيء ؟! انها فراغ انخداع لا شيئية في واحد منها ولا عطاء .. انها جميعاً سلب معرفة وسلب وجود ..

. . .

سأنادي .. وادعو بالويل والثبور وعظائم الامور .. وادورثم ، اظل ادور .. ، على النيام من الأحياء وممن في القبور .. من اجل يقظة قيامة كبرى لن تبور .. لا دول فيها ولا غير ولا حدوث ولا غبور ..

لن اكتفي بأن اخرج عارياً من الحمام (١) .. ولكن بان يخرج الماديون من كل ما هم ومن كل ما هي المادة .. لاعرضهم فراغاً لا شيئية فيه .. وعدماً لانامة من القيمة تمسك او تليه ..

.. اما انا .. فاسلخني من جلدي ولحمي وعظمي ومن كل ما هي المـــادة .. ومن ضمير الـ « انا » الهالك .. دون ان اخسر ذرة واحدة مما هو الوجود ..

– لاني باق ، فالقيمة من ارادتي التي هي الارادة من الحق والخير ، بقاء ارتباط بالحق والخير ، ليس سواه البقاء وليس غيره الوجود .. ولاني اموت الف مرة فلا أموت الا ليقول موتي اني حي ما ظل الله حياً صمداً لا يموت .. ثم اموت الف مرة فلا اريد الا ما يريد .. فانا الحي الخالد ما الله حي خالد .. فما يأمر ولا يريد الا كنت فيما يامر وفيما يريد فهل علي يسري ما تهرت من الموت .. أم هل ينالني بنائة من فناء او تبديد .. –

– وامضي ، بعد ، في عرض الكوكب .. حاملاً الف جثة من جثتي ، على الف هيكل .. اؤلب الناس عـــلى « رفيق » الستة اشهر .. المـــاريشال لا

(١) – خرج ارخميدس عاريا من الحمام تجرداً عن الذات تحت الهام القيمة وانبهاراً من تغلبها على عسف السلطان .

« الرفيق » والديكتاتور لا الصديق ..

لا . لا ايها السيد يوسف ستالن ! – والسيد من ساد ، اول ما يسود ، على نفسه ومطمحه واستبداده .. – لا .. فاني انا لن ارضي ، لقاء غدر صغير .. او بكذب فقير ، ان اكون ديكتاتوراً على كل المجرات .. وحيث للمادة اجتماع اوشتات ..

لا ، ايها الماريشال .. لن ترث الايمانية والميتافيزية ، بانخداع وقع على الاسلاف تسيغه ، انت ومن معك ، خديعة ضمن مؤامرة ممددة في الزمان مقسطة على المكان .. منجمة عـــلى الطبيعة والمادة ، والناس عيون شاخصة .. ان هذا معناه ارث الارض ومن عليها .. ولست الوارث .. فما فرح بها قبلك غابر ولن يفرح بها بعدك حادث ..

مهلاً فلن احدثك عن الله .. فلعله صغير عندك اذ هو ، في معقولك ، حبيس في المادة .. مهلاً حتى يكبر عن صغرك .. ويشب عن طوقك .. وهوناً حتى تألهه بامره لا بامرك ..

لن ترث الارض .. فانها قسمة .. تحت قدر له قضاء .. انت ممن آمنوا به ، وثنية ايمان ، واعجبوا وافحموا .. فاخذوا وانتحلوا ..

تؤمن بالتراث بينك وبين نفسك .. وتدعو الناس الى الايمان بك انت ، والكفر بما به آمنت (١) .. **لتشترى بآياتك ثمناً قليلا ..**

اتذكر من صنع هذا الصنيع لا سواه .. صنعاً في السماء .. او رمزاً الى الارض ؟! حاذر ان تكون خليفته او معناه .. او ان يتجسدك زور سلوكه ومسعاه ..

لقد بقيت لك ايام ايها « الرفيق » فان كنت تحلم بالتاريخ فاني ابشرك بمذهب عليه جدة القدم يقول :

ليس التاريخ ما يكتب من قبل ، اليوم بعد اليوم .. انه الذي يعرف ، من بعد ، مما كتب اليوم بكلمات التفخيم ، في اي عدم في الباطل ، من نفسه ، كان يتردى « العظيم » ...

---

(١) – الواقع ان الماركسية اخذت كل التعاليم السماوية .. وساخت بها في المادة .. لتطفو منها ماركسية مزعومة .. واختصت بالاخذ كل التعليم الاسلامي ..

الوجه الآخر ..

شريعة البغضاء ..

المذهبية المادية طلاء الخداع

نحن نعرف ! و « معارفنا صحيحة » !! هذا ثبات وقطعية طالما كنا وراءهما.. ننشدهما وكأننا نطارد ظلالنا ونراكض المستحيلات امامنا .. دون ان نمل .. وكنا ابداً نتقبل الحاصل من المعرفة من كل هذا الطراد .. عالمين اننا ما نزال في وشل المعرفة .. لم نبتعد عن الشاطيء .. حتى رحنا متأكدين ان الكمال مستحيل ..

– ولقد قنعنا ، من بعد ، بالتقدم .. مكتفين بان نمشي خطوتنا نحن .. ونلعب دورنا نحن .. في المسرحية الكبرى ..

ولكن المادية جاءت بالدول مجيئاً مادياً .. ما علينا الان .. – اكان الدول ماديا ام روحياً .. ام هو مادي روحي .. – ما دام الدول يعطي هذا المعنى التقدمي نفسه ..

لقد كرهت المادية الاستقرار والثبات والقطعية .. وقالت بالدول ولم تصدقه .. والدول لا ينشد هذه الاشياء ولا يؤمن بها .

وهي – المادية – قد ظلت تنشدها نشداناً زعمت منه انه الوصول لا النشدان .. وبذلك انكرها الوصول وضلت هي النشدان .

– فما الفرق ، اذن ، بين المادية وبين الواقع من الميتافيزية ؟! لعله الفرق الذي بين المكابرة والاعتراف .

ولكن اليس من الغريب ان يتسنم الدول المادي ، في غفلة من الميتافيزية ،

قة الثبات والقطعية والاستقرار .. فيخلق له ابدية .. يقف منها خطيباً بنادي: « إن معارفنا صحيحة » .

هذا تناقض لا ريب فيه .. ولكننا لسنا بالتناقض ندين مادية الديالكتيك ، لان التناقض دينها وايمانها .. وهي تدافع عنه لانه مبدأها .. وتقدميتهـــا .. وحياتها .. وانما نحن بالحساب نفعل لها ان قد دينت ، بما هي ، منذ هي ، بالفعل .. لا بمنفرد القول ، ان تدان ..

لقد قلنا وقال الميتافيزيون بالدول والتقدم في المعرفة .. وجاء الماديون بمادية الدول – فكان الفرق هو ان دولهم المظلم الغامض ، اذ هو غريق في طبقات المادة ينبع من « تناقض » المادة ويشع « انعكاساً » عنها وفكراً .. كلما تغيرت .. وكلما دال واقعها وتغير .. فهو دول غاشم اعمى عن حقيقة هذه ينبع من صراع داخلي مكتوم كظيم في المادة .. ، ومن التناقض الذي فيها ينجم ويكون ..

– ويظهر ان هذه النتيجة لم تعجب المادية لانها تقنين للعماوة وتنظيم للغباء .. ولانها تؤلف القدر الجاهلي .. فراحت تتقرأ دولها هذا ، حتى جعلته ، بعد مغالطة او اثنتين ، يتضح ويتقن بتخاريج واستنتاجات صادرة عن عقول رجال المادية « الطليعة » ، ليمضي الى ثبات وصحة .. ولكن لا حملا على التقدم وغد التقدم ومستقبل الحصولية والواقع .. ولكن حملا على المعرفة وصحة المعرفة في الآن .. فكانت المادية الديالكتيكية ، عند نفسها ، من بعد ، مبدأ يؤكد المعرفة البشرية صحة في المعرفة .. ويقطع منها حتى في شؤون المستقبل المتطور المتغير .. ومن هنا لم تعد المادية تقدمية قط .. لانها تختط للمستقبل منذ الان .. فهي « تصنع التاريخ » وهذا ، بلا ريب ، سبق ميتافي وصدور عن وراثية وليس توقعاً لما قد تعكسه المادة من معرفة او تفرضه من صيرورة .. ولا تطلعاً اليه ، لقد اصبح المادة ممثلون يعلمون كل شيء .. هم انبياؤها ورسلها ..

لقد اعجز الميتـــافيزية كلا الدول والثبات .. ولكنها لم تكره اياً منهما

قط .. ، يوماً واحداً او لحظة ليل او نهار .. فلماذا تتذبذب المادية ؟ ولماذا لا تستطيع الا ان تسرق وتغطي السرقة بطبقات من المادة تدفنها فيها ؟؟

١ – تدعو الى الدول ، في حين تصدر عن الثبات والقطعية وتعمل لها .. وتحتال بين الدعوة والعمل حيلة منطلية على جنودها ..

٢ – وتحتقر الايمانية ، في حين ان نظرياتها هي الايمان بلا حجة .. واي ايمان؟ انه نفس الايمان القديم .. ولكن مجيراً (محالا) لامر المادة ثم مجيراً لامر رجال المادية دون سواهم (الطليعة المادية) وكل هذه المعاملات من الجيرو (الحوالة) واقعة بخط هؤلاء الرجال .. فهم المحيل والمحال له والمحال عليه .. وهم الحوالة..

وبعبارة اشد : ان ايمانية المادية عبارة خضوع اعمى لجهالة عمياء ، فهي اوغل ايمانية من ايمانية العامي والحزافي .. انها الا معان في العبودية ولكن للظلم والباطل .. لا للعدل والحق ، ولانبياء الانقسام والتناقض والتناضل لا لرسل الوحدة والانسجام والسلام ..

٣ – وتنادي بقطعية الفكر وعلميته ..

– هذا الفكر الذي يستطيع ، منذ الان ، ان يفهم التاريخ استبداد فهم ..

– وتلك العلمية التي تستطيع ، منذ الان ، ان تغير التاريخ تعسف تغيير ..

– وهاتيك القطعية التي تصنع التاريخ استبداد صنع، نبع عن استبداد الفهم..

وكل ذلك رسالة الاستبداد من المستبد الغاشم .. « المادة » التي ارسلت اشعتها انعكاساً في عقول رجال « الطليعة » الماديين ..

– وهذا تشبه ،بغيرشبه، بما في النبوة، التي خلت من المشيئة الخاصة والتعسف الشخصي والاستبداد الفردي او الطبيعي ..

هو شبه آخر اذن للنبوة التي تأمر بالقيم الثابتة .. شبه زور .. كما هو سبق وسلف ، كل السبق والسلف ، – ذانك اللذان يعبران عن ناموس الظلم

والقهر الطبيعي المستمر في الدول بلا رحمة على الحياة وبلا تدخل من العليـــاء او السماء ..، وهو يشبه الناموس السابق والقانونية الرائعة في الدين والميتافيزية شبهاً آخر .. جاءته هذه الآخرية من التغطية والتلبيس والتعتيم منه على المتشبه به، وهذه، في حقيقة الحساب احوال طرح وسلب ، لا اعمال زيادة وجمع واضافة وايجاب ..

اجل تنادي المادية بقطعية الفكر وعلميته ، عندها ، بالاحتكار والاستقلال .. – في حين مناداتها بالتطور المادي .. وفي حين تزعم التقدم اولا في ترقي الكون ثم في انعكاس ترقيه فكراً .. فكراً بلا سبق ، بالطبع ، من الفكر المطلق .. وإنما بعد ان يصير الترقي واقعاً .. اي ان الانعكاس يكون إثر الترقي لأن «الواقع» ،عند المادية،هو « خالق الفكر» وهي حال لا وجود معها لسبق وثبات ، اوقدم ناموس او تجريد اطلاق ..

هذا – في حين تعود الى السبق والسلف ، غب مغالطة او اثنتين، فتحملها على الطبيعة ومنها على الطليعة التي تتنبأ بما سيكون فتريد له ان يقع ويكون .. والطليعة ، لها ، فيما لها ، امر يومي تقول للشيء، به ، كن .. فيكون ..

كنا نتمنى ان نرى بدعاً واحداً في المادية غير الاخذ والادعاء ، بدع لدنية او اختراع .. فما رأينا الا المغالطات والحذلقات والسرقات ..

– فاذا تحدثت عن كل هذا التناقض قالت المادية : لا بأس من التناقض فانه علة التطور والتقدم .. وهل التناقض الا عقيدة الدول .. فهو هو الدول، وليس عليه حجة .. وما بعده من قول ..

واذن فلا بأس من اي ادعاء .. ولا حرج من الشحناء .. وما القول للمنطق والرياضة او للبديهة او للثبات .. وانما للحذلقة والنزغ والغشم ومن وراءهـــا الفرض والضلالة والاستبداد ..

وكل هذا هين،عند المادية، لانها لا تعتمد حتى المعرفة السطحية .. وانما معتمدها،

وهو كل المعتمد ، الجهالة عند البروليتاريا (١) .. تلك الجهالة التي يقع منها التناقض موقع العلم ويكون الدول عندها مكان الازدياد ..

هذه هي الطبيعة والحياة، قتال استمرار لا سلام استقرار .. والبروليتاريا اولى الاحياء بالكفر بهذه العقيدة لولا ان سرقت لها المباديء جنة عليا على الارض هنا قبل السماء.. واوعزت اليها بانانية طاغية خرقاء.. لوّح لها بالسلطان والكبرياء.. قال ماركس : « ان البروليتاريا ، في نضالها ضد البورجوازية ، تتكون حتما في طبقة ، وتنصب نفسها بالثورة ، طبقة سائدة . وبصفتها طبقة سائدة ، تحطم بالعنف نظام الانتاج القديم . »

ولكن انخلد ، بعد هذا العنف والتحطيم والسيادة ، الى السلام في ظل النظام الجديد ؟ ان جواب المادية على هذا السؤال شديد الوضوح بحيث ينقض الجنة الارضية واكذوبتها فلا تومض فضلاً عن ان تكون ..

يقول لينين : « التطور هو نضال المتضادات » ويقول ستالن : « واذن من اجل اجتناب الخطأ في السياسة يجب ان يكون الانسان ثورياً ، لا اصلاحياً . »

ومن الواضح ان هذه المباديء لن يكون معها سلام ولا استقرار .. ولست ادري ، بعد ، لماذا هذه الكتب والنظريات؟! التشرع الحرب والنضال .. والناس لم ينتظروا ، ليفعلوهما ، سنة ولا شريعة .. لست ادري لماذا هذه النظريات ان لم تكن طعماً وخيوط شباك وجدران مصايد .. وبعد .. فما على فيوان الارض الا ان تقع فرائس للموت والا ان تصاد ..

— فليس يكفي البروليتاريا ان تكدح لتأكل عليها، من شربة الماء، فوق الكدح ؛ ان تقتل يدها ان فوت ..

وماذا ، بعد ، من كل هذا ؟!

---

(١)- طبقة البروليتاريا هي الطبقة العاملة بشكلها العصري الحديث

لقد صادرت المادية العلوم والفلسفات والميتافيزيات كما صادرت الأديان والالوهة والآيات .. وعمدت الى التعتيم عليها جميعاً ونحلها للمادة والطليعة .. فالمادة ،عند الماديين المؤمنين بها ، تقوم مقام الله عند المؤمنين الاولين .. ورجال الطليعة هم رسل المادة لا الى البشر كافة ولكن الى طبقة واحدة منهم تنصب نفسها لتسود هي ، بالعنف ، الطبقات .. ، تغيير في السيادات وتبديل بين الدرجات .. ثم ماذا؟

– ثم « تتراكم الكميات » من « التغيرات » برهة لتصير « كيفيات » .. فاذا صارت ، انطلق منها جحيم « الثورات » دولا على دول .. الى ابد الآبدين ..

المادة الله ، ورجال الطليعة الرسل .. ونظرياتهم هي الكتب ذات القداسات والبروليتاريا جنود هذا الجديد من الايمان ..

هذه هي الحكاية .. لا بدع فيها ولا اختراع .. وانما سرقة فاخذ فاضطلاع . وهي ذات الماضي من كل شيء .. بفرق هو اشتراع البغضاء .. وضرورة هي سفك الدماء ..

• • •

لقد اعجز الميتافيزية كلا الديالكتيك والثبات .. ولكنها لم تكره اياً منهما فط لحظة ليل او نهار .. على مد القرون والاعصار ..

– فلماذا تتذبذب المادية ؟ ! ولماذا تخلط الطريقة بالحقيقة والمعرفة البشرية بالوجود كل الوجود ، ؟ ولماذا تمزج الهوية بالصورة والقارة بالخارطة .. خلط مخلوق لا صنعة خالق ؟! .

– فهل المادية تقتل نفسها ام تقتل الدول ام تقتل الثبات ؟!

أإذا راحت المعرفة دولا .. اثمة معرفة ام ثمة يبقى ثبات ؟!

أإذا كانت المعرفة مثل المادة متغيرة اثمة اعتماد ؟!

أإذا اقررنا الدول والثبات .. وهما موضوع الفلسفات .. أثمة للمادية نظرية او وجود او ذات ؟!

ان المعرفة الدائمة التي لا يركن اليها هي عبارة عن معرفة تلغي نفسها مباشرة حين تنعكس وبمجرد ان تومض .. فلا تومض الا الى نقض وزوال .. ولا قيمة فيها للمحاولة أن نعرف .. او ان نتنبأ .. او ان نسن نظاماً اوشريعة .. وانه ليكفينا ان نكون كرة في يد المادة ، واوامرها اليومية وانعكاساً محضاً لها .. لاتطرف فيه إرادة .. ولاتقوم منه لدنية .. ولا تختلج له ذات .. هي تعلمنا .. وهي تسلبنا العلم اذ تغيره وتديله .. كما تسلبنا الوجود اذ تقتله او تحيله .. وهكذا دواليك بل دواليها .. وهلمجراها الى ابد الآبدين ..

ان المحاولة هي عبارة عن قصد يتجه الى اساس ثابت للمعرفة نتقدم عنه بلاالغاء او بالغاء الاخطاء .. كما مشت الدنيا من قبل وكما يرادها ان تمشي من بعد .

أإذا راحت المعرفة دولا متغيراً حائلاً ينقض ما ابرم ويجهل ما اعلم .. فكيف يتفق هذا مع الزعم القائل «ان معارفنا صحيحة»؟ وماقولنا بالمعارف الميتافيزية التي ها هي المادية زعمت انها تنقضها وتلغيها ؟. أهي معارف تنقض نفسها .. ام هي وجود ينتحر بيده ..

واذا راحت المعرفة استبداداً وفرضاً باسم الثبات فهل هي المعرفة وهل هي الثبات ؟! ماذا تستفيد المادية من كل هذه المغالطات ؟ . حيث يبقى لها الفرض والاستبداد .. وينقلص عنها كل من الدول والثبات .. ليبقيا .. لا في المادة ولا في الطبيعة .. ولكن في النزعة نفسها .. والارادة المادية في هؤلاء الرجالات ..

.. وماذا تغير بكل هذه المحاولات ؟! هل المعرفة ومسلكها ماقد تغير .. ام الوجود تقدم اكثر مما تقدم وتطور ؟! ام كل شيء هو هو .. بفرق بين الانسانية والذئبية كان .. ، ثم طار الفرق ورجع الى اصلهما قبل التطور النوعان ..

جبر المعرفـــة:

المادية تستحل برزخ المتاب الهيغلي

لقد انعكست الآية .. وكل شيء في المادية لا يستصحب الا العكس ..

– فالذين اقاموا وجودهم على الدول (الديالكتيك) وارتضوه ، يتحللون منه في كل مقولة من مقولات البداية غب مغالطة او اثنتين .. ، ثم ينسونه ابداً في مقولات النهاية .. ويكون همهم ان يأبقوا من سيادته وسلطانه ، لتعود بهم الحال الى ما كانت عليه الحال بين الايمانية والفلسفة

والذين يفهمون المسمى من الدول يكون موجباً عليهم ان يعيدوا اولئك الى فهم نطاقه لا الى نطاقه – لانهم ، برغمهم ، فيه – وقليلاً ما يستطيعون .. ، وهو هو الموجب القديم .

كانت المسرحية بمثلة بادوارها – اياها – من قبل مع الفلسفة .. وعندما ازمنت الفلسفة زادت منها الأنابة وعظم المتاب .. فحلت محلها الماديات ..

ليست حركة هيغل في دوله الا البرزخ الذي يصل الميتافيزية ، من شططها ، بالايمانية .. وما يعبز هذا البرزخ الا عن التراجع المثالي عن الشطط والضلال بعد طول التيه واستحالة المنال ..

ولكن سرعان ما تناولت المادية دول هيغل لتجعله ماديا .. اما انا فاغرب في الضحك حتى امرض به .. وليس يشفيني الا ان يصير هذا الضحك، وبنفس سببه، شركة شيوعية يساهم فيها اهل الارض كافة ..

ان الدول للكتب السماوية كلها بلا ريب .. محفوظ كل الحقوق ، وقد عبرت به ،بالمعرفة او التعليم ، عن الدول في الوجود المخلوق .. – كما سترى – وطلبت الى الناس الايمان بهذا التعليم ..

وراحت الحكاية بين الايمان والفلسفة على برزخ كان هو المنطق ..

– فالسماء تأبى الا ان تعلم .. بالمعرفة .. كما فعلت ان خلقت بالايجاد ..

– والفلسفة ارادت مائدة مستديرة يتساوى فيها الاطراف .. لانها اخذت كرسي الشيطان .. تنادي منه : لماذا .. – فهي ايضاً قد نسيت حكاية الوجود. لانها لم تصدقها ، فلا تريد ان تبحث على غرارها مسألة المعرفة ..

ما دمت قد خلقت بلا نقاش مني .. فعلي ان اتعلم كذاك بلا نقاش .. او بالمجدي منه ، الذي هو ، سؤل التلميذ

ولكن الفلسفة ابت جبرين في جبر .. فكان منها ما كان .. وراحت منشقة تركب برزخ المنطق ..

وعندما رجع هيغل على برزخ الدول ، لم يصنع اكثر من انه اراد ان يستحي عن الفلسفة .. فيرجع بها الى الايمان ولكن بمشيئة فلسفية .. وبتعبيد للمنطق ..

ولكن الفلسفة كانت قد استحت ، قبل هيغل ، مرات لا تحصى .. ، على المثاليات والمتافيزيات .. وما كان ينقصها الا ان تجلس على كرسي الاعتراف لتحلل من خطاياها ..

كل هذا الذي تقدم .. مضحك .. ولكن الضحك يتوزع على الزمن .. وعلى ما هو الفرق الضئيل كما صار اليه الفرق ، بين الميتافيزيات والمثاليات من جهة وبين الايمان من الجهة الاخرى .. فلا يكون الضحك مرضاً ..

اما ان يعود الاستحياء استنساراً واستئساداً فيهاجم المستحي دار المستحى منه في اشاحة عن الحياء .. من فرط الحياء .. فهو هو المرض .. الذي منه هذا الضحك ضحكاً ليس سواه يعبر عن المهزلة .. من حيث انها مهزلة المأوية ، ومن حيث انها من علٍ ، احبولة الجبر ..

ان خير ما تصف به مريضاً .. ، من فوق الوصف ، هو ان تعرض مرضه .. تلقاء الطبيب والناس .. ، ولكن خير ما تعامل به المجنون ان تلقي في روعه ان الدنيا مستأنية تنتظر أمالي الرشد من اعتداد عقله ..

لست أكتب هذا للافذاع .. ولكن لاني عنه لا اعرف اكتب .. ولاني عنه لا استطيع الا ان اضحك اكتب ..

هكذا استنسرت مادية ماركس الديالكتيكية واستأسدت .. وجعلت من استحياء هيغل عن الفلسفه ومن زلفاه الى الحق .. ومن برزخه المنيب مستحل استعارة تسلكه ممراً للهجوم .

ان ممثلي مسرحية الثورة الفرنسية هم اساتيذ ماركس الذين لا يفارقون احتدام خياله .. ، وماركس رهن بهذه الانتقالية .. لان مسرحية الثورة . تركت فرنسا لتحتل المثار من اعصاب ماركس واحتدامه . فلا عجب اذا اعد كل شيء ، لمهاجمة الايمانية وانتحالها من برزخ الاثابة والمثاب .. انهم في فرنسا ، لم يصنعوا اكثر من هذا .. لقد تركز كل شيء على انه خطأ الملك .. فالملك هو الخباز .. لقد وجب ان يتحدا .. ملكا خبازاً .. او خبازاً ملكاً .. وما على الشعب الا ان يأكل ويثور .. وجنون ان يكون له عمل آخر .

• • •

ان الايمانية وتليها الميتافيزية اقتناع من عمومية وشمول .. ولكن المادية بعد ان قامت مقام الفلسفة ، هي رد تلك الايمانية وارجاعها الى مصدر آخر ، تتحد فيه الملكية والخبازية .. بلا تعب او جهد .. والدول مستمر القيامة في هذه المصادرة على طول التاريخ وفي كل نطاق من المعرفة الانسانية ..

البناء يبني والمورث يجمع .. لتجيء المادية ، ومن قبلها الفلسفة ، لتحتل وتدعي .. ولكن من خلال انها تعارض ..

لماذا هذه الظاهرة ؟!

لان الدول في المعرفة تقدم في العرفان .. وفي طريق الصحة منه .. لا كما تزعم المادية عن الدول انه مات وانقضاء لشيء منقوض .. تليه حياة لشيء مولود ..

ولان الدول في مسألة المعرفة هو من منحنيات الخلق في الناموس واحد بمقادير الجبر ..

ايديل الجبر

صبد القيمة

لننظر في التصريف الذي يصنف الطبقية في العرفان :

١ – فالمؤمنون ، وهم طبقات ، عليهم واحد من النقادير ذو سبل للمعرفة يروح عليها الاتصال .. وهذه السبل محتومة عليهم حتم النور .. ، تحاصرهم بكل ما هم من فكرية وعضوية وجماع حياة ..

٢ – وغير المؤمنين ، وهم طبقات ، اعلاها اقرب الى المؤمنين ، عليهم منطق من الجبر متفاوت التقانين يروح فيها الاتصال بسلمهم الى اعلى او الى اسفل في سلم الطبقات ..

فعلى ضوء ما قررنا عن المادية من انها نوعية ايمانية .. يكون قد تحصل في تصنيفنا ايمانيتان .. :

١ – الايمانية المعروفة السافرة – وهي في القمة من المحور ..

٢ – والايمانية المجهولة (او المجهلة) المقنعة – في اسفل المحور ، وهي المادية .

ان من شان هذا المنطق من الجبر ان يدفع الطبقات بين الايمانيتين دفعاً تستلحق به كل منها الطبقات التي تليها افراداً افراداً ، عن طريق المعرفة والتعليم .. وافواجاً افواجاً عن طريق العملية والتطبيق اللذين هما توأم التعليم . (ليس اكبر من هذا البحث في طبائع المعرفة – فهو موضوع تنصب على دراسته كثرة شبكية شعاعية من العلوم – عند المادية الروحية)

وان من شأن هذا المنطق نفسه من الجبر ، ان يجعل الطبقية اتصال طبقات دفعاً وجذباً .. حيث يكون الاستلحاق استلحاق مآل .. لا استلحاق سياق .. (سيجيء الكلام عن الحرية في السياق ، والجبر في المآل بتفصيل اوفى)

ذلك الدفع يتم بتدرجية صابرة .. خلافي الجماعة العليا من الايمانية .. وهي

جماعة افراد .. لا جماعة جماعة .. - كل فرد منهم قيمة من القيمة بل هو لها عنوان ..

ذلك الدفع يتم بتدرجية صابرة ، خلا في الجماعة العليا من الايمانية او الجماعة الاخرى التي خلقت للايمانية والقيت في غير البيئة من حق الايمان ليكون من اولى الجماعتين **تسرب القيمة الى الانسان** .. وليكون بتسخير الثانية **تحقق القيمة وتاكيدها (وعيها) عند الانسان ..**

الاول وهو تسرب القيمة يكون من الايمانية السافرة ..

والثاني وهو تحقق القيمة - توقيع القيمة - يكون من الايمانية المقنعة وهي المادية.

لماذا ليس لهاتين الجماعتين تدرجية صابرة ؟

ان الجماعات العليا لها عليّة فوق بنفسجية المنطق واخرى تحت الاحمر من المنطق .. فهي ترفض المنطق .. هذا المنطق .. ، الا ان يكون منطق اخطاء عادات اوسلوكية اضطرار غرائز ورغبات .. اي ما بين البنفسجي والاحمر .. بما هو، قيد المنطق .. وهذا عندهم تحت التسامح والاغتفار لا المبدأ والانحصار ..

ولذلك كان التراكم الكمي من المعرفة عندهم مشبهاً ماعند غيرهم من الكيفيات .. لان بطئهم وخد .. وسفحهم نجد .. في طريق المعرفة ..

- وهذا التراكم ، او وحداته ، يصنع لهم الارتداد السريع الى ماضي الكم فيحصلونه جدة تحصيل وقرب تحصيل .. فهذا الارتداد هو نتيجة او طبيعة من الانكشاف للنجد على الوخد .. انهم في طريق المعرفة منورون لا معتمون .. وما يختلفان الا اختلاف الوان النوعية من الاضواء . (لهذا اسباب سابقة من الفكرية والعضوية وجماع الحياة ..)

والجماعتان يهمهم امر الناس .. :

اما الجماعة الاولى فتقدر وتصبر ، وتشرع وتغفر، ويكون منها التعليم وعلى الله التدبير والتقليم .. فلا يكون منها تناقض قط ، وانما ازدياد على مد الخط ..

واما الجماعة الثانية فينقصها الجوهر من الايمانية ، فتنقصها من امامه شيئية الاشياء .. فتموت ، من بعد ، عليها العاهات وتنقضي .. كما ينقضي الخطأ والضلال ..بعد ان تلعب دورها المحتوم..

لماذا هذه الظاهرات ؟!

١ – لان الايمانية في اعلى المحور طبقات ..

أ – طبقة مصعدة عن المحور نفسه .. باثر من تبعيتها للطبقة التالية .. طبقة (ب) .

ب – وطبقة مهمة بالمحور متنزلة اليه – وهذه طبقات فيها الرسالات والنبوات ومن يلي من الصحب ورفقاء الحق وتلاميذ الناموس ..

والايمانيون من هؤلاء ، يروحون من المعرفة في الاتصال فيبصرون الامداء.. فهم يشعرون بالمعرفة دون الدول ..

ج – وطبقة التلقي واللقانات وما يليها من خير الطبقات ..

اما الاولى – أ – فتعود غير مفهومة الا عند طبقتها .. والطبقات المجاورة القريبة بمقدار . – **فالصوفية العليا** تروح الى عبادات او هدر ذات هو الضياع في العموميات .. **تغيب في الغيب ، وتسيب في السيب .. فهي الاطلاق من الحرية والجمال .. والقيم** .. اطلاقاً يصبح الواقع معه هو الغيب ، ويصبح الغيب من عالم القيمة هو ذات الواقع المشهود . وتموت عندها النزغات والخصوصات.. وينقضي العيب والريب ..

افراد هذه الطبقة هؤلاء .. ليسوا يؤلفون جنوناً ..ولاهم من تآليف الجنون.. لان رصد انتقالاتهم محضر مرموق عند بعض النظر الرامق .

وهؤلاء ليسوا يؤلفون ضلالة او انسراقاً من الفكر او الطبيعة ، فهم ليسوا مرضى طبيعة او مرضى مادة او اخلاط او اعصاب.. لان الحق ان هذه جميعاً

مرضى عندهم ،وتحت نظرهم،او هي هي المرض.. وهم عنها ، بالصحة ،مشغولون .. هؤلاء .. ، فيما نقدر ، مقصودون بانفسهم ثم لغيرهم في الحين .. ومقصودون بغيرهم بعد الحين ..

واما الثانية – ب – فأمرها عموم ،هما القيمة ،وتعليم القيمة ،وتوزيع الايمان بالقيمة ..

واما الثالثة فمتعلمة معلمة تنحدر منها القيمة والمعرفة بالقيمة على اشكال الوان الاضاءات من القزحية ..

٢ – ولان الايمانية المقنعة في اسفل الهور طبقات .. ومنها المادية الماركسية .. ولسنا نريد ان نمضي في التصنيف الى اقصاه .. من تفاريع الطبقية .. ولكن لا بد لنا من كلمة حق تقال :

ان المادية الماركسية بقسميها ، وقبل ان تتطور ، اذا استثنينا الانفعالية الماركسية ، – التي سفهت نحت مثلها الثورة الفرنسية – تجيء في القمة من هذه الطبقات .. لانها ، في مصدرها ، نزعة حائرة الى العدالة والخير .. جاهلة حق العدالة والخير .. برّأت من حيرتها وجهلها على الطريق اليهما كل واسطة ..

اننا نقرر اليوم انه **ما من غاية يمكنها ان تبرىء واسطة تناقضها**.. فبئست الغاية لا تنسجم مع طبيعتها الواسطة .. ان الميزان المختوم من حق الغاية وباطلها تخف او ترجح موازينه منذ الواسطة .. بلا انتظار بلوغ الغاية .. ومنذ السلوكية الى الغاية .. لانه ، حتى ببلوغ الغاية .. ، لا حسبان للواسطة في البلوغ لانهـــا لا يمكن ان تكون واسطة في الطريق .. انها ، اذن ، من قبل كما من بعد ، اتحاد مع الغاية .. اتحاد وحدة سابقة دائمة لا صيرورة وحدة ..

– لا خير في حق يراح اليه من الشر فليس هو الحق .. ولا قيمة لسمو يرتفع اليه بالحقارات .. فما هو بالسمو .. ان الباطل في الحق باطل لا ريب فيه .. لانه لا باطل في الحق ..

الواسطة ابداً طبيعة من الغاية .. وما بدا مختلفاً او متناقضاً فانه الاحتيال

القابع في النفس الملتوي بالسلوك .. يبدو للمحتال نفسه من دون الناس .. او يبدو للناس معه .. او يخفى على الناس والمحتال معاً بلا تفريق ..

.. ..

تستلحق الايمانية المقنعة للقناعة بها بعض الافراد من طبقات الماديات المجاورة او انحداراً من الايمانية او المثالية ردوداً لافعال او مركب نقص في الذات او تعباً من اغراق .. الخ .. (ثمة اسباب لا تحصى تضبطها ضوابط محصاة) .

– فاذا تم هذا الاستلحاق امعن المستلحقون في ايمانيتهم الجديدة .. ،فصعدوا منها او انحدروا فيها رسوباً .. فمن كان نصيبهم التصعيد المحتوم .. راحوا طوع الايمان .. والايمان تصديق وثبات في الكليات .. من شأنه ان ينفي ، من بعد ، الدول في الوجود عند المؤمن عفو النفي .. فلا يشعر هؤلاء انهم قد نفوا معه دول مسألة المعرفة .. (ويقتصر الدول عند هؤلاء على مطارح الشك من الجزئيات .. من اجل نفس الثبات في العلميات) .

– ذلك انهم انتقلوا من واحدة من طرائق المعرفة هي الدول .. دون ان يشعروا .. الى الاغراق في ايمانيتهم المادية اغراقاً ايمانياً يخلع على المادة تحت توأم التراثي من الدول كل صفات الوحدة والثبات والقوة .. فهم ، من بعد ، اطمئنانيون لانهم يظنون ، من فرط الايمان ، انهم ما يصدرون الا عنه .. فهم لا يتكلمون الا باسمه .. لانه هو يقول كل شيء منهم .. لقد وصلوا به ووصل بهم الى ان ينعكس في افكارهم .. وهي مرتبة من مراتب الاولياء والصالحين او الانبياء والقديسين .. عند الايمانية السافرة ..

لئن كانت مادية ماركس بلغت هذا الحد من التهجد للمادة والانابة .. فهو ، بلا ريب ، قديس المادة او مهبط وحي كل هذا الركام ...

هذه الحال تقابل الوحي عند الايمانية .. بوحي مشروط للطليعة المـــادية ..

– هذه الطليعة التي تبدأ بماركس سلسلة من الانبياء .. كانبياء بني اسرائيل .. قال لينين : « .. فالادراك .. ليس الا انعكاس الكائن ، وهو في احسن الحالات ،

انعكاس صحيح تقريباً . » ويقول ستالن : « ان مصدر قوة الماركسية اللينينية ومنبع حيويتها ، هو انها تستند الى نظرية متقدمة (١) هي نظرية الطليعة ، التي تنعكس فيها بدقة حاجات تطور الحياة المادية للمجتمع . »

غير ان الايمان المادي لا يمكن ان يحمل على غيبية مادية .. فعليه ، اذن ، ان يكون منجماً على « الطلائع » لتكون « النظرية المتقدمة » هي انجيل المادية .. (٢) اليست الايمانيات كلها ذات « نظريات متقدمة » سالفة تتحدث من الماضي عن المستقبل ؟! فلماذا لا تكون الايمانية المادية ذات تنزيل ، او في لغة المادية ، ذات تصعيد مادي هو « انعكاس المادة » « في احسن الحالات » ؟!

ينبع عن هذا ان ادراك الطليعة هو ، من المادة ، ذات المادة والرسالة ، واذ كان ادراك الفرد من رجال الطليعة رهناً بذاتيته .. واذ كانت الذاتيات ، كالمادة والطبيعة وحوادثها ، مجاميع « متناقضات » و « نضال المحتويات » .. كان على رسول المادة ان يحسن التناقض اذ التناقض « في احسن الحالات .. » سعير جاحم « المحتويات » وان يبدع الكثرة منه قوة تناقض وحيوية تناقض « لتصح » « الادراكات » « والانعكاسات » والرسالات .

٣ – بين الايمانيتين على المحور وعلى جوانبه تقع كثرة من الطبقات من الصعب حصرها حصراً تنضبط معه النزعات .. ويمكن استقطابها كما يلي :

أ – الميتافيزية والمثالية ، وهما مدرستان للوعي .. وديوان التدوين .. وهما تتجران في بعض طرائق حتم المعرفة بافراد هذه الطبقة وببعض افراد النوع الى معاد ايماني .

ب – والعلمية ، وهي تلمذة كاملة مجتهدة ، ما اكثر ما تؤمن وما اكثر ما تشك في حدود مدارسها العلمية ، تاركة للعقائدية وللكليات مصاعد الاعمار ومعـــارج

---

(١) و (٢) انكرت المادية السبق والوحي ثم عادت اليهما بخدعة صادرت بها السبق والوحي لحسابها .. كما يشهد القارىء .

التفكير الاخير .. – وهي تنجر في مسالك حتم المعرفة هوناً الى مثالية او ايمانية .. او تنحدر الى طبقات المادية ..

ج – والعملية تلمذة يروح فوقها العفو من الحياة والتعليم لتحصله الذهنية او اللدنية الحاصلة بالتفلسف او التعقيب المنجّم .. وهي تلمذة منتمية لتلمذات شتى متعرضة لكل هبوب يصعب حصر افرادها في طبقة .. لانها طبقة حائلة متوزعة وتجيء المادية تصعد عن العملية والعلمية وتنزل .. متراوحة تراوحاً مستمراً .. لان المادية ، من بعد ، رسوب من كل الطبقات يتحصل عندها من الايمانية والميتافيزية والعلمية والعملية .. او العلمية العملية .. رسوب من الافراد والجماعات .

– ولكن ما اكثر ان يرسب الى المادية من الطبقات الثلاث افراد هم من اكابر تلك الطبقات ..

هؤلاء مرضى غيب المعرفة .. لا مرضى ذوات .. فهم في الذاتية فوق الشك والشبهات .. اخلاقية من اجلها يتعب الدين وتكل المثاليات فلا تنجب منها الا الحفنات .. اكثر هؤلاء ايمانيون اولون يجهلون انهم مؤمنون ، هؤلاء مرضى الغيب .. وحب الغيب .. فهم لا ينكرون منه الا ان يكون عنهم يغيب .. فتكون الظاهرة عليهم الكفر .. ويكون الباطن عقدة من عقد الايمان .

دول الجهالـــــــة

وضوح الجبر – مقولات السماء

اذا كنا نحن الذين نعرف ، فهل معرفتنا اطلاق وصحة من المعرفة ؟. هل نحن امناء ؟

يجب ، اذن ، ان ندرس انفسنا .. اجل ، يجب ان ندرس ما به ندرس ، ونعرف ما به نعرف .. فنحن نجهل العارف فوق جهلنا المعروف .. فكيف نحن ؟ وكيف نحن امناء ؟

ها نحن ، اذن ، في صميم كتاب الوجود .. كما كنا في صميم مسألة المعرفة .. فالمعرفة محمولة على الوجود ،فهي ..،الينا ، هي معرفة الوجود ..

يجب،إذن، ان ندرس (دواليك) الدرس .. اي ديالكتيك الدرس .. يجب ان ندرس الذات موضوعاً ثم نجعل دارس الدارس مدروساً .. و(هلم جرا) الدرس .. وهو ما نفعله .. وهو هو ما قد فعلناه ..

لقد كان هذا هو الدول « الديالكتيك » الجبري ، في الحصولية ، على طريق المعرفة .. فهو ، اذن ، دول جهالة .. اي ديالكتيك تخلص وانسلال من الجهالة .. لا دول معرفة .. وهو ، اذن ، استمرار تحرر من الجاهلية .. لان المعرفة تامة وثابتة ، ليس عليها دول ولا لها ديالكتيك ولا حصولية الا على الجهالة ..

– ولقد كان الدول الجبري في الحصولية من طريق المعرفة ، وقبل التسمية ، مسألة ازدياد من المعرفة .. ولقد كان هذا هو المسمى الذي اراد ان يتناوله اوان (يتمطى) اليه ، بعفو الاشارة ، معنى الكلمة (دياليغو) ، فلم يمس من جبره ،

فاكتفى بالفرح منه بصبره .. ولاعجب **فالمعرفة علينا نحن، حصول ووقوع .. بقضيان الصبر .. ومع الصبر النزوع .. لمحض اننا نقترف منهـــا نجوم حصول واقساط وقوع .. فالمسألة، كانت وما تزال، مقدار ما نطيق من المعرفة .. لا مقدار ما هي المعرفة ..**

لقد كان هذا هو المسمى الذي اراد ان يتناوله معنى الكلمة (ديالبغو) فلم يطق ولم يقدر ..

ـ تلك الكلمة التي هي مصدر كلمة الديالكتيك الهيغلي ومقترحها ، ولكن تحت التصديق للدول الاصيل الجبري بلا صراحة .. ، فقد كان الزهم من قبل انه بسماه ، وباسماء شتى ، « يتم ميـــلاد الحقائق التي بها النفوس حبالى » ..

ـ وذلك الدول (الديالكتيك) الذي يروح تحت التراثي من التثنية فيه ، لا من وحدة المعرفة .. تلك الوحدة التي لا تثنية فيها ..

ـ هذا التراثي الذي يشمل ، بمعناه وقانونية سلوكه ، المنطق ازاء الفكر ، ولغة الفلسفة وتراجيح الفقة والعلم والعمل ، :

١ ـ مدفوعاً بالشك الميتافيزي، ـ الذي هو ، بالاصل ، الشك البشري ـ او

٢ ـ مدفوعاً بتلك الصفة في الانسان التي لا نسميهـــا الان ، والتي تنشد التأكد والتحقق ..

ـ تلك الصفة التي استجمع سقراط (السيد حقاً والذات حقاً) كل عناصرها القبلية في مقولة واحدة رائعة هي :

أ ـ المقولة التامة عن قبلية المعرفة البشرية ومبدأها ، لا على البعدية والطريق . و

ب ـ مقولة المبدأ (البدء) الاول الاوحد والخطوة الاولى البكر في الفلسفة الام الوالدة (الحكمة) . و

ج ـ مقولة المعرفة البشرية الحقيقية، الجامعة المانعة في موجبها المثبت القويم

وسلبها السخي النبيل ، والتي تتبع مقولة الوجود الواجب الحق . و

د – مقولة الاقرار الكامل ، لا ادعاء فيه ولا زعم ، التي فيها حجة المقر على نفسه ، حجة تؤيد اقراره ؛ والتي فيها كل عقد العزم والنية على تلمذة صالحة مخلصة ..

تلك المقولة الشهيرة العدل والحق : « .. **أعرف شيئاً واحداً ، وهو انى لا اعرف شيئاً .** »

تلك المقولة التي عبرت عن التراثي من الدول في جبره وصبره .. وعن الدول ، على الانسان ، في مبدأ وقوعه وامره .. وعرفت الايجاب اذ يبدأ من السلب عبارة احتياط واعتراف .. ومست الذات والموضوع اجمل مس بالقيمة بلا كبرياء ..

اما ما كان فوق الدول ، وفوق التراثي ، فهو الوضوح التام للجبر من المعرفة والوجود اللذين شرعا طريق القيمة – حيث القيمة تشاء – بلا ريب ولا رياء ..

وهذا الوضوح مؤمن خالص ، لا تطرف فيه ريبة ، ومدبر ، لا يتلامع فيه تراء ولا دول .. غامر غامر لا يتسرب اليه حوادث ولا هول .. مطمئن ثابت لا يترقب ، في ايجاز ؛ العطاء الا لانه صلة من المعطى ؛ صلة اتصال بين العطاء ؛ تستمر عنها الذكرى ويمتد منها الاحياء (١) .. فهو بقبل لا ترقب ..

---

(١) – الاحياء ، الذكرى التي تعيد السلفية بكل قوتها .. كأنها تكر من جديد ..

وهو الطمأنان اعتمادو غناء.. لا الخاف قلق ورجاء ..، كتب احد المتأدبين (١) الى المرأة التي يحب منها القيمة.

« ... واذا كنت في بحر منك . ولا اعرف له من نخوم .. »

« ـــ فاي شيء لي بما وراءه ؟. واي عدم وراءه يستحث التجائي !! »

« ـــ واي فراغ خلفه يغريني الا بان احب ضعفي واستوطن آلامي .. »

وطن لا غربة .. وأحد لا عدد .. وأبد لا ردح ولا صدد .. انظره على استواء الابد ، وحدة نفي واثبات ، وكلمة شمول وعموم ، تستفرد كل كسر وخصوص ،:

١ ـ « قالوا (٢) : سبحانك !.. **لا علم لنا الا ما علمتنا** انـــك انت العليم الحكيم .. »

انها مقولة المعرفة الحق والجبر المهيمن الحق .. : العلم ، ما علّمت وما تعلّم .. بأي السبل تفعل ، لا غير ولا سوى ..

٢ ـ « أما (٣) انت يا دانيال فاخف الكلام (٤) واختم السفر (٥) الى وقت النهاية . كثيرون يتصفحونه **والمعرفة تزداد** (٦) »

٣ ـ فقال (٧) لهم **قد أعطي لكم ان تعرفوا سر ملكوت الله** . واما الذين

---

(١) ـــ هو مؤدي هذا الكتاب .. (٢) ـ القرآن ـ البقرة ـ ٣٣ .

(٣) ـ دانيال ـ ١٢ ـ ٤

(٤) ـ طالع التثنيات حيثما وجدت في هذا الكتاب ، واحتفل ببحثي التراثي والشك البشري . . وبالكلمتين حيثما طرقنا في هذا الكتاب .

(٥) ـ المعرفة مختومة . سابقة وتامة ،

(٦) ـ المعرفة البشرية تزداد ، من سفر خفي مختوم .. لا يزداد ..

(٧) ـ العهد الجديد ـ مرقس ـ ٤ ـ ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠

هم من خارج فبالامثال (١) يكون لهم كل شيء . لكي يبصروا (٢) مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا . »

« ثم قال لهم اما تعلمون هذا المثل(٣) ، فكيف تعرفون جميع الامثال. الزارع يزرع الكلمة وهؤلاء هم(٤) الذين على الطريق حيث تزرع الكلمة وحينما يسمعون يأتي الشيطان (٥) للوقت وينزع الكلمة المزروعة في قلوبهم . وهؤلاء كذلك هم(٦) الذين زرعوا على الاماكن المحجرة، الذين حينما يسمعون الكلمة يقبلونها للوقت بفرح (٧) . ولكن ليس لهم اصل

---

(١) ـ بالامثال ، اي بالجسد دون المجرد . والمادية استلحقت كل التعاليم واجهاتها فصحت كلمة الناموس من «السيد» ـ فالماديون هم « من خارج » اذ كان للمادية كل شيء بالامثال .. بالجسد .. وفي المادة .. فبرغم الابصار والسمع لم ابصر ولم تفهم ..

(٢) ـ انظر ـ التراثي ـ

(٣) ـ المثل هو الذي قدمه «السيد» في مطلع هذا الاصحاح : « اسمعوا هوذا الزارع قد خرج ليزرع . وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فجاءت طيور السماء واكلته .. وسقط اخر على مكان محجر حيث لم تكن له تربة كثيرة . فنبت حالا اذ لم يكن له عمق ارض . ولكن لما اشرقت الشمس احترق . واذ لم يكن له اصل جف . وسقط اخر في الشوك . فطلع الشوك وخنقه فلم يعط ثمرا . وسقط اخر في الارض الجيدة فاعطى ثمراً يصعد وينمو . فاتى واحد بثلاثين واخر بستين واخر بمئة . ثم قال لهم : « **صوت لم اذنان للسمع فليسمع .** »

(٤) كلمة «هم» اضافتها الترجمة .. وهي لا لزوم لها .

(٥) ـ توغل في معاني « الشيطان» مهتدياً بتفصيل « السيد » عن المثل ـ

(٦) ـ «هم» هذه زائدة ، ويجب نقلها حيث تصبح قبل « الذين حينما يسمعون »

(٧) ـ كان افق الكلمة اليونانية «دياليغو» يصل الى حد .. فلم تبدالعربية ولم يظهر السبق ليعلم منها الجبر ، فقد لوحظ ان مجرى الجدل والبحث يلد المعرفة ولادة ويحصلها تحصيلا.. وهو افق متعلق بالانسان لا بالمعرفة ، فالجدل لا يخلق المعرفة ، والمعرفة الناقصة قائمة عند

في ذواتهم (١) بل هم الى حين (٢) . فبعد ذلك اذا حدث ضيق او اضطهاد من اجل الكلمة فللوقت يعثرون .(٣) وهؤلاء هم (٤) الذين زرعوا بين الشوك (٥) . هؤلاء هم الذين يسمعون الكلمة وهموم هذا العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الاشياء تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمر (٦). وهؤلاء هم (٧)الذين زرعوا على الارض الجيدة الذين يسمعون الكلمة

المتجادلين ، واحدهما ينتصب معلماً للاخر دون ان يدريا .. وقد يهبط مستوى المعلم عندما يكتشف التلميذ في سياق البحث تناقض مقولاته . وقد كان التناقض يقتضي سقوط المقولتين المتناقضتين او احداهما ، **فان هي المعرفة ان لا تتناقض ، كما هو هي الوجود ..انه لا يتناقض ..** ان المادية الديالكتيكية ترى المعرفة والوجود دولا وحولا « تغيراً » واستمرار « تناقضات » و « نضال متضادات » فالتناقض ليس عيباً في المعرفة عندها ، واذن فهو ليس عيباً في الوجود .. بل هو ما هي المعرفة وما هو الوجود .. ولكن اذا كان الوجود غير متناقض قط كان لا بد ان المعرفة الكاملة لا يطرف فيها التضاد ، لانها لا تحتوي جهالة ، خلافا للمعرفة الانسانية التي يجيئها التناقض ويساورها من الجهالة مع المعرفة ، اي من نقص المعرفة ..(من عدم زوال كل الجهالة) لان الجهالة لا معرفة فيها ، اي الجهالة بلا معرفة ، عدم لا يتناقض ..

(١) - : انظر حديثنا المتقدم عن سقراط

(٢) - : لان معرفتهم الكلمة رثاء معرفة.. والرثاء الى دول فانقضاء.

(٣) - كان « السيد » يعرف - بالناموس وبالجبر - هؤلاء الذين يعثرون .. ويتنبأ لهم بعثراتهم ونوعيتها .. لقد كان يعرف النفوس والضعف البشري كله .. كأنما جبل الانسان في حضرته..فتأمل..

(٤) - «هم» هذه زائدة

(٥) - هؤلاء هم الماديون الغارقون في حاجات الجسد .. الذين يقومون وجودهم ومعرفتهم ضمن هذا التفصيل الذي فصله « السيد » من هموم هذا العالم .. وغرور الغنى .. وشهوات سائر الاشياء.. انهم تحت مطامع المادة .. فهم عبيد ..

(٦) - وهيهات ان تثمر الكلمة القيمة التي هي الثمر لا سواها ..

(٧) - «هم» هذه زائدة ، ويجب نقلها حيث تصبح قبل « الذين يسمعون الكلمة »

ويقبلونها (١)ويثمرون (٢) واحد (٣)ثلاثين وآخرستين وآخر مئة .»

(١) ـ قبول الكلمة هوالايمان بالقيمة ، والصعود فوقهموم العالم وغرور الغنى وسائرالشهوات .. من اجل تعليم القيمة وحمل كل الاعباء في سبيل القيمة .. قبول الكلمة هو ان يئس الانسان للقيمة وبالقيمة .. وبالاجمال هو انقضاء «الانا» ومصلحة « الانا» بلا توقع ولا ارتقاب ..

(٢» ـ ان القيمة باقية لا تخسر نفسها ، ولايكون احد الا بها ، وبمقدار قبولها يكون اثمارها..

«٣» ـ وهذه رياضية رائعة عن ثمر الكلمة .. فهي تثمر القيمة في الانسان ، حيث يزداد الانسان قيمة من الكلمة عندما تزرع فيه .. لا من ان الكلمة هي قلة تصبح كثرة بالنمو في الانسان ..ـ كما هو فهم ويليم جيمس ـ ولكن من ان الانسان ، تحت مس القيمة ، ـ وهو زرع الكلمة ـ تتفصل عنده المعرفة .. يتعلم ما لم يعلم .. مما هو معلوم عند المعلم .. من قبل ، وليس هو يخترع المعرفة .. اعد النظر في المقولة السماوية : « اما انت يا دانيال فاخف الكلام واختم السفر الى وقت النهاية . كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد .. » وفي المقولة التي تليها : « قد اعطي لكم ان تعرفوا سر ملكوت الله . واما الذين هم من خارج فبالامثال يكون لهم كل شيء .. الخ » الكلمة هي هي .. ولكن المعرفة بها تزداد .. لا تعمقاً منا في المعرفة ولكن تعمقاً من المعرفة فينا .. ولكن لكي يعطى لنا ان نعرف « سر ملكوت الله » يجب ان نكون بين المعطى لهم ان يعرفوا .، يجب ان لانكون « من خارج .. »

احدية الجبر ، قدر القيمة السابق قضاء لاحق ، الرضوان عن الله وعن الجبر ، ماهو الغيب .. وماهو الشهود

لقد اتضح ان مسمى الدول طريق (١) للمعرفة ، طريق جدد معروف مسلوك .. اطلقت على اطواله واعراضه ومسالكه (على اقطاره) اسماء شتى .. على انها طرائق .. وما كان من جديد الا ان تكون التسمية جدة .. فهذه التسمية للطريق تعبير عن علاقة العارف بالمعروف ، وهي علاقة قديمة سابقة ، علاقة مخلوقة مقدرة ، فلم يبق ، اذن ، الا التعبير .

ان التعبير متراوح ، فاذا بلغ الاوج البشري ، لم يكن ، ازاء التعليم ، اكثر من تحصيل الحاصل او قصة عن الحاصل الماضي عند الانسان فهو حكاية وليس الا حكاية ..

وهو قصة عن الحاصل الماضي ، عند الانسان ، تعين ، في فهمه ومعرفته ، لا ابتداعاً من الوجود .. ولكن تعين قدرة فوقه تفعل وتريد من احاطة وهيمنة وسلطان ..

وتبدو القدرة ، في حكاية الانسان عنها .. ، انها واعية عامدة .. او غاشمة ، مثله ، عند نفسه ، ومتداعية .. (يدعو بعضها بعضاً) يتعب هو في تقنينها .. ووضع ضوابطها وضعاً كما لو كان هو خالقها .. مع انه لا يقنن وانما يلاحظ ويجمع ويعرف ويعبر .. وقد اوتي ان يفعل .. ولم يملك الا ان يفعل .. فهو لا يخلق

«١» ـ انا حتى الان مضطرون الى اعمال الكلام تحت التراثي لكي لا تقطع الصلة بيننا وبين القارىء فيستحيل الفهم .. ان القضية ليست في اننا نحن نتقدم في المعرفة ، اذ المعرفة طريق .. ولكن في ان الحقيقة هي ان المعرفة تخترقنا .. فنحن الطريق بمعنى الكلمة الاصيل من « طرق » .

حتى فهمه ومعرفته ووسائط فهمه ومعرفته .. – فتكون التقانين والضوابط معبرة عن معرفته للوجود .. لا عن الوجود .. ومعبرة عن انضباط الوجود .. (من قبله أو من بعده .. حسب فهمه ..) لا عن حقيقة ناموس الوجود ..

فهذه القدرة والفوقية والفعل والارادة والاحاطة والهيمنة والسلطان والوعي والعمد والتقنين والضبط، تدخل ، برغم الانسان ، لتثبت في الانسان .. لاتزول .. ولتخلد لا لتدول .. وهو وحده الذي يدول .. وكل تلك تمس الانسان من القيمة .. بلا خيار ..

ان امر مداخل القيمة الى الانسان امر يستوقف فكره .. فهي – اي مداخل القيمة – دانية .. اقرب اليه من نفسه .. « اقرب » اليه « من حبل الوريد » ، وهذا القرب علة شكه .. فهو يريدها ، تحت الشك – اي بفعل الشك – ، مواطنة .. او هو يراها – باحساس داخلي – ، بالقرب منه او حوله .. فيتهم بها المادة او يحملها المادة والواقع ، كما فعل ماركس ، ذلك انها هي – القيمة – حقاً لا تساوره الا بالتعليم ، على اشكاله ، – هذا التعليم الذي يمسه مواطنة ومجاورة وكأنما هو من المادة ..

انه مما لا ريب فيه ان طائلات القيمة ، في سابق التقدير ، واجدة سبلها الى المادة قبل ان ينشأ الانسان .. وهذا الاختراق سابق في التقدير .. فلا بد من ان يكون .. وهو ادل على قدرة القيمة .. وكمال القيمة ووحدة القيمة .. وهو مما يلزم عنه الخلق العمد .. لا لحوق التسلط من بعد .. ، ومما يلزم فيه دقة عموم التركيب وتوافق خصوص التفريق ..

ان التعبير عن الجبرية المهيمنة هو نطق الناموس ، من الانسان ، كل الانسان ، بلغة .. وليس الناموس .. لان الناموس تفوز متفضل ليس ينتظر لتفوزه ، ان يستلحقك بر الفهم او نجعلك عليه المعرفة .. ، – فأنت ، برغم

أنك تجهل ، لا مفر لك من الوقوع في اهبولة من أهابيل المعرفة ، فالرغم عنك ان تعرف هو ذات الرغم عنك ان تتخلص من الجهالة وتتحرر.. وهو نفوذ الناموس ..

– ولقد فصل السيد المسيح بالمثل المتقدم نفوذ الناموس ابدع تفصيل .. لن يكون من بعده الا ادراكه والا هو .. ، وهو ما هو القدم والثبات والقيمة وادراك الناس يتضمن التزامه والوحدة معه .. فهو هو التفصيل .. من قبل ومن بعد .. واذ هو راجع إلى خالقه .. كان السياق الى وحدة مآل .. الى مصير ومرجع .. اليه الرجعى وعنده القرار .

اما طرائق جبر المعرفة ، غير طريق الايمان ، فهي نفوذ الناموس ، لا ابتداع الناموس نشوءاً وارتقاءاً وتقدماً .. ولا خلق الناموس اووضعه من الانسان .. ، ولكنّ من الرحمة ان يخيل للانسان – بالتراثي – انه يفعل . أليس هو حقاً يجهد... :

– في تحصيل القيمة ، في نفس الحين من انها عطاء .. وحتم عطاء ..

– وفي تثبيت القيمة عنده .. بينا هي ثبات وجبر ثبات ..

فيكون الأجر وتكون المكافأة على ما اجبر عليه من تقبل العطاء ..

انه لا بد من رضى الانسان عن الله .. – هذا الرضى الحاصل بالمداورة من قبل ، برضاه عن نفسه .. – – وهذا الرضى الحاصل بالمباشرة ، من بعد ، من المعرفة

– لان هذا الرضى عن الله ، هو وحده الذي يتم به العقد العادل بين الخالق والمخلوق ، (العقد الذي عقده الخالق بلا اذن من المخلوق « المعدوم » .. لامتناع الاذن ..) باجازة لاحقة من كل مخلوق ..

– هذه الاجازة اللاحقة لزوم في سابق التقدير .. يعبر عنه ، من

بعد ، لحوق الرضوان عن الله ، « رضي الله عنهم ورضوا عنه . »

قلنا ان طرائق جبر المعرفة ، غير طريق الايمان ، هي نفوذ الناموس لا خلقه وابتداعه من اللدنية الانسانية .. ونقول ان التراثي يظل فعالا فوق هذه الطرائق لتتحصل المعرفة وليتحصل من المعرفة الايمـــان .. وليس من هدف آخر .. :

« **وقضى ربك** » قضاءاً واقعاً وفاق القدر وانطباقاً على القدر « **ان لا تعبدوا الا اياه .** » سواء ، بالرضوان ، بالمباشرة من العبادة – كما يفعـــل المؤمنون – او بالمداورة منها قبل الرضوان .. – كما فعلت المادية .. –

– اما بتلقي الكلمة من « زارعي الكلمة .. » أو بتثبيت الكلمة في مادية الانسان .. مدنيات .. ومغرب ثواني ثنائيات .. (اي مغيض الجهل ومغيبه) .

لا خيار لنا في الاعجاب بالقيمة والانصياع ..

ان مسألة عدم تمثل القيمة في السلوكية مسألة ضعف ..

– لان **علاقتنا بالقيمة مسألة علاقة قبول لا بخالجه رفض .. فلا نملك الا القبول .. ولسنا نفعل سواه ..**

فالمباشرة هي الدين .. ويليها ، في التصنيف (التحاقاً) – لا في الوحـــدة (تحققاً) ، الميتافيزية ..

– والمداورة هي العلوم الفيزية او الحياة في التعلم .. في سور المعرفة المختوم .

وكلا المباشرة والمداورة متصلان .. واتصالها بالتنزل والتصعيد ..

١ – المباشرة عبادة هي صحة في العلية :

أ – تعبد العلة الاولى عبادة ايمان . و

ب – تبحث في العلل البعدية بحث تشكك .. ، وهذا القسم هو العلم الفيزي

الذي تتصل منه المباشرة بالمداورة بالتنزل ..

٢ – والمداورة تدرجية عبادة .. فهي كسر عبادة ، – ولكن من انها كسر معرفة وايمان –

أ – تتسلسل من الادنى .. فتعبد الواقع الاخير .. او المادة الحاصلة .. او المعرفة في الآن ..

ب – وتبحث في التسلسل العلّي .. في اتجاه العلة الاولى .. بحث تشكك ، يؤدي بها الى جحود .. تحت التراثي .. يمتص العلة الاولى ، بالظاهرة ، لينحلها المادة .. او يرتفع الى الميتافيزية .. فيبحث ما وراء الظاهرة .. من ابد خفي اكيد .. يريد له الظهور الاكيد .. وقد لا يصل البحث بالباحثين الى اتصال عرفاني بالعلة الاولى قط .. ،فان وصل بهم فالى الميتافيزية او الايمان ..

وهذا القسم هو مؤدى الواقع في سياق المآل .. ويتضمن – ١ – المثاليات واقطاب التقانين في تشتيت .. – ٢ – والاخلاق في غير جزم رباط واحد .. – ٣ – والحقوق الموضوعة .. ، وهذا القسم هو الذي تتصل منه المداورة بالمباشرة .. بالتصعيد ..

(لا مناص من الملاحظة ان الميتافيزية قد تبدأ من المداورة وتصعد .. وقد تبدأ من المباشرة وتنهد ..)

هذا هو الجبر بعينه .. والجبرية هي أنك بين العدّ الاولى وبين المادة .. – المعلول الاخير لن تخرج عن حيز المعرفة ولن تهمّ .. لانها تحصيل برغمك .. تحصيل الاحاطة، لا تحصيل المطاردة واللحاق ..

– فأنت خلقت .. وبرغمك ..

– وانت لا معدى لك عن ان تعرف

– ثم انت لا معدى لك عن ان ترضى ..

أما الترائي ، نفسه ، أي – زوجاه – فظاهرة محتومة من التثنية والازدواج .. من الزوج المستصحَب .. الذي استصحبه الجبر النافذ .. (استصحاب افتراض) (١)

والزوجان في الظاهرة ، لا النقيضان – كما توهمت المادية – هما : –

جهالة وبعض معرفة مُعطاة .. عطاء على الجهالة .. إغداق ..

وعجز وبعض مقدرة مُمكنة .. تمكين على العجز .. إحداق ..

وهو .. ، ليس هو من التناقض .. كما زعمت المادية ، تحت الترائي .. رجعية زعم ، وكما فهمت من الترائي .. أدنى فهم .. خلال تفسيرها العالم تفسيراً ظنت أنها ، به ، من بعده ، تغيّر العالم ..

وإنما هو .. : من الوحدة والتفرد بالعرفان والقدرة .. على الجهالة والعجز ..

– وحدة وتفرد بالعرفان والقدرة .. ليس يقابلهما من الجانب الآخر شيء أو نقيض .. ولكن عدمُ شيء .. لا طارفة فيه لشيئية فضلاً عن النقيض ...

وليست القضية ، اذن ، تحت هذا الجبر في ان نفسر العالم .. او في ان نغير العالم .. ولكن القضية في اننا كنا (٢) المثل الأدنى الذي لم يخلق .. لنكون ، بالخلق ، المثل الادنى المخلوق .. ثم إذا نحن ، من كل هذه الدنى ، نعرف ان « لله المثل الأعلى »

– ولا سبيل لنا .. الا واحد .. هو الايمان ..

– الايمان بالمثل الاعلى الواجب الوجود (٣) والعلم .. (المعرفة)

• • •

كل ما تحت الترائي يؤلف الظاهرة .. ظاهرة الدول ..

– ولكن أحدية الجبر المستصحِب .. هي الحقيقة .. وهي فوق الظاهرة ..

---

(١) انتظر كتاب « الوجود » لفهم هذه الكلمة ..

(٢) الاصح ، لو يمكن التركيب .. ان نقول : « اننا لم نكن المثل الادنى » بل الافتراض الادنى ..

(٣) لقد تركنا الكلام تركاً .. وأخذنا مسألة « الواجب الوجود » مسألة مسلمة حتى لا نخلط ، في البحث ، بين مسألة « المعرفة » ومسألة « الوجود » ولسوف تجيء مسألة « الوجود » في كتاب مستقل .. متعامل مع أدنى « الواقع »

وفوق التراثي .. هي الغيب ..

وليست الظاهرة إلا منها بالمساورة .. ظاهرة دول .. من الفقر الى الاغتناء ..

ـ فليس الدول ، اذن ، رجوعاً عن معرفة .. ولكنْ ازدياداً من المعرفة .. حتى يؤول من السياق الى المآل .. عرفاناً بالقيمة .. هو القيمة التامة .. لاشية فيها من الوشلية والكسر والسلب ..

ان التراثي حال .. ليست من كل التقنية .. لان فرد التقنية ـ القيمة ـ لا يتحول .. وليس فيه الحال .. انه أبد مآل .. ومعاد .. وأزل علم وسداد ..

ان المساورة تصنع الظاهرة .. والظاهرة أزمنة ايجاد .. وكلمة خلق .. هي توهج اقتدار .. فهي اذن عبارة اقتدار القدرة .. وحصولية نشأة .. فهي خليقة تكوين ..

سبـــاق المـــآل

الحوْلُ والطول

ان الجبرية – ، من انهاجبرية عموم ، اي ناموس ، – تعم طرائق يتوزع بينها الاختيار – (الاختصاص) على افراد النوع ..

– فهي ، في جبريتهاعلى النوع ، تتفرع حريات انتقاء واختيار .. يسلك الفرد ،من النوع ، منها ما يشاء ..

نحن الآن ما نزال في مسألة المعرفة .. ونتعمد جهدنا ان نمسك ونكف عن تشعب مسألة الوجود .. فلا ضير من الصبر .. ففيه كل الخير .. وانه ، لمن الجبر.

ان هذا التعمد منا .. يمنعنا ، ماوسعنا الامتناع ، من بحث المضارعات والمصاحبات .. ولولا التعمد والصبر عليه .. لانقطع الكلام .. ورحنانخاطب بالصمت من اعماق التأمل في المعجزة الواحدة .. ، امّ كل المعجزات .. ، من الاحاطة المبدعة ..

لقد رحمنا بالعقل .. (١) ولكن اين الرحمة به من سعة الرحمة بما هو الجنون!!

هل تحدثنا عن الحرية والاختيار والانتقاء ؟ !

لا بأس .. انه الحديث النافر من الرحمة بالعقل .. فصبراً حتى نلج مسألة الوجود .. فاذا بلغنا ، هناك ، معاً – نحن مع القاريء – مطرحاً من سعة الرحمة من الجنون .. تغيرت اللغة واستبدلنا بكلمات الارض وحى الصمت من اطراف السماء .. اننا ، اذ ذاك ، في عالم الغيب نكون ..

هل تحدثنا عن الحرية والاختيار والانتقاء ؟ !

---

(١) – نحن لا ولع لنا بالعقل .. فهو ، عندنا ، ضرورة بشرية ابتدائية .. انه اللجام مع الجماح .. في الحيوانية .. والبشرية الابتدائية .. ، اما في الانعتاق .. ومراقي الحرية .. فالعقل تخلف وانطراح انه القيد الذي يزول .. والذل الذي يدول ويحول ..

ليس هذا الاختيار صحة اختيـــار .. انه ، تحت التراثي ، رحمة بالعقل ومسكة اصطبار..

خلّ عنا .. مسألة الاختيار فوق التراثي .. فلنهبط .. الى ما تحته .. على ان لا يستعجل مستعجل فيقول اننا تولينا التناقض .. وما تولیناه .. **انها نسبة بيننا وبين القارىء المنصف .. فاما عان حين ادين اديناه**

ان الجبر علينا ان نعرف ، اخو الجبر علينا ان نوجد ..

ليس واحد منها غشم جبر .. ولكن كل واحد منها عدل جبر في انه عطاء جبر .. وجبر عطاء ..

– فمسألة الوجود تعالج هذه العمومية في الوجود .. ولكننا استأخرنا مسألة الوجود .. فلا نستطيع ان نسابقها في مسألة المعرفة ..

ان الجبر علينا أن نعرف عدل جبر .. وصدق أمر ..

وليس الجبر بعدية أمر .. من بعدية جبر .. أنهما قبلية .. من التقدير يلتزمها القضاء ..

اننا ، ابداً ، لا نتكلم عن طريقة مقبلة .. لاحقة .. يبتدعها الانسان طريقة حين هو يظن انه يبتدع .. وحين هو يغتر انه يخترع ..

اننا ، ابداً ، لانفعل نفعل – اللهم إلا الخطأ .. – ولكننا نسمي طرائق سابقة .. نحن فيها جارون .. ونتبين قوانين سالفة باقية .. هي علينا سارية .. ليس فيها ، بالنسبة لنفسها ، كما يتبين لنا ، من بعد ، – غموض ولا إجهال .. نسمي طرائق حاصرت الانسان حصار الجبر ، فلم يبتدع ، هو ، في حصارها اي بدع .. وهي ، جميعاً ، طرائق علية مرصودة تنسب الانسان ، وليست اليه تنتسب .. ، وتنسب افراد الانسان كلاً الى معسكر اسره الذي يختار .. وترقمه .. وهو حر ان ينتقل الى معسكر آخر .. دون ان تكون حريته في المعرفة .. انها حرية في الطريق ..

انه حر ان ينتقل الى معسكر آخر .. هو اسر آخر .. فهو حر في انه عبد ـ وهو عارف ـ في انه ـ جاهل .. وهو نائم ، لا في ما هو النبه .. ولكن في ما هو الهدى المبين ..

ان المقولة الرائعة في الوجود والمعرفة محيطة محدقة .. كالقدر .. تعي وتسع .. وتجمع وتمنع .. وتحد وتقطع .. جبراً على جبر ..

« قال فمن ربكما يا موسى؟. قال ربنا الذي « اعطى كل شيء خلقه .. ثم هدى .. (١) »

ان العفو ، من المعرفة ، الذي لا ندريه (ثم ندريه) يكون عفواً ثم نعيه .. وان الوعي (٢) ، فينا ، ليس سبقاً ولا سلفية .. ولكن لحاق .. واستراق ..

والدول ، اذن ، حصول من التعاقب بين العفو والوعي .. وهو ، اذن ، من الجبر على النوع .. يضمنه اي يقضيه (قضاءاً) معسكر اسر ..

فالدول قضاء من قدر .. ونفوذ من الجبر .. وليس هو نفس القدر أو الجبر ..

ان المعرفة الانسانية من المعرفة .. وليست هي المعرفة ..

ـ وبعد: فالعفو .. ، سواء كان عفو المادة ، اي مهيمناً علينا من اللدنية المادية الحاصلة .. كما تزعم المادية ، او من هيمنة عليا عن المادة وعليها .. ، كما هو مقال الايمان .. ، هو سلف وقدم .. لا حصول وتقدم .. ولكنه .. ، في طريقنا نحن ، حصول وتقدمية .. :

شيء لم يكن لنا .. او منا .. او علينا .. فكان ..

ـ فمن اين اتى؟! هذا في المعرفة ..

---

(١) ـ سورة طه : ٤٩ ، ٥٠) (٢) ـ الوعي اي الاستيعاب .

اذا كان « الفكر يخرج من الكائن » (١) فمن اين دخل ؟!

انه ، في التوحيد المادي ، لا يمكن ان يقابل هذا السؤال بغير الحذلقة او السكوت .. فاللجوء ، من بعد ، الى غشم القوة الخرقاء .. اي الى تجنيد البروليتاريا .. لتقديمهم للذبح دفاعاً عن افكار ليس مسرحها ان تمثل على شهود المسرحية والممثلين بالخراب والدمار .. وليس مسرحها الا ان تبقى احجية او معضلة للحل من قبل العقلاء .. وهم الذين لا يحاربون .. وهم الملجمون عن الجماح .. الذين يعطون الى غيرهم الجماح والسلاح ..

انه ، في التوحيد المادي ، لا يمكن ان يقابل هذا السؤال بغير الحذلقة او السكوت ..

لان « الفكر » في « خروجه من الكائن » او « المادة » « يعكس » « الكائن » او « المادة » و « يعكس الواقع » وليس يتمم الكائن او المادة او الواقع .. وليس يقدمها .. وليس يطورها .. انه محض انعكاس .. في البدء .. فلماذا هو ؟!

ولان « الفكر » في « خروجه من الكائن » او « المادة » .. إنما « يعكس » فيها ما ، نحن نفهمه عن المادة والكائن والواقع .. وليس يعكس ذوات المادة والكائن والواقع .

ـ **فالفكر هو** ، اولا وآخراً ، **ذات الفكر .. لا ذات المادة** .. لتظل ذوات الكائن والواقع والمادة بعيدة ، بعداً ما ، عن « الفكر » وهو « في احسن الحالات » بالرغم من انه « انعكاس صحيح تقريباً » .

لنفرض ان عن المادة فيلسوفاً كبيراً ، كبر المادة ، واتعبناه واعجزناه .. فماذا عسى ان يقول ؟!

لعله يقول : ان « الفكر » في « خروجه من الكائن » لا يدخل ولا يخرج .. وما هو الا « انعكاس » الكائن والمادة والواقع ..

وماذا هذا المقال ؟! انه ايضاح عن الرأي .. فصاحة من صاحب الرأي وبلاغة تظل هي هي الرأي .. لا تأييده ولا برهانه ..

---

(١) - هذه المقولة لفورباخ .. وهي المقولة التي طار بها ، ماركس ، فرحاً الى اسفل المادة ..

ثم .. لنفرض صحة الرأي .. وان « الفكر انعكاس » .. ان هذه الدقة .. ، مهما بلغت ، بعد المشقة ، مصاحبة وجناس .. لا وحدة واساس ..

عرفنا ماديين آخرين .. كان فهمهم ادق .. برغم ان انقلابيتهم ، هي الاخرى، تفاسير جحود ..

– ولكن هؤلاء يسهل التعامل معهم لانهم لا يدعون ان ماديتهم « تاريخية »، ولا يقولون ان معرفتهم قطعية، ولا يظنون انهم يتنبأون .. – مثل جيمس الذي قال في نفسياته : « نحن نهرب ثم نخاف .. » ليعبر عن عمل العضوية الخوف وعن تدفق المفرزات انفعالا بالهرب .. اما الهرب فماذا كان ؟ لعله تعقل يعقبه الخوف !! ولعله حكمة او شجاعة نابعة عن الحلم طرزها الهرب بالارتعاد !!

لماذا لا يشبه الهرب الشوط او السباق في المضمار ، شدة شكيمة وجدد مضي؟! ولماذا ينفرد الفرار بالرعدة والرجفة والاصفرار !! هل عمل العضوية واحد ؟! والمفرزات ذات المفرزات في الزهو ، بالجهد ، والافتخار .. وفي المذلة من تولية الادبار .. وهل تشكلات معارف الوجه وحدة تشكلات .. في العار والانتصار والشرف والانكسار !!

عرفنا ماديين ، منهم جيمس ، ارادوا الفكر حصولا عن المادة .. وهتاف اخلاط .. هؤلاء يتناولون الفكر الذي هو فكر الانسان .. لا القوة التي تسجم الامكان . وهؤلاء باحثون في الارض لا يدعون ركوب الجوزاء ولا نطح السماء ولا سن الشريعة الغبراء ..

– وهؤلاء هم في المعرفة البشرية يمضون .. وفي كتابها يقرأون .. اما كتاب الوجود فانه يقتضي معرفة الوجود ..

والبراجماتزم هذه ، اذ صارت فلسفة ، لم تصنع الا شيئاً واحداً .. هو انها قلبت امتداد افلاطون .. فاخذت مثاله الازلي من الوراء .. ورمت به الى ابعاد الامام لتلحق به .. وهكذا كان إله جيمس يستمر يكبر مع جيمس او يركض امامه ..

لئن صحت المسألة من ان الفكر حصول عن المادة.. وهناك اختلاط.. فهو الحصول، لا المادة.. وهو الهناك لا الاختلاط.. وهو الخروج لا الدخول وهو البعض لا الكل .. والعرض لا الجوهر .. والظاهرة لا الحقيقة ..

وبعد .. عن اي شيء يعبر الانعكاس ؟ ..

انه يعبر عن « المحتوى الداخلي ».. وماذا فيه ، عند المادية ، الا «المتناقضات» و « المتضادات » « المتناضلة » التي « ينقهر »منها « شيء » ويموت « ويضمحل » ، و « يولد » منها شيء « لا يقهر » !!

حسناً .. هذا هو الدول .. ولكنه لا يعبر عن نتيجة ولا عن سداد .. ولا عن عمد ، ولا منه عن امتداد .. انها المقدمة نفسها بلا هدف تعاد .. والحال ذاتها بلا تصميم ، يعد ويحسب ما افاد .. انه الدول الاعمى بلا تقدم ولا ازدياد .. انه ليس الدول الذي نعرف .. والذي يطل الجبر به ويشرف ..

ونحن لسنا قط بسبيل ان ننفي ان يكون الفكر الانساني حصولا عن المادة او في المادة .. ، **فليست الفكرة في الاطلاق ان تساور الخليقة من غير طريق.. وان نعطى الخلق من مستحيل الصنع عطاءاً غير رفيق** ..ولكننا بسبيل ان يتضح ان الحصول انما يكون تحت سبق التقدير والتقنين .. فهو انفعال ، وطريق اتصال .. بين الخالق والمخلوق ..

وماذا قلنا نحن ؟ لقد قلنا في تفسيرنا المعرفة .. انها تعليم .. وانها عطاء .. ولا تناقض بين العطاء واستمرار العطاء .. ولكن الترائي فيه تثنية من العطاء على الفقر والمعرفة على الجهالة .. ليست تثنية تناقض وتضاد ..

– فالمعرفه المساورة على الجهالة هي ، عندنا ، ما يؤلف « المحتوى الداخلي » وليس في هذا تناقض ولا تضاد .. ولا نضال .. وانما عطاء على اعواز ، واغداق

على ظمأ واحتياج .. تظهر فيه ظاهرة الدول ، وهو دول الجهالة والفقر والظمأ والاحتياج ..

... فالدول هو الدول في مانحن نقول .. لافي ما المادية راحت تصول وتجول لان كل دول وكل خطوة تقدّم بالدول في داخل التوحيد المادي (الوحدة من المادة) يعيدانك الى نفس السؤال .. : هذا الفكر الذي خرج من الكائن او المادة .. من اين دخل ؟! واخيراً يكون السؤال .. : لقد خرج هذا التقدم او المعرفة من الوحدة المادية الكونية الكبرى .. من الكلية المادية .. فمن اين دخل ؟!

– فان كان منها دخل ، كما منها خرج .. اي ان كان هو انعكاسها .. منها وفيها .. فهي ليست بحاجة الى معرفة مضافة .. لانها تامة المعرفة بسبق .. ولن تحتاج التقدم والتمام بجيئانها من الدول .. **إذ يمتنع عليها بعد كل العلم ان تعلم .. وبعد تمام التمام ان تتم** .. او تتقدم نحو التمام والكمال والاحاطة .. فعبثاً تفعل .. وجنوناً تتضاد وتتناقض وتتناضل .. وخرقاً وغشما بعد الكلية والوحدة ان تنقسم تثنيات .. ومحتويات .. قاهرة منقهرة بين احياء منها واموات .. واجتماع فيها وشتات .. ومناعم وويلات ..

ليس الدول في المادة ، ان كانت للمادة لدنية عريقة .. والدول ، في هذا الافتراض ، ان صح ، انما يقع في اخذنا نحن عن المادة وتعلمنا منها .. اي الدول على المعرفة الانسانية .. ، واذ كنا نحن من المادة .. بل نحن في « تفكيرنا » « نتاج المادة الاعلى » كان عجيباً ان يسري علينا دول اي دول .. وكان عجيباً ان يكون للمادة « نتاج اعلى » وآخر « ادنى » .. وكان اعجب ان تلد « الانواع » وتتسع « بالتطور » هذا الاتساع . وليس اقل عجباً ان نجهل من علمها وسبقها وتمامها وقبليتها جهلاً نحتاج معه الى الدول ..

– **فلا بد** ، اذن ، **ان المادة بنفسها جاهدة جهلنا وعمياء عمانا ولاحقة**

لحاقنا و ناقصة نقصنا و متقدمة تقدمنا .. وهي بحاجة مثلنا الى الدول يجيئها منه ايجابه ، ويهبط عليها امره وارتغابه .. لانه ليس فيها منه الافرد التوأمين العقيم ..

وبعد : فليس يصح الفرض وليس للمادة لدنية من قبل ..

ليس الدول في المادة ، اذن ، اصالة .. في كل حالة ومقالة .. فهو من غير المادة يجيء .. ، وليس هو منها لدنية ذات او وجود او معرفة . ولكن فيها منه السلب والانفعال ويجيئها توأمه بالمس والامر والعطاء .. **فالدول بالنسبة للمادة اكتساب ايجاب .. وطرح سلب .. فهو اليها ربح مفقود ومعرفة مجهول وتسلسل انتقاء جهالة .. وخسران افتقار ..** ولذلك هو ، تحت التوائي ، ظاهرة او حال تنتج من اندحار واحتلال .. الاول زوال .. والثاني هو هو الثبات ..

ان الدول ، تحت التوائي ، حال وسياق .. لاثبات ومآل .. ولكنه حال وسياق يتوزع عليهما الاختيار من التعدد .. وينفرد فيهما الجبر من التوحد .. التوحد الذي هو السبق .. والذي هو هو المصير ..

هذا ما نمضي في سياقه مجبرين .. عفواً او وعياً .. والفرق يروح بين الافراد على النوع .. **اما الاختيار فليس ينفي الجبر .. ولكنه ارتفاع الى الجبر .. وارتضاء للناموس .. فغياب فيه .. ووحدة معه هي قبل المصير اختيار المصير .. وهي بعد السبق تعلق بالسبق .. و كلا هذين معاً .. يصنعان السرمدية .. حتى في شعور الانسان .. فيموت عنده الزمان .. ويزول المكان .. وينسى ، في**

هذا الخلد من العطاء ، ضرورة العدل وحق القسط .. فهذان قبل الخلود .. ومن اجلهما كان الزمان وانتصب الميزان ..

هذا ما نمضي في سياقه مجبرين .. فان كان لنا فيه الخيار .. فوقع عليه منا الاختيار .. فما هو بعد بالسياق ولا الجبر .. انه المآل والمرجع والمصير .. انه الحرية والاطلاق ..

هذا ما نمضي فيه .. تحت الدول او فوق الدول .. وهو هو الطريق اذا آمنا .. واذا لم نعمد الى التصديق .. والفرق في الطريق لا في الحقيق ..

« ولو طار جبريل ، بقيّة عمره ، من الدهر ، ما استطاع الخروج من الدهر »

الانقلابية الماركسية ومولد المذهبية الخاطئة

لقد قلنا ، في مطلع البحث ، عن المادية الثانية (التاريخية) انها عبارة عن امتداد المادية الاولى (الديالكتيكية) وتعديها حدود الطبيعة والحوادث الطبيعية الى الحياة الاجتماعية وحوادثها ، فهي سيادة ما اعتبر انه شريعة على الطبيعة ، شريعة على الحياة الاجتماعية .

لو ان الواقع ، في الداخل الماركسي – في ساحة النفس ، وافق هذا الترتيب وصادقه ، لما كان منا ان نعنى بهذا الفصل الصغير ، لانه ليس من شأننا ان نتعرض الا للمرض دون الصحة التطورية .. ولكن الواقع ان هذا الترتيب قد انقلب في المذهبية الماركسية ، حين نقله من ساحة النفس الى التدوين المذهبي .

ولو ان الواقع ، في الداخل الماركسي – في ساحة النفس ، وافق هذا الترتيب وصادقه ، لما نشأت عند ماركس نفسه هذه المذهبية في الخطأ والضلال .

ان المذهبية الماركسية قصرت حتى عن ان تكون « انعكاس الواقع (١) » ، فكانت ارتداداً ورجعى الى الواقع السابق .

---

(١) يقول ماركس : « ليست حركة الفكر سوى انعكاس الحركة الواقعية منقولة الى دماغ الانسان ومستقرة فيه .

ان المادية الديالكتيكية ليست هي التي اتسعت ، في الداخل الماركسي ، وامتدت فصارت الى المادية التاريخية تطوراً وتكاملاً.. ولكن الاخيرة هي التي بدأ بها ماركس ، ولم يبدأ الا بنصفها الاخير اى (التاريخية) ثم جعل التاريخية مادية .. وانحدر ، من بعد ، الى الطبيعة بمنحها الدنية الديالكتيكية .

لقد كان عفو ماركس اشد من وعيه فاوقع الناس في اعجوبة المادية، مستفيدين لتقرير عجبها ، من العفو الماركسي البالغ ..

ليس جعل الديالكتيك المثالي ماديا في صياغة ماركس ناشئاً عن محض مزج ديالكتيك هيغل باساس فورباخ المادي .. او باضافة ، هي تسليط مذهب النشوء والارتقاء على هذا المزيج.. ولكنه ، الى حد هائل، متأثر بعفوية ماركس من واقع الداخل النفسي الماركسي السابق الذي هو التاريخية والفلسفية – المحصلة العلمية السابقة – ثم ملابسات حياته العامة ، متفاعلة مع دوافعه الخاصة السخية ، التي آلت ، بتاريخية وفلسفية وعلمية ، اولا ماديا .. ، ليس بمعنى المادية في البدء ، ولكن بمعنى التطبيقية والعملية وايقاع الفكر (جعله واقعاً) وتجسيد العدالة ، جعلها راهنة في واقع المعايش .. ثم انحدر الى الطبيعة فالمادة .. فرسب وساخ .

لقد كانت تبقى المادية الديالكتيكية – لو كان بدأ بها – عبارة عن طريقة علمية باكونية بعد تحويلها او تكثيفها من التصعيد الهيغلي وقبل تطعيمها بمذهب التطور او مع هذا التطعيم ، فالطريقة الباكونية ما تزال تعيش الى جانب طرائق المعرفة في المخابر وغير المخابر ، كما يعيش مذهب النشوء والارتقاء ،، وعلى غرارهما كان يمكن ان تمضي محاولة المعرفة على الطريقة المادية الديالكتيكية لو انها كانت طريقة للبحث والمعرفة .. ولكن اين من هذا المصير الواعي شخصية ماركس اندفعت بعفوها في المعمعان السياسي ؟! واين ماض لماركس هو كل ما يمت به ماركس الى مستقبله .. لانه هو هو « رأس المال » كتابا ينكر وينفي الرأسية

والمالية ، وزمانا يثبت كل نفسه في حاضر ماركس ومستقبله وامال ..

نحن اطفال نعيش ونتعلم ، وخير ما فينا اننا اطفال تلاميـــذ.. وماركس واحد منا و «رفيق» في الطفولة والعيش والتعلم ..

لقد كان ماركس شخصية تتعلم .. فما كان اجمل لو تبدت لنا تعلمية اخ بشري على انها تعلمية !! نفيد منها ما نفيد .. ونلتذ منها القصة مما لا نفيده.. ألم نرد على الحياة كما ورد ؟ اليس من حقنا ان يترك لنا المورد وليس فيه ،على التعلم ، عبوس المعلم .. ناهيك بزجر الشرطة وقمع الجيش باسم التعليم ..

لنعد الى البحث : ان مذهب النشوء والارتقاء مذهب الدنية الارتقائية الطبيعية – في الفهم العلمي – الذي ليس من شأنه ان يفلسف نفسه او يفتش عن غيبيه وورائه ..، فهو ايضاً ديالكتيكي ، حمل الدول على الطبيعة مستورداً اياه من الفهم والطبيعة دون ان يهمه ما اذا كان الحاصل الطبيعي هو تحصيل ارتقاء لدني كمين ،من الداخل المادي ،او هو تحصيل من غيرية ورائية لا يراها..، ودون ان يناقش ، قط، ما اذا كان هذا الارتقاء ارتقاء قط ، من وجهة النظر العليا ، او تخلفاً ، او ثباتا ..

ان مذهب النشوء والارتقاء يتضمن الدول ، وان لم يشعر به وان لم يقل به ، او هو هو.. بفرق ان دوله في الزعم ، دول وجود ..

وقد الم ابن خلدون الى المذهب ولم يؤسسه طريقة ولا حقيقة .

وان الطريقة الباكونية هي نفسها الطريقة التي عاشت في الدعابة من تحقيق الجاحظ .. وهي هي ، قبل الجاحظ ، طريقة جميع الاطفال ، الصغار والكبار ، الذين لم ترهقهم العصا ، ولم تخصب مزارع عصي امامهم في الاحلام والاوهام(١)

ماذا بقي من الطريقة واين هي المعضلة ؟

الواقع ان مسألة الدول الهيغلي ومسائل الفلسفـــة والحقوق والاقتصاد ،

«١» – ما اكثر ما تصنع العصا اذ تمتد ذكراها في المستقبل حياة هي جماع في السلوكية الناقمة.

هي التي كانت تشغل ماركس وتحتله .. فكان يصعد في كل هذه جميعا .

– ثم ان ماركس قرأ مذهب التطور، وكان مشغلة العصر ، فاعجب بالروعة التي سجلتها الارصاد المخبرية والتتبعات للانواع (Species) ومال ، ميلاً بعديا ، الى علوم الطبيعة ، فاستلحق ما فاته منها استلحاقا اعاده الى الارض وربط في عينيه الارض بالسماء.. ولم تكن قبله الا مربوطة ..

لقد كانت « عملية » ماركس ، إذ هي الطاعة الطبيعية للعفوية ، النشأةَ الاولى التي جعلته يبدأ ، الى جانب أعماله العامة ، بنقد « فلسفة الحق » لهيغل . والواقع ان محدثات الثورة الصناعية لم تكن ، قط ، أقل من صراخ متواصل يصم الآذان عن كل فلسفة للحق لا تقفز من احضان الكتاب ومن صفوف سطوره لتتجند في جيش التعزية والمواساة الانسانية .. وكان هذا الصراخ ينتزع الانسان (الذي هو انسان) من مهدئه ومن غرار نومه ، فضلاً عن انتزاعه من مطولات الفلسفة وحذلقاتها ، ليدفعه دفعاً غير رفيق ليكون إنساناً أي عملياً ..

لقد كان ذنب هيغل عند ماركس اختصاص هيغل وعملية ماركس .. – هذا بالرغم من أن ماركس ، فيما بعد ، لم يفعل ، هو الآخر ، الا ان اختص .. أيّ ايّ اختصاص ..

لم يكن ماركس لئيماً ولا امرأ تنطع وتسكع ، بل كان امرأ عفوية وحس مرهف وشعور ما أسهل أن يُحتل ويُستقر فيه .. وكان طبيعياً أن يستصرخه البؤس والتعطل . ان التعطل لعنة على الغني المليء فكيف هو مع المتربة والعول؟!

– لقد كان طبيعياً أن يصرّف شقاء البشر فكرية ماركس وملكاته .. فمن كان منا لا ينصرف الى هذا الشقاء ولا يمضي تحت دق عفوه .. فليس انساناً ولا شيئاً ولا عدماً ..

– ولم يكن قد ابتعد الزمن بماركس عن الثورة الفرنسية الكبرى .. انه في ذيولها وتراثها واتصال حياتها .. التي قرأ والتي يشهد، قراءة المتعطش الى البطولة.. ومشاهدةَ البطلِ الذي لما يصر ، البطلَ الذي صار وتوطد .

وبعد فان متجه ماركس ، بلا ريب ، كان متجهاً مقترحاً عليه ومُلحّاً به على كل ما هو الرجل الأنسان الذات .. بل انه كان مفعولا لمتجهه لا يملك منه ان يحيد ولا منه أن يستقيل ..

ان من جمال الذاتية وان من حق الذاتية ان البطل برغمه بطل .. يضيع في أمر الذاتية فلا يكون هو منها الا صدى الأمر ذاتاً وموضوعاً واصالة ووقوعاً..

ولكن أين الخطأ ؟!

الثورة الفرنسية ! تلك المثل الأعلى ! إذن فلا سبيل .. الا الثورة .. لكل النشدان من العقابيل .. هو لها .. زحفاً او ركضاً او طير أبابيل .. وانه لامرؤ عفو شجاع ..

–آلثورة« الفرنسية»؟..تلك التي زُرعت،من قبل، في انكلترا ، بطء زرع ، فنبتت فيها لوائح حقوق وتعهدات!!ثم اذا هي دستور وبرلمان..ويولد منهـــا في انكلترا بنون وبنات وأحفاد وحفيدات، هو هذا الأرث القائم فيها الذي نراه

– أهذه هي « الثورة » التي لم تقم قط هناك ، قد امتدت تحت أجاج المانش أو فوق غاربه لتنبُتَ شيئاً غيرها في فرنسا يغذيه منها طيش الدماء ومدى جماح البغضاء .. فاذا هي العسف والغشم والعماء .. ثم تستحيل عبودية رعناء .. الى فتى ، ليت منه القلب – لا الجسم – مثل قلوب النساء .. ، يسقي أوروبا من نفس الخمير الذي تنبت ولكن بعد أن جرى في العروق جرياناً هو هو الدماء ..

– الثورة التي أصلها قبس صار جهنماً جمحت عن حدود التعلم والاقتباس ؟؟

لقد كان عدلا من عدل الناموس – والوجود حق وعدالة مقاييس وحسبان – أن يتم الرجوع عن كل هذا الجنون والضلال والهراء عـــلى يدي « ولنجتون » ويتدخل من محض البساطة في مطر السماء ..

أجل .! الثورة ..! – فهو لها .. وليكن ما يكون ..

ولكن ماركس ليس ميرابو ولا بايلي Bailly ،وليس هو دانتون ولا روبسبير .. وأولى أن لا يكون مارا Marat أو ديمولان Des moulins .. انه كيف آخر ..

هو ذاك .. ولم يكن ماركس من القراصنة (١) ولا من الاباحيين ، فاذا كانت الآلة علة التبطل لانها من ملحقات رأس المال فعليه ان يسن القانون الذي به يلغي رأس المال ..

ولم يكن ماركس مجرماً ولا سفاحاً .. فاذا كان لا بدمن الثورة .. فلا بد ، قبل الثورة ، من سن القانون الذي يشترع الثورة او لا مناص من اكتشافه ..

وبعد .. فالعصر مملوء بـ « التناقضات » (٢) فلا بد ان الطبيعة بها مشحونة ..

وبعد .. فالعصر كله « نضال الطبقات » (٣) فلا بد ان كل العصور على التاريخ كانت عين هذا النضال .. ولا بد ان الطبيعة نفسها ليست الا «نضال محتويات» (٤)

وبعد ، فهذا التناقض والصراع والتطور السريع كله مصداق مايجري في ساحة النفس من ماركس ، وبسرعة غريبة .. وبدون تدخل من ماركس او توجيه .. وهو اذن الدليل، الذي ما بعده دليل ،على ان المادة تعمل منا .. ونحن متفرجون ..

ولما كان لا بد من الوعي .. فليكن وعي ماركس كله .. تدوينياً ونظريته مادية .. هي ترسيب هذه الرؤى والمشاهدات ، وهي تأريخ للواقع الماركسي ثم حمله على الطبيعة ..

هكذا .. جئنا .. فوجدنا في في قراءة الوجود قراءة ترين عليها اللعنة ويغوص فيها العذاب .. ويأكل كلٌ كلاً فما فيه، لولا الضعف، الا ذئاب ..

وإذن .. فالظفر للارتقاء وللتقدم كما تقول التطورية وكما لابد ان الطبيعة تقول ..

فلنتقدم اذن الى التناقض والنضال والثورة باسم تلك الغاشمة العمياء .. الطبيعة ..

لقد تمت الشريعة .. فلم يبق الا التوقيع والا التوقيعة ..

...

لم يبدأ ماركس بالطبيعة والمادة بل انتهى اليها مستجيراً مستجيراً من ضلالات

---

(١) أقلهم الا القرصنة الفكرية ، وهو معذور .. لان « الكائن » الذي « يخرج منه الفكر » لا يعلم من اين دخل .. (٢) و (٣) و (٤) مصطلحات المادية الديالكتيكية .

الفلسفة وقد بدلته جلوداً غير التي انضجت له من جلود ..

لم يبدأ ماركس بالطبيعة والمادة بل انتهى اليهما.. واذ تراءى له انهما اسعفتاه، عند ما طاف بحديقة الأنواع واصولها من ذلك القدم البعيد، فقداهداهما كل انتاجه لتسمحا له بارض من المادة يؤسس عليها بنيانه ..فانه بات يخشى السماء، ويكره السماء واكذوبة الاله وعدل الآله .. من لماركس بتجديف عبقري عملي..!!بتجديف لم تسعفه به المادة .. انها لو فعلت، لكان اهاب بالناس ان يخرقوا الارض ليغلقوا عليهم غلافها من وجه السماء ..

راح كارل يبدأ مذهبيته من المادة والطبيعة منتهياً الى التاريخ .. وكان ذلك على رجعى « رجعية » من نشأته وتسلسل حياته .. وتآليفه واشتغالاته..فأنه بدأ من الفلسفة والتاريخ والحقوق ..

قفز كارل الى المجرد، برغمه، ثم جسد..مع ان الاحياء يتدرجون مجسّدين ثم يصعّدون ويجردون ..

واذ كان كل ما عليه الناس هو هذا الشأن ، فقد عمد ماركس الى منتهاه فجعل منه المبتدأ .. وسنرى انه لم يستطع ان يتخلى قط عن الخبر .. فلنترقب خبره كل مترقب .. لان المادة .. تلك الخرساء .. فكيف تنطق وماذا تقول ؟!

لقد استعار لها ماركس لساناً هو« نتاجها الاعلى »..الفكر .. « الذي يخرج من المادة » « المترفية المتطورة » « وهي في احسن الحالات » وهو « يخرج انعكاساً للواقع » من « رجال الطليعة » قوانين تعبر عن الطبيعة وإرادة الطبيعة..وتشترع للمجتمع وتصنع المستقبل..،صناعة وعي، وعياً جديداً من لدنها بعد الغشم المديد!!

اما نحن فنستغرب .. لماذا ظلت ساكتة عن قوانينهـــا . اذلك لحدوثية تلك القوانين ؟! ام لحدوثية « النتاج » و « الانعكاس » و « التطور » ؟!

اللهم لا هذا ولا ذاك .. ولكن الحدوث من ماركس لا غيره ولا سواه ..

« انه ليس في الامكان » – الا عند المبدع – « أبدع مما كان »

وصبق الناموس

قلنا مرتين ان المادية الاولى ممتدة في الثانية ، وان الثانية ، هي تعدي الاولى حدود الطبيعة والحوادث الطبيعية الى الحياة الاجتماعية وحوادثها ، فهي سيادة ما اعتبر انه شريعة على الطبيعة شريعة على الحياة الاجتماعية .

ان ضمن هذا ، في مفهومنا نحن ، ما يعني ان القانون الذي يعم الطبيعة هو نفسه القانون الذي يعم المجتمع .

واذن فاما ان يكون هذا تمثيل سلطان القانون على الطبيعة ، على مسرح المجتمع ، او انه ليس يكون تمثيلاً ، ولكنه نفس سلطان ذات القانون .

١ – التمثيل

انه ان كان الاول – اي تمثيل سلطان القانون الطبيعي تمثيلاً على مسرح المجتمع (اقتباساً – كما في الاستفادة من التشريع الاجنبي) –

– فالقانون نفسه قاصر النفوذ بنفسه .. ليس يتضمن ، حتى الافتراح بالتزامه التزاماً اختيارياً من الجميع .. فاين هو نفوذه ؟! واين هي قانونيته ؟! ناهيك بالفرض اللدني والسريان

– والطبيعة ، من ورائه ، قاصرة باثرة ، صادفة عن الانسان لا عضوية بينها وبينه ولا انسجام .

أ – فليس يستطيع القانون النفوذ بنفسه ولا الطبيعة يعنيها او تريد ...

ب – ولم يستطع القانون هذا النفوذ قبل ماركس ..

ان في هذين معنى عجز المادة ، في الماضي ، بسبب ما من دناءتها او ابتدائيتها

او بسبب من عدم اختصاصها ، من قبل ، بالقيمة والفكر .. وان اختصاصها ينحصر بمادية الانسان.. فهي تقدم له الطعام والآلة وكل الوسيلة وهو حر في الغاية.. حر ان يستعمل القوة مما افاد من الطبيعة للنطاح او لمصارعة الثيران او لركوب الخيـــل او للحرب والضرب .. او للشعر والادب والفلسفة والدرس والتعلم والتهذب .. وهو حر ان يستعمل الآلة وكل الوسيلة لتدمير المدن والقرى .. وللقتل والظلم والبغي او للبنيان والانشاء فوق السحاب وتحت الماء ..

١) – فالسبب الاول ، اي دناءة المادة وابتدائيتها ، يعني انها قبل ماركس ، لم تكن قادرة على ان تنعكس فكراً او انها انعكست فكراً دنيئاً ..

أ – فان لم تكن قادرة .. ان تنعكس .. فهو العجز الماضي قبل ماركس..

ب – وان انعكست فهو النفوذ لا التمثيل .. وبحثه سيجيء .

ونحن الآن في (التمثيل) واذ ذاك يكون ماركس قد كذب اكذوبة كبيرة .. عند ما قال : « ان الفلاسفة لم يقوموا حتى الآن الا بتفسير العالم ، اما الآن فالمهم تغييره » فهل كان متوقفاً عن التغير ؟ ! هل كان بحاجة الى مغير ؟ ! هل هو من نفسه لا يتغير ؟ ! (انظر صيغة تغيير لا تغير ..) فالمهم ، هو « تغييره » بفعل فاعل ؟ ؟

٢) – والثاني ، اي عدم اختصاصها ، يعني انها

أ – ان كانت غير مختصة بالانسان فلا بد من قبول فكرة عدم اختصاصها او رفضها

(١) – فالقبول يعني ان على الانسان ان يختص بشؤونه وقضاياه وان يعنى بنفسه دون ان ينتظر استقراء القانونية الطبيعية ، ودون ان ينتظر الاستفادة من شرائعها .. وان يعتبر نفسه متحرراً من الطبيعـــة ومن غيرها ، او ان يتلقى القانون من غير المادة والطبيعة ..

(٢) – والرفض يعني ان الانسان عاجز عجز الطبيعة ، وعبـد عبوديتها ..

والخير له ان يستسلم لاول سيد .. او يعني انه قد اعجب بقانونها ، فهو، كذلك ، هو الاستسلام .. وهو الايمان للطبيعة والمادة .. فما على غير المستسلمين الا ان يتدبروا .. وما دام المستسلم يفتش عن اول سيد .. فليكونوا هم السادة .. ان استطاعوا ..

ليس التمثيل ما تريده المادية .. رغم انها في الواقع :

١) – تنصرف الى ايقاع القانون بيدها ، وهو عدم انتظار القانون ان يوقع نفسه .. ان يقع من لدنه .. ويشبه هذا بالطبع عدم الايمان بنفوذ القانون من نفسه .. بل يشبه انه الايمان بعدم اختصاص القانون .. – وهنا تنعدم المقابلة بين الخطأ والصواب .. فلا نعرف ان ما نطبقه ونوقعه هو انطباق القانون .. او هو الخطأ ومخالفة القانون .. اي جهل تطبيقه .. فالقانون يكون واحداً .. ومع هذه الوحدة ، ما اكثر ما يختلف رجاله ويتناقضون في تطبيقه ..

– وهنا يرتع الاستبداد في وضع القواعد والضوابط في خصب الفوضى والتعسف .. كما يرتع التطبيق في معسفة اخرى ومضل مديد .. ويلتحم الخطأ والصواب .. في نسيج شريعة التناقض ..

٢) – تعني ما ينطوي تحت التمثيل من قصر وجهل في الطبيعة والمادة .. ونقدمية .. ، بعدية ، هي لا تعبر الا عن ماضي التأخر .. لا عن القانون ، ولكن المادية تعني السيادة الحقيقية والسلطان ..

– هذا ، برغم انها لا تتصور هذه السيادة الا للتناقض والتضاد والنضال .. ، (سيادة حائلة دائلة .. وسلطاناً متغيراً منقضياً .. – وليس هذا هو القانونية)

– وهذا ، برغم انها – وقد شطرت التاريخ شطرين .. ما قبل ماركس وما بعده .. – قد اعتبرت الشطر الاول تفسيراً للعالم .. والثاني تغييراً .. (فانتفت سيادة القانون الواعية عن الشطر الاول .. وظلت علاقة القانون بالعالم مسألة دراسة القانون ومعرفة الطبيعة لا نفوذ القانون وانعكاس الطبيعة .. وانتفت سيادة

القانون اللدنية على الشطر الثاني ، لانها اصبحت سيادة غير مباشرة يمثلها بالمداورة رجال اختصاص هم رجال الطليعة .)

– ومعنى هذا انتفاء تمام الفهم والمعرفة في الشطر الاول ، وانتفاء القدرة على التغيير في الشطر الثاني ، وراحت المسألة مسألة تنفيذ لا مسألة نفوذ .. وكلاهما قانونية فوضى ليست محكومة من قبل واع مسؤول ، لا قانونية قانون او نظام .. وراءه مجبر قهار .. وقانونية الفوضى هي اشتراع الغشم والاستبداد واستمرار ادعاء الفهم الصحيح والقدرة على التغيير .

وكل هذا ليس تفسيراً للعالم .. ولا تغييراً .. وانما هو الاستهزاء بالعالم واللعب عليه والتحذلق فوق جماجم الأولين والآخرين .. إنه باطل العالم لاحقه .. وما هو بالبدع .. وما اكثر ما يحدث .. ثم هو ، من بعد ، يحول ويدول ويزول .. وشريعته من الدول ، اكثر من ايامه لا تعد ولا تطول ..

٢ – وحدة القانون على الطبيعة والانسان .. وعمومية السيادة والسلطان .

وانه ان كان الثاني – فلا بد من النظر من عمومية القانون ووحدته ونفوذه وسيادته وسلطانه ..

إذا صحت وحدة القانون رحنا ننظر في مواد القانون وطائلات هذه المواد ..

إن الخصوص لا يعم .. والمادة من القانون ليست كل القانون .. وإذن :

– فان العمومية تنسلخ عن المادية وعن الطليعة الواحدة بهذا الموجب من الخصوص ، وتروح النظريات والمفاهيم ، كلها ، ذات قيمة يستفردها ويربدها النص من المادة القانونية المعناة .. وتروح الطلائع من غير الماديين ذوات عمل في الحياة .. وفي التاريخ من بعد .. كما من قبل .. وتروح السيادة في الفكر تعاون افكار بلا احتكار او استئثار ، برغم الظاهر من التناقض والتضاد .. وتتوزع السيادة على مواد القانون مما هي الطبيعة وكل « نتاج » مما تنتج الطبيعة .. وكل « انعكاس » مما « يعكس الواقع » – الواقع القيمي الذي ينعكس فهما جزئياً ضحلا .. والواقع

الاعلى المنعكس من الطلائع ..

تتسع الآفاق ولا تضيق .. كما هو المقصد من تعدد الطريق .. والقانون سائغ بالسعة والعمومية كالآفاق .. والقانون على الطبيعة .. ، اذن ، في هذا التنوع ، في افراده ومواده ، مقصود متعمد .. فلا حاجة للقصر والضيق ولا للنظر المفرق بين جديد وعتيق .. ولا ضرورة لتحكم الاسلوب المادي في المعرفة ولا لقصر المعرفة على طريقة الديالكتيك ..

وهنا يتغير معنى الواقع .. فالواقع نسبي وعديد .. مقدار ما نحن .. ومقدار ما نفهم .. ومقدار ما نتقدم (اي بالفعل ..) ومقدار ما نطمح .. (اي بالطاقة) — فالطبيعة لا تعني الا مقدار ما يفهم المرء من الطبيعة .. وكذلك القيمة والذات والموضوع والحياة والمجتمع .. **فنعيش بعد الماركسية .. كما كنا نعيش قبلها .. ونستمر كما لا بد اننا نستمر ..** نتدخل نحن، في السعادة والشقاء.. ونصنع نحن، باختيارنا وقسرنا ، بصوابنا وخطأنا، السلام وغير السلام .. ونتعلم .. فلعلنا نفيء الى الخير ، يوماً ، بالايمان بالخير .. لا تحت الترائي من الخير .. الذي هو المصلحة والمطمع لا الخير .. ولعل بعضنا يفيء الى الخير والحق بالقانون حتى يتعود الخير والحق والقانون ..

ليس صحيحاً أن التاريخ قد تحول يوماً من نقطة .. فما كان التحول الا الظاهرة من تحت الجبر ، ترائياً .. لان عمد الفجوة مستمر السلطان والتحقق في التاريخ .. كل التاريخ الذي هو مسرح العمومية من القانونية الفجوة ونفوذ

السلطان من هي القيمة ..

– وما التحولات والحضارات والامبراطوريات الا دولا على البشر .. من القيمة التي لا تدول .. لا دولا على القيمة .. وما هذا الدول الاظاهرات التحول في المكان او الزمان .. **وليس على القيمة زمان ولا مكان** ..

ولذلك تتعاصر الافكار والنظريات التي ظاهرها التضاد والتناقض متعاونة متخادمة لتثبيت القيمة .. (لتثبت القيمة في الانسان) فاذا ثبتت القيمة القاصدة العامدة باستخدام وتسخير منها لتلكم الافكار والنظريات المتعاصرة ، الغت منتفيات الواحدة منتفيات الاخرى .. وعاشت المثبتات التي هي القيمة .. والتي هي هي الثبات ..

خذ المادية الماركسية (وسنأخذها ، من بعد ، مقولة مقولة) وادرسها مع ما عاصرت من الافكار ، **تجدها** رغم ما يجب طرحه منها من اخطاء وتعاتيم واظلام ، تتجه في التعليم ، لا في التحكيم ، الى مسألة واحدة هي نهي لا امر .. **« لا تستثمر » اي « لا تسرق »**

وعلى هذا النهي وحده ومن اجله اقامت كل هذا البنيان الخاطيء .. وشرعت الحقد والبغضاء وسفك الدماء .. **فاضافت القتل الى السرقة** ولكن ماذا فعلت؟ **لقد اضافت قتلا مشروعا منها – هي اشترعته – الى سرقة لم يشرعها احد ..**

فاذا صلح البشر ، وكان من المصلحة ، اي ، من الصلاح ، بحيث لا يستثمر ..

اي حيث يكف عن السرقة .. كان اول ما يفعـــل ان ينفي الحقـد والبغضاء وسفك الدماء ..

– واذا كان البشر من المفسدة بحيث يقبل القتل شريعة تقدم وارتقاء .. فمتى يرجى له التقدم .. من هذا المشي الى الوراء !!

...

قصـــــة طريفـــــة

من طريف ما يروى عن الحزب البلشفي ان ستالن وحفنة من الاعضاء سطوا على حافلة البريد من القطار ، واغتصبوا أكياساً كانت تحوي ثروة ما احوج الحزب الى مثلها لمسيرة امره والخروج به من رهق عمره ..

وسلمت هذه الاكياس الى العضو (رقم ٣) لينجو بها الى المقر السري للحزب وتفرق الاعضاء ..

لقد نجا العضو (رقم ٣) بالاكياس .. ولكن مقر الحزب راح سرياً عليه .. فما تركته الاكياس يعرف او يذكر شيئاً عن الماضي .. لقد ولد للمرة الثانية برقم جديد .. ومَدّ بعيد .. تتهاداه ، من اوروبا ، العواصم ويضيع الى ابدابيد ..

لقد فلسف الرجل سلوكه .. او فلسف الرجل « محتواه » .. في فذلكة ما .. وكل يفذلك امره بهواه ..

لا تسرق .. لقد سرق .. افلا يختصر الطريق ؟ – فيعف عن القتل الوشيك .. لقد فاز الرجل بنصف الحق وباء بنصف الباطل .. سلباً من الاول بالانتهاء .. وايجاباً من الثاني بما فعل من اعتداء .. لم يشأ ان يكمل عنده بالدماء ..

– ثم انه ترك الكل من الباطل لسواه يغرق فيه ، مع عمره ، الاعمار .. ويفني فيه المواطنين والاغيار ..

ليست هنا العقدة .. انها من المبدأ (البدء) مسألة النهي .. فهل انتهى البشر

عن ما نُهوا ؟! ان كانوا فعلوا فما أجل النهي من قبل وما اغنانا عن نهي غيره من بعد ! وان كانوا لم يفعلوا فأي عبث في ان نجعل النهي امراً !!

ما اكثر الاعضاء ذوي الرقم (٣) في الحزب البشري !! اما الذين هم اكثر منهم.. فلا يترقمون .. لانهم لا يشبعون !!

ان الحلول قديمة امراً ونهياً .. وهي من البساطة بحيث لن تكون عنها عقدة ما اي عقدة.. **ويمتنع الحل الجديد** ..

ان العقدة هى في السلبية البشرية .. لا في الايجاب الاعلى ..

ليس يريد الانسان ان يطيع .. ولماذا ؟

إنه لا يعرف ان يريد .. ولا يقدر ان يطيع ..

ان الارادة تبع معرفة .. وان الطاعة طلع مقدرة ..

ان الانسان لا يعرف .. انه يجهل القيمة ..، وطريقه الى المعرفة بالقيمة طريقان:

١ – طريق الطاعة .

٢ – وطريق الشقاء ..

اما الاولى فليس له عليها القدرة .. الا بتحصيل القدرة .. **وتحصيل القدرة قيمة من القيمة ..**

– فهذه الطريق ، بلا ريب ،استحالة طريق ،في مبدأ الطريق ..(١) وامتناع إبداء وإنشاء من لدن سلب الانسان .. قبل ثبات مبدأ القيمة في الانسان .. (اي قبل بدء ثبات القيمة في الانسان) . هذا جبر لا ريب فيه ..

---

(١) – راقب سلوكية الاطفال .. ما ابعدهم عن الطاعة قبل التعويد ..

واذن ، فالقيمة على الانسان .. لا من لدنية فيه سابقة .. ولا هي منه في بنيان سابق اركيان ..

والقيمة هي التي التزمت واوجبت على نفسها ان تمس الانسان وتطرق الانسان احياناً بعد احيان .. تعطيه منها المعرفة والقدرة فهو بها شيء واطمأن ..

فهل بقيت الا الطريق الثانية ؟! يخلص منها الى الاولى بعض الانسان في كل عصر وزمان ، وفي كل مقام ومكان ..

فصبراً من القيمة على ما كان وما هو وما يكون الانسان ..

.. إنه ان يكن الضحية .. فالسلب هو الضحية .. والزوال ..

.. وانه ان يعد شيئاً .. فشيئه هو القيمة البقية (١) .. والمآل ..

انه المعرفة هي طريق القيمة الحق وهي وحدها تؤلف الاستجابة البشرية ..

هذا هو الجبر وتحته الترائي والدول ..

ناموس قديم بان ..

انك تفهم وتعلم .. ثم تفهم وتعلم . فتتغير ، اثبت ، بما تفهم وتعلم ..

ثم انك لا تغير حرفاً من الناموس ..

افعل ما شئت .. فان الحق قدر ما شاء ..

ان الذين سلكوا ، من بعد ، بمس القيمة ، سبيل الطاعة .. قلة بشرية ..

ـ والآخرون ها هم يملأون المعمعان .. وبشقائهم يتعلمون .. ويعرفون ..

فانتألم تعلم ..

---

(١) ـ البقي ما يبقى

هؤلاء ليس يغرهم الحكم .. وليس يعميهم السلطـــان .. فهم ادنى الى تنظيم الفوضى والعصيان منهم الى الانتظام في الخير والايمان ..

العقدة في ان يتجند عندك من البشر من يؤمن بالنهي .. ليؤمن من بعد ، بالامر .. ويجب ان يكونوا خيراً من العضو رقم ٣

– فان وجدنا .. **فحما اعرانا الله نجند للناموس وملوءه النهي والايجاب**

لم ينقصه شيء .. ولم يترك للمادية ولا لغيرها شيئاً من نهي او ايجاب ..

انك باسم النهي والايجاب .. لن تجند الكثرة الكبرى جنداً للحق .. الا بعد حين .. واما التجنيد في الآن .. فتحت التراثي يكون .. خوفاً او طمعاً – وقد ادركت المادية ما كان تحت التراثي من دول لم ترتفع فوقه .. فحركت بالمعقدات سلب الانسان ، وحملت عليه باسم النجدة على ما هو فيه من لدنية الشقاء .. وراحت تدغدغ ، بالتلويح بالنعمة ، منه الصغار والقعوه والهوان ..

...

يقول العرب : « آخر الدواء الكي » ، ويقول علماء الطبيعة ما يعني ان اوهن النبات النبات المتسلق ، فان رحت تزف مقولة العلم ، هذه الى المجتمع قانون اجتماع ، وجدتها تعبر عن الصحة على ان يحدوها منك تأويل حكيم وتتبع متصرف سديد ..

ان المعرفة التي تصدر عنها المادية الروحية قد اصدرت حكمها على الطائفة المتسلقة محولا على المجتمع بالنتيجة .. وانها لتعطي هويات مرقمة ..

ان من التسلق ما هو طبيعي ومشروع كتسلق الطفل والعبقري .. وهو وحي الوجود وقانون الوجود .. وان من التسلق ماولد سببه من خطأ الاجتماع .. ويرتد الخطأ على المجتمع تسلقاً .. واحدة بواحدة .. ومن

ظلم ظلم .. والمجتمع هو الخاسر من كل ارجاء هذه الصفقة الغبين ..

– وحتى اعدام الشرير فان الخسران منه ، من البدء بولد الشرير حتى ما بعد الاعدام ، بزمن مديد ، يتبسط على الاجتماعية ويفعل .. فلا تحصى ارجاء امتداد اثر الحادثة من الاعدام في المجتمع ، فان احصيت تجسم مع الاحصاء الهول .. وبدت مواليد الخطأ من الدول ..

يقول النفسيون المحدثون من مدرسة ادلر « ان اهون الاعمال اللصوصية – نحن نسميها التسلق او شبيهات اللصوصية – لانها تعني في الخلق الضعف والخور . ، والحق انها تنم عن تمام الحصار ونفاد الحيلة وتعبر عن منقضى الابداء والمسعى وجهالة كل طريق والعجز عن ثغر ثغرة في نطاق الحصار .. » فالجنوح الى هامش الحياة واللعب على الجانب العقيم » (١) والواقع انها الحصر والضيق والخروج منهما من اهون طريق .. وهو هو الانحلال والبقاء في الضيق لا الخروج ولا الطريق .. انه الموت ، لا الحياة ولا الهامش وانه الفهق لا اللعب ولا العقم الرفيق ..

وقد يبدو ، في الاقتصاد الشيوعي ، ان الطبقة الممولة المستقطبة هي الطبقة المتسلقة .. (لسنا الان بصدد هذا البحث فموضعه كتاب آخر)

– غير انه مما لا ريب فيه ان هذه الطبقة بعينها فئتان :

١ – فئة تنمي الثروة ولكن في انها تنمي الاعمال .. ، وهي تنظم الجهد وتقنن الاشتغال ، دون ان تستهلك هي من الثروة ، او تطبع الثروة او تضعها من الملكية في الاغلال ..

وهذه الفئة تكاد لا تكون لها علاقة بثرواتها .. فكأنها الثروة العامة وكأن لها عليها حق القوامة والادارة والتصرف ، فتنقلب المؤسسات لديها والادارات والاعمال في الحقيقة الى جهاز مؤمم منظوم .

ويؤلف هذه الفئة رجال يعيشون بالقيمة او ببعض القيمة لا بالثروة واغتنام الثروة والاستهلاك ..

---

(١) – Useless side

٢ – وفئة تنمي الثروة وتبدد النماء والارباح وغير الارباح وتنثرها على اسوأ جانب من الحياة ، وهذه الفئة هي الفئة المتسلقة .. وهي ليست تهدم في المجتمع وكفى وانما ، هي ، تنهدم في انها تهدم ..

غير ان الواقع اشد هولا من هذا التقسيم والتصنيف..لانه، عن هذا الواقع، يظهر ويرين كثير من الباطن الخفي ..

ان في كل عائلة وفي كل بيت وفي كل طبقة وفي كل قرية ومدينة وامة ، افراداً تنظمهم طبقية التسلق . . لان نوعيات التسلق متعددة ، اما التسلقيه فحدة واحدة ..

لكل من هؤلاء جانب واحد او اكثر ، في نفسه،هو الذي ينظمه في المتسلقة.. بحيث تنهار عنده الجوانب الاخرى امام جانبه ذاك، لانها،في الاصل ، رثاء عليه وطمس لواقعه ..

– فمن العمال العامل المتسلق ،ومن القضاة القاضي المتواكل .. ومن الموظفين والوزراء والكتاب والشعراء والفلاسفة ومن كل طبقة من الطبقات افراد ، ليسوا قلة ، يعيشون متسلقين يجتبلون الغفلة من الناس او ينتهزون الغمرة والاستغراق ..

ان عوامل التسلقية هي ، منذ الاساس، سوء التربية،وهي، من بعد، تجيء من عون ذات الطبقة المندسّة افرادها بين كل الطبقات ،وعلى الخصوص طبقة القائمين على تطبيق القانون ..

هولاء المتسلقة، مطرحهم واحد هو السجن، بنص القانون الموضوع ، لا القانون الذي نحن بحاجة الى وضعه ، والقانون هو الموضوع للتشرد والتسكع والتبطل.. وتفسيره الحق هو هذا :– من كان في العمل او في طلابه فذاك .. ، ومن لم يكن ففي السجن ، او تحت تصرف احدى المؤسسات .. وهذا هو وحده التصنيف ..

ان الجدة والثروة اذا نشدت العمل ، كان العمل هو الناظم الاول

للاجتماعية وللشخصية .. من طبيعة جاءت بالتربيـة والتمويد فتفوقت على عاهات الشخصية ، فهي الطبيعة وغيرها الشذوذ .

ان رجل العمل – العامل – رجل يحس الغيرية ويحس حقيقة الحياة .. ويتحاس مع المجتمع فلا يجور ولكن بقسط بل يضحي ..

وان رجل العمل ، رجل له طموح غير مقيس على آفاق القيمة .. اذ هو مقيس على الارتفـاق وما هذا الا من خلال الحرمان وعدم الضمان ..

– فعلى المجتمع ان يعلم العامل القيمة .. ولكن على المجتمع ان يتعلم ، هو ، الضمان .. الضمان الذي تأمر به الاديان .. ان يحاط به كل من وقع في مصار الحرمان .. ضمان عن وجوب .. فالمجتمع عدة واحدة .. لا أمومة زمالة او مطالة ..

ليس يخطر بالبال ان هؤلاء المتسلقة مصنفون ، من قبل ، من حيث لا يشعر الناس ولا يشعرون .. انهم في طبقتهم لا يتزحزحون ..

ليس يخطر بالبال ان القيمة تصنفهم لا الاقتصاد .. وان المعرفة ترقم مجامهم لا الاجتماعية ..

انه ليس على الاجتماعية ، من الناموس ، الا ان تتقبل التسلق وتغضي عنه او ان تداويه قبل اذ هو التسلق ، اي بالمنع لا بالقمع ..

انه التسلق الذي اجرم فيه المجتمع لا المتسلق ..

لقد صنف المتسلقون .. هؤلاء خلاء من القيمـــة .. وطبيعي ان يصنفهم الخلاء والفراغ ..

انه مما لا ريب فيه ان الماهية الثانية (التاريخية) بتصنيفها التاريخ وباختزال مقولتها فيه وانه نضال الطبقات، **اخطأت الحق والتصنيف والتاريخ والطبقة والنضال..**

ـ ذلك ان الحق من التصنيف، وان القيمة من الحق، هما بتصنيف الحق والقيمة.. انه القياس الاول والاخير؛ في الطبيعة والمجتمع والتاريخ هو القيمة.. وليس ان القيمة.. وهو، من قبل، تصنيف الجبر والناموس..

. . . .

قلنا ـ يقول العرب: ان آخر الدواء الكي.

وعندما المت معجزة الحياة والمعرفة بالمشتغلين، ومنهم ماركس، راح ماركس الى آخر الدواء.. فكان عنده الكي.. كما كان آخر الدواء عند العرب الاولين..

.. ولكن مهلاً ورويداً.. **فالمقولة العربية شيء بين.. إنها مقولة العجز عن الدواء لا وصفة الدواء..** فلن يجيء يوم يصح فيه الكي.. **فليس الكي آخر الدواء.. ولكنه آخر القدرة على وصف الدواء.. وان العجز عن الداء فصيغة هذا العجز في مقولة الرجاء..**

ليس يرد هذا على المعرفة.. وليس يرد على القيمة.. ان عملية البتر تتضمن معنى الاستسلام والعجز.. وهذان ليسا في سعة القيمة، ولا في سبق الخلق للطبيعة، وما هما الا في ضيق الانسان او، على الاصح، في ضيق الجهالة عند الانسان..

فمهلاً ورويداً وصبراً من القيمة على فقر الانسان..

ان للانسان قصر الجزئية.. ودول الحصول لا طول العموم من الحق والسبق والشمول..

المـــــــادية الاولى

«المادية الديالكتيكية»

منتفى الثنـــــــائية

أ ــ الديالكتيك او الدول

ب ــ ماديـــة الدول

أجل.. هكذا يقدمون التاريخ..
موضوعاً بلا ذات .. ورحى بلا
قطب .. ومادة بلا روح ..

توأم التثنية ـ الديالكتيكية

١ ـ انه فيما يتعلق بالديالكتيك فقد وجدنا ستالن يقول اثر مقاله السابق مباشرة:

« وعندما يعرف ماركس وانجلس طريقتهما الديالكتيكية ،

١) ـ « يرجعان عادة الى هيغل ـ باعتباره الفيلسوف الذي ابان الخطوط الاساسية للديالكتيك ».

ان القاريء يلاحظ الحرج الشيوعي على قلم ستالن ينهض في صيغة واعية امينة تسمح لنا بهما كمتها من كلماتها دون شهود غرباء .. ويتم ستالن فيقول :

٢) ـ « غير ان ذلك لا يعني ان ديالكتيك ماركس وانجلس هو عين ديالكتيك هيغل ،..

أ ـ « لان ماركس وانجلس لم يقتبسا من ديالكتيك هيغل سوى « نواته العقلية » وطرحا قشرته المثالية ، ثم

ب ـ « وسعاه وانمياه واعطياه طابعاً علمياً حديثاً ».

وهنا يتدخل ماركس حيث يورد ستالن ، فوراً ، وبنفس الامانة ، عبارة ماركس التي يقول فيها :

« ان طريقتي الديالكتيكية لا تختلف عن الطريقة الهيغلية من

حيث الاسماء فحسب ، بل هي منعدمة تماماً .

— فحركة الفكر ، هذا الفكر الذي يشخصه هيغل ويطلق عليه اسم « الفكرة » هي ، في نظره ، خالق الواقع وصانعه ، فما الواقع الا الشكل الخارجي للفكرة .

— اما في نظري ، فعلى العكس ، ليست حركة الفكر سوى انعكاس الحركة الواقعية ، منقولة الى دماغ الانسان ومستقرة فيه

وان القارىء قد لاحظ كذلك حرجاً آخر ، عند نفي « العينية » بين الديالكتيكين :

« .. لا يعني ان ديالكتيك ماركس .. هو عين ديالكتيك هيغل .. »

وعند وصف المقتبس بانه « النواة العقلية »

وهكذا نجد ماركس في مقولة نكرانه لهيغل يزعم مضادة ديالكتيكه ديالكتيك هيغل ..

— وإذن فان ماركس يشعر بالضدية قائمة بينه وبين هيغل .. وهذا الشعور بالنسبة لماركس ، اي اذ هو شعور ماركس ، مسألة واقع لانها مسألة شعور ، وقضية تقبل لا مسألة معرفة محققة ..

— والواقع ، إذن ، في مثل هذه المقولة الساقطة ، هو شعورنا بالواقع .. وعكسنا اياه .. وفهمنا وقوعيته ..

— فاذا اختلفنا في الشعور والعكس والفهم ، فاننا ، في التحقق ، لا ندري أين منا الواقع .. وأين نحن من الواقع .. وأين كل منا من الآخر .

لم ينتبه ماركس الى انه ، هو ، ما كان يكون او يقع في مكان معلوم .. اي في معلومية من المكان .. في معرفة اي معرفة .. (وبالنسبة اليه وفي شعوره ايضاً)

لولا انه عيّن وجوده .. ، وجودَ معرفته (وقوع معرفته) في الجهـــة المقابلة (تراثياً) على نفس الخط .. ، وهي الجهة المضادة في نظره ، لجهة هيغل ، وهي المتأخرة عنها عندنا ، على مد نفس الخط ، واعتماداً لهيغل ومكانه ومعرفته ..

ولم ينتبه ماركس ، كما لم ينتبه كثرة من الغافلين الى ان المعرفة ، عندنا ـ نحن البشر ، حصولية تعريف .. والى ان العلم ، عندنا ، بعدية تعليم .

اليست الساعة او البوصلة ، عند ماركس ، ركبت او ضبطت على اساس هيغل (وفورباخ وغيرهما ..) مع التقديم او التأخير الاعتباري الماركسي .. وعلى اساس تقبل ضمني من ماركس لاعتبار هيغل ، هذا الاعتبار الذي هو ، عند ماركس ، جهة معلومة على الخط ؟..

ـ فاذا كانت الهيغلية ضالة ، فانه لن يجدي المستدل بها اتجاهها ولا اتجاهـه ، في قضية الاهتداء والتعرف (المعرفة) .. بل ضل الاثنان معاً في تيه .. وبقيت القضية قضية فهم .. وظلت المسألة مسألة المعرفة .. ، وهذا هو ذات التيه الواقع الذي بدأته الميتافيزيقا او بدأه فهمهـــا .. والذي تتخبط فيه البشرية ، لا تفتر ، ضلالا .. مثالياً كان الضلال او مادياً او علمياً ..

ويبدو ان القضية ليست قضية واقع .. ولا هي انعكاس الواقع .. وانما هي قضية شعورنا المتفاوت بالواقع .. وقضايا شتى من الانعكاسات لواقع واحـد .. ـ قضية احساسنا بما حولنا .. اي مسألة المعرفة بذاتها .. مقدارهـا ، واطوال اقطارها .. مقدار التقبل ، وهذا ما سميناه الواقع ، وحمله الداخل الانساني حملا على الخارجية منه ، خلطاً للمعرفة بالوجود .. ، واذن ، فها نحن نعود للفلسفة : كيف نفهم ؟ اي كيف نعرف ؟ هل نفهم او نعرف ؟ ماذا نفهم او نعرف ؟ ونزيد على الفلسفة .. هل فهمنا ومعرفتنا طباق الصحة من الواقع او مسماه او الحقيقة .. وجنـاس التمام من العرفان ؟ ما هي وسائلنا ؟ ونرجع لنتخبط .. وكلنا نشدان لثبات او ثبوت او بديهة او ايمان ..

لئن كان الدرل في المعرفة .. لقد راحت الفلسفة تقول الدول وتمضغه وتلوكه

فلا يسوغ .. ولقد راحت الفلسفة تفعل الدول .. بل لقد راحت لا تقول ولا تفعل سواه ..

– فلقد كان الدول دينونتها .. من فمها يدينها .. فهو ما اختارت وما يلزمها من طرائق جبر المعرفة ..

اما ان كان الدول في الوجود فما نزال ، ومنا ماركس ، فقراء الى الدليل ، ليس فقط الدليل المنطقي ، ولكن الدليل الديالكتيكي ، والا كان قبولنا الدول عبارة شعور و كلمة ايمان ..

وما هي مذهبية الدول ؟! انها ايمان متجدد كل لحظة بلا دليل .. وتصديق بلا ضرورة ولا منطق .. أليس الدول اغنية لا تنتهي حلت محل المنطق (١)

– أليس الدول دورية ايمانية لا لوجود ولا لعموم ولكن لفهم ومعرفة دون الوجود والعموم يراد لها ان يتبعها ويلتحق بها كل الوجود

ان العمومية اقتضاء العمومية .. فاذا كانت معرفتنا مطابقة عموم ما هو الوجود فلا بد من ان تتقاضاه .. كله .. فان تفعل لم يكن على المعرفة من جديد في كل ما هو الوجود .. في الزمان والمكان .. وليس على هذه المعرفة من دول

تلك هي الالوهة .. ولو كانت في المادة .. تلك هي الالوهة قبل الماركسية ، فلعل هذا المعرفان الشامل ، الذي لم ينعكس من جد الطليعة ماركس .. ضامر كنين في اجحار المادة .. على ابعاد المجرات يتراسل بالشعاع .. ويتهادى النيازك ، في غفلة من طلائع جراثيم هذا الكوكب المتفلسفة (٢)

اما من حيث الميتافيزية والمادية ، وبحثهما المعرفة .. فهما ضرتان لمالك (٣) واحد لم يتزوجهما ، ولم يتزوج احداهما .. ولكن الواحدة (الميتافيزية) حملت

---

(١) « هكذا نشأت .. طريقة جديدة حلت محل ما كان الاولون يسمونه « المنطق » وهذه الطريقة هي « الديالكتيك .. » من المقدمة للاستاذ بكداش .

(٢) هذا الاستعمال للستر ونستون تشرشل : « الانسان مكروب متفلسف » (٣) المالك هو الوحي .

بتوأم ، علوق سفاح ، على علوق بتوأم من سيدها فاستلحقت ، بالنحلة ، واحد التوأمين تربيه من عطاء سيدها وترضعه من لبان توأمه .. فكبر ولدها (١) من سيدها ولم يكبر ولد (٢) النحلة قط .. وراحت الثانية (المادية) عقيماً رغم السفاح ورغم خلتها لجميع ابناء ولد ضرتها ، من بعد، ولكي ترضي امومتها وترضى عن سفاحها او تعتذر له،راحت تزعم لكل ضجيع ان الابوة لم تكن قط .. انهي الا « ارحام تدفع وارض تبلع » دولا على دول ، لا مبدأ ولا منتهى

اما من حيث الميتافيزية والمادية وبحثهما المعرفة .. فها هنا جيشان لجبان ، اعتمد الواحد سبق وجود الآخر، اعتماد تقبل واقرار ، يتضمن عفو الايمان بالسبق، أو سبق الواحد الآخر في تيه الصحراء .. وكلاهما بلا دليل – كما يفترضان – أيكن – وليس ثمة الا اختلاط الصحراء ، بلا انضباط جهات ، اللهم الا في الاعتبار – ان نقول انهما متضادان ، ان لم نرسم انفسنا في الوسط ، لنكون ، نحن ، في قلب التيه والضلالات ؟!

ان التضاد ، اذن ،ظن او فهمة تراء .. وهو ساقط المعنى ؛ بما هو ؛

لان الخط ما يزال واحداً ، كما هي الصحراء وحدة ، **وليس الاعتداد والتراضي قضية تضاد وانما صورة الطراد ؛ يعالجها الفهم (التقبل) بالاستفراد.. ولكن برغم كل تجزئة وتخطيط اعتباط ، وبرغم كل قسمة استفراد ، اليست القسمة ، على الاعتداد قسمة توافق والطراد ؟** (راجع دستور ديكارت في القسمة التوافقية)

ان علاقتنا ، بالواقع او مسماه ، تظل علاقة فهم (تقبل) ثم تسميه .. علاقة استطاعة متا على الفهم .. فالواقع هو وقوعنا نحن من المعرفة الكائنة نظنها جدة وقوع وهي قدم وجود .

---

(١) الايمان والتصديق (٢) المنطق وابو المنطق هو الشك ..

وليس ما يثبت ، فضلاً عن ان يؤكد ، ان أية من علاقات الفهم هي اولى او اوضح من غيرها .. اللهم الا تلك التي يتقبلها ، كذلك ، تقبلاً ، بالاقتناع ، موضعُ تقبل اللقانات ،واللهم الا اذا فُرض علينا الثبات من قطعية عليا لا تدافع ، ونحن في الحالين تلاميذ التعليم ، لا مفر لنـــا الا الى الشك .. لنجد منه مفترق طرائق المعرفة ودروبها .. وهي جميعاً ماضية الى المعرفة .. **لان الطريق اختيار أو بعض اختيار .. اما المعرفة فجبر واضطرار**

وهكذا يظهر – كما هو باطن – احتياجنا الثبات لنصدر عنه ، وهو ما حاولت الفلسفة ، محاولة استمرار ، ان تقع منه ، وتحللت منه المادية الديالكتيكية لتقع فيه ، من بعد ، بلا شعور .. وهو ما رسمته التعاليم رسم عبارات تعليم .. ، وفرضه جبر الناموس فرض اتصال حصول ، رحنا نظنه فعل وقوع ..

ولنعد الى ماركس ..

– فماركس ، اذن ، كان غير واع البعدية من نتائج الضدية او نتائج زعمها . كما لم يكن يعي مقدماتها وقبليات هـذه المقدمات في تقبله .. انه كان يشعر ،فقط ، بانه على حق في هذه « المضادة » . لقد كان هو موضوع شعوره ومفعوله (المنفعل به) اليس يفهم ، في زعمه ، وعند نفسه ، فهماً آخر ، غير فهم هيغل ؟ ! – غيرية فيها كل ذات الفهم الهيغلي . ولكن الكل هـذا ، هو الكل الذي لا تسطع فيه ظلمة الذات الماركسية .. او الذي تعتم على مترامياته هذه الظلمة . لا بأس .. فليجمح ماركس ما شاء هو للجماح .. فان طرائق المعرفة بعض اختيار .. اما المعرفة فجبر كلها واضطرار .. لسوف يلتقيان .. بل لسوف لا يرضى ماركس الا بكل ماهو الايمان من غير شعور أو حسبان ..

– كان يفهم فهما آخر غير فهم هيغل .. غيرية فيها ذات الهيغلية وفيها ذات الفهم الفورباخي (١)

(١) انظر توأم التثنية « مادية فورباخ »

ومعنى ذلك ، عندنا ان ماركس، كان ضائعاً ضالا ، حتى عـن ان « يعكس الظروف السائده » او عن ان « يعكس الواقع » حتى وجد هيغل ، الرائد قبله ، او حتى وجد اللافتة التي تركها هيغل.. أومكان هيغل.. فعين منه حدوده..فهو:

١ ـ هو الذي عين حدوده

٢ ـ وهو عينها من هيغل (وفي غياب هيغل وبلا تراض) ..

٣ ـ وهو الذي سمى ونعت بالمضادة ..

ـ وهذا يعني عندنا ان الرجلين ليسا ضدين ، بل جارا ضلال متاخمان .. غير ان الحد بينهما ظل بلا تعيين ، وحتى تداخل الحدود يظل في الاعتبار لا في الوقوع، لان القول ليس قول ماركس في التعيين اذا كان المدعى مدعاه ..

ـ وتداخل الحدود ان عنى شيئاً ، فهو لا يعني قط ان هيغل قـد تجاوز ليضاد ماركس ، لان هيغل ورث من المعرفة الحاصلة حين لم يكن ماركس وارثاً .. فكان خلي البال من ماركس ومشيئته في التصرف بحصته التي ستكون ،ولم يستطع هيغل ان يتوقف ، فصعد عن المادة : ـ

التصعيد الجبري الذي يقود هو خطى الرجال المعنين ،

والتصعيد الذي لم تستغن عنه، اخيراً، المادية الديالكتيكية في توحيدها المادي ، وامتدادها وتطورها .. فثنت الوف ثنائيات في بطانة الزعم من التوحيد .. ،

والتصعيد الذي لم يرق لماركس ان يسميه تسمية هيغل ، فابتدع له اسماً يعبر عن الثانوية .. واعلن انه محض « انعكاس الواقع » . واذن ، كان تداخل الحدود يعني ان ماركس هو الذي نزل على تراث هيغل وداخل ثم ضاد ونازع و(طلب الطعن وحده والنزال ..)

وليس ما يمنع من هذا كله ، ان كان قد تقدم به الفهم البشري ، مباشرة او مداورة ، خطوة واحدة نحو النور ووضوح العرفان في عموم او خصوص . (رأينا وسنرى ان المادية صنعت ، بالمداورة ، تقدماً كان ضرورياً في المكان

بخصوص ، وأدت للعمومية ، عن طريق التداخل المحمود في المكانية .. والواقع ان خطأها قد ضرب خطأ آخر ..فهي ، من كونها مادية ، فعلت فعل الطباعة ، فقد اشركت (عمال) الارض في المعرفة ، فتم على مداورتها المادية وتجسيدها المجردات وترسيبها وتجميدها بعض القيم ، التطعيم والتلقيح بالاجتماعية والعلمية والفلسفية والجبرية ما لم تستطعه بالمباشرة مدارس الارض .. ولكنه اذا ما انتهى الخطأ بالخطأ فلا محل لبقاء الثاني.. والمصير معروف وهوما سبقع عند بدء الانتقال من التجسيد الى التجريد ..)

• • •

نعود الى التداخل بين هيغل وماركس.. فهذا التداخل على كل حال، منشأه ومضاعفاته مدى الرؤية عند الرجلين بارجاع الى الفهم والتقبل..

اما هيغل فمدى رؤيته (الراجع الى التقبل عنده) لم يعد هو يعبر عنه الا بما ترك من تراث ، لانه مات قبل النزاع المزعوم ، فعلينا ، نحن ، ان نعينه .. ولن نستطيع الا على ضوء ما ترك ..مازجين هذا الضوء بظلام من تقبلنا يتبدد فيه.. او بضوء باهر يزيد ضوءه..

– وهي جبرية نور ، ورياضية عرفان لا مفر منها ولا مناص .. امتداداً من النور وتوزعاً من العرفان . ونحن ، قبل النور، ان كان باهر السطوع او فيه بعض نطوع ، كل ما عندنا وما نحن، لنتقبل به ، لدنيات ليست، من قبل، لنا،وعنديات لم تكن في عنديانتا.. تملكنا ولا نملكها، وتصرفنا ولا نصرفها..وتحررنا ونعبدها..

قلك بانها العطاء الذى نحن .. والحرية التى سنكون .. وبانتا لولاها الفراغ العديم ، ومن دونها الاسر العقيم

ماذا اجدى ماركس تحت هذه الجبرية من التقبل اذ مزج مضيفه بالضيف ؟! اهذا ماهو مدى رؤية ماركس؟

واما ماركس ، اذن ، فمدى رؤيته ، – في رأينا ، وفي تأويل اعترافه ، وفي استماعنا شهادة العفوية من نصوص خلفائه ، – يعطي صورة للعلاقة اكثر من التداخل مع هيغل .. فمدى رؤيته ، اذن ، قد حصل « النواة العقلية » من رجع النور .. غير ان هذا التحصيل ، وقد انقصه تقبل ماركس ضوءه الهيغلي ، راح في غير توفز من نجابة التلمذة والتحصيل ..

واذا استحضرنا ما تزعم المادية من « ان ماركس قلب دياليكتيك هيغل ، ووضعه فعلاً على قدميه » لم تكن القضية ، بعد ، قضية حدود وجوار وتلمذة وتحصيل .. وانما هي مسألة احتلال لمدى هيغل .. (لنظريته) فعقوق له .. فادعاء .. فتعتيم عليه ..

هذا ما اجدى ماركس تحت الجبرية من التقبل .. ومداه عذره ..

وطبيعي ، اذن ، ان يكون مدى رؤية كل منهما معتنق وحدة بينهما ، في المدى ، لا معتنق تضاد .. ولا مسألة حدود وتخوم .. ولا وضع سير على القدمين ، او انفراس بالرأس ..

– فليس بينهما من تضاد الا تضاد الكثرة من المرض الانساني الاصيل (الجهالة) مع القلة من الصحة في الوحدة الواحدة ، والا تضاد التلاحق في المزاج من النظر مع النورين من مصباح ضئيل السطع او ضئيل العكس .. كالقمر .. يجهل الاسارير والمعارف ، اجهالا دون الوجه .. وآخر ، كالشمس قبيل المغرب ، يكاد يرتد عن المسام بما يؤكد انها المسام .. –

– فتحت اي النورين رأيت ، قبل ؟ لئن رحت تمعن اطلاعاً على بواطن الاسارير والمعارف .. فانت لن تستبدل ماركس بهيغل وان اقنعتك الرؤية للدارة من الوجه ، فانك ، وانت العامل الكدود ، طيلة يومك ، لتقنع حتما بما دون النور من النجوم ..

– وليس بينهما من حدود او تخوم .. اللهم الا في الأفراغ وتواليد الاخطاء .. ،

والاول هو ما هو العزم على بعد الشقة والسفر الطويل في ركاب القيمة وعلى تحمل ما يؤود البشر منها من عنفوان ..

– ويطول شرح المتاعب والاعباء .. في برامج الارادة الميتافيزية التي لن تريد ان تختزل الحقيقة لمجرد انها كبيرة ..

– وليس يطول الشرح عن المادية ونشدانها ، وعن الراحة في انتواء الطوية من العجز .. التي تنتفي بعجزها وراحتها بلا حاجـــة اختزال .. لتصير ، باسهل السهل ، عدد وجبات ..

وما اسهل السهل الاالقتال والثورة واجتماع قوى الابدان ، وهو ما استصنعه ، قبل البشر ، دواب الارض وذرى الاعراق من الحيوان ..

ان من غير الطبيعي ، في الحق ، ان يقول هيغل : انا افهم هكذا وابرمج كذاك على هذا الفهم .. فيأتي بعده ماركس ويقول : نعم . هذا هو الفهم ولكن على ان يرسب في المادة ليخرج منها ، وعلى ان ينتج عنه من النتائج ما انا افهم انه ينتج .. وما انا اريد النتائج ان تكون ..

من غير الطبيعي ، في الحق ، ان يقال هذا دون حَكَم من الثبات او صحة من الاقتناع ليس مطرحُها مدى الرؤية عند السواد من البروليتاريا .. وان يكن جد طبيعي ، في الخطأ ، ان يقال وان يفعل وان يكون من بعد هو الحكَم والصحة والاقتناع ..

قال ماركس: «ان البروليتاريا ، في نضالها ضد البورجوازية ، تتكون حتما في طبقة ، وتنصب نفسها بالثورة ، طبقة سائدة . وبصفتها طبقة سائدة ، تحطم بالعنف نظام الانتاج القديم . » وليس يتخيل ماركس تخيلاً .. او يبتكر ابتكاراً .. ولكنه يُصدي إصداءً .. انه يعكس حوادث الثورة الفرنسية الكبرى ومـــا خلّفت من فوضى العقائد والمعرفات .. وما اباحت من حرمات ، فوضى شريعة وشريعة فوضى ..

من غير الطبيعي ، في الحق ، كل ما في الخطأ من شعاب .. واذ كان الثبات هو فقيد المادية الديالكتيكية ابداً ، ومنذ هي مادية ..، فان خطأ الافتقاد يروح على المستقل جبر جزاء .. فلا يكون الثبات والحق من منشودات اي خالجة هدى هي ايضاً فقيد المادية ، فضلاً عن ان يكونا في اللانشدان من الضلال ..

. . .

ويوضح ماركس شعوره :

١ – « فحركة الفكر ، هـذا الفكر الذي يشخصه هيغل ويطلق عليه اسم « الفكرة » هي ، في نظره ، خالق الواقع وصانعه ، فما الواقع الا الشكل الخارجي للفكرة . » – عندية هيغل ..

٢ – « اما في نظري ، فعلى العكس ، ليست حركة الفكر سوى انعكاس الحركة الواقعية ، منقولة الى وعاء الانسان ومعتبرة فيه . » – عندية ماركس .

وبعد ، فالقارىء مستطيع ان يرسم ، وعلى سطح واحد ، كلا الفهمين فلا يجدهما إلا فهماً واحداً على ضوءين ، احدهما يضيء بعض اعماق النطق في المعارف والاسارير ، والثاني تتبين به دارة الوجه انه وجه لا قفا ..

وبعد ، فالقارىء يجد التوافق لا التضاد .. ولكنه يجد التقدمية الهيغلية من حيث انها تعميق وتسام بالقيمة .. والتأخرية الماركسية من حيث انها وشل هيغل وسطحه عند الشاطىء ..

الفكرة المطلقة خالق الواقع

حركة الفكر هي انعكاس الحركة الواقعية

لقد أهملنا بحث هذا الموضوع من حيث الاساس ، في هذا الكتاب لأنه من « كتاب الوجود » لا من « مسألة المعرفة » ولأن مكانه في الكتاب الذي يعالج « المادية التاريخية »

على ان في هذا الكتاب ، امتداداً مضارعاً لبحوثه من شأنه ان يهيىء الذهن لمدارسة مسألة الفكرة والواقع .

توام التثنية الثاني ـ او مادية الديالكتيك

٢ – وفيما يتعلق بـ « المادية » اي بمادية الديالكتيك فقد وجدنا ستالن يقول :

« يجمل ما يعرفه ماركس وانجلس بماديتهما

(١) – يرجعان خطأ الى فورباخ – باعتباره الفيلسوف الذي اعاد الى المادية بعقرها ..

(٢) غير ان ذلك لا يعني انه مادية ماركس وانجلس هي عين مادية فورباخ :

أ – فان ماركس وانجلس لم يقتبسا من مادية فورباخ سوى نواتها المركزية (١) وطرحا عنها ما تراكم عليها من قشور مثالية واخلاقية ودينية ..

ب – وسعاها (٢) وجعلا منها نظرية، فلسفية عامة للمادية ومن المعلوم ان فورباخ، رغم كونه ماديا من حيث الاساس، احتج على نعته بالمادية، حتى لقد قال انجلس مراراً ان فورباخ، رغم اساسه، (المادي) ظل سجين الفيوض المثالية التقليدية، و « ان مثالية فورباخ الحقيقية » تظهر « حال وصولنا الى فلسفته في الدين والى فلسفته في الاخلاق »

لقد طالعنا، في ما تقدم، وضوح كاف عن المصدرين والاستعارتين : (١) الديالكتيك و(٢) المادية، – الاولى لهيغل .. والثانية لفورباخ .. ، وماذا، لعمري، للشركة من ماركس وانجلس سوى مكان الاجتماع .. وذلك الزمان ؟! – فالاخطاء .. ثم الاستثمار، من بعدهما، الى ابعد حدود الاستثمار ..

---

(١) (١) قدما قليلا واخرنا في النص لمصلحة التقسيم، اما اصل الجملة فهو : « .. سوى نواتها المركزية ثم وسعاها وجعلا منها نظرية فلسفية عامة للمادية، وطرحا عنها الخ .. »

لقد احضرا الديالكتيكيه والمادية في وعاء ، كان هو الوسط لهـذا المركب الكيميوي المزعوم .. ، الذي لم يتركب الا في وهم الجحود والادعاء .. فرارا من الحيرة والعجز والاعتراف ..

١ – والوضوح سائد في ان هيغل اصبح ، في زعم ماركس وانجلس ، واضحا بها .. اي انه عاد ، برغمه ، الى قواعد على الارض .. قواعد مادية .. أنهي في ذاته التي اراد وتحليقه وارتفاعه .. ليكون ، على الحضيض ، بماركس وانجلس وبما سرقاه من اساس فورباخ .. هذا الاساس الذي لم يرتضه فورباخ مقاما .. ولعمري ان حالا هي هذه ، تزيد الموت طعم الموت ..

٢ – والوضوح سائد في ان فورباخ اعيد ، بالرغم منه وبرغم احتجاجه الصارخ ، الى قواعد على الارض لكي لا يطير ابدا .. وراحت صرخات المسكين ودفاعه اليائس كما هو نفسه قد راح ..

اما ازدواج الوضوح .. فهو ان لكل من الرجلين قدمين وجسدا وجناحين ، وهو ما نرى من تركيب الطائر ..

– وكان من شركة ماركس وانجلس ، التي تتكدس في مخازنها بضائع المادة ، من قضبان الحديد وجسوره فوق اقفاص الطير ونسوره ، ان وجدت ، نتيجة التكديس ، كلا من الطائرين اشلاء .. فعمدت الى جناحي هيغل والصقتهما على جسده ، الصاق تخنيط ، وشدت الجسد والجناحين شدا الى الف قدم وقدم من هيغل وفورباخ والماديات جميعا على طول التاريخ والى الف حظيرة وحظيرة ، بل الى كل الاجساد على الارض وربطت كل هذه بكل ما هي المادة .. ويظهر ان جناحي فورباخ كانا ما يزالان يخفقان ، احتجاجا لا غرض خفقان .. فتسامع البغاث من الطير وراح التدافع من الحضور يشهد حفيض الجناح .. ووقف ماركس خطيبا فقال (١):

« ليس ادراك الناس هو الذي يحدد معيشتهم ، بل على العكس من ذلك ، ان معيشتهم الاجتماعية هي التي تحدد ادراكهم .. »

---

(١) سياق بحث لا واقع مأتم

ولما وجد ماركس ان هذه المقولة تضرب على محاولاته ، هو ايضاً ، وتلغيها رجع على ذات الطريق في غفلة من الناس وهرّب المقولة التالية : « تصبح النظرية قوة «١» مادية مذ دخولها في الجماهير» مع ان هذه المقولة كانت خير دواء لو كتبت على قبر فورباخ الذي كان يقول : « ان الفكرة خرجت من الكائن ، لا الكائن من الفكرة » و« الانسان نتاج الطبيعة »

... هكذا طرح جناحا فورباخ على الحضيض ، جبرية جزاء ، بما كان يقول .. في « بالدينونة التي بها تدينون تدانون . وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم »

ان القارىء ليرى ، في العرض ، الذي عرضه ستالن تساوق الامانة بلزام في المقولتين اللتين قدمهما ، الاولى والثانية عند ايرادهما مرتين ، مرة عن هيغل واخرى عن فورباخ ..

١ – « يرجعان عادة الى هيغل .» ١ – « يرجعان عادة الى فورباخ . »

٢ – «غير ان ذلك لا يعني .. الخ ..» ٢ – « غير ان ذلك لا يعني .. الخ ..»

اننا نكتفي ، من حيث المقولة الاولى ، بالاتفاق مع ستالن على انها تعين المرجع .. وتبقى المقولة الثانية « غير ان ذلك لا يعني » قيد البحث .

انه عند ما يقول ستالن او سواه ان شيئاً يعني ، او ان شيئاً لا يعني ، فالقول والحكم ، بعد ليس قوله او حكمه .

والحق الملازم هو ان المرء ليس بفرض او يوجب الا مستبداً او غاشماً ، – ولو كان عفو الحق في فرضه وايجابه ، (عفواً لا يدريه) – اذا كانا ، اي الفرض والايجاب ، غير معروضين على محض الرضى والتقبل ..

– والحق المفروض ، على غير قناعة ، ينقلب ، هو نفسه ، باطل استبداد .. لأنه ظل مع الرغم في اجهال .. والحق لا يجهل ، ومع العرفان لا رغم ولا فرض

« ١» المقولة لماركس – وكلمة « مادية» هذه هنا .. هي رديف احتياطي ولكن للخط الامامي من الهجوم ..

ولا سلطان . فان ينفع الحق المفروض ،ما ينفع، لاينفع المستبد الغاشم قط ..

ان مقولة ستالن هذه ، هي واحدة مماسنرى من الاستطراد الشيوعي الخاطيء.

انظر في نفس المقولتين ، الى هذا التوافي في تعليل « غير ان ذلك لا يعني ..»

١ – « لان ماركس وانجلس لم يقتبسا من ديالكتيك هيغل سوى « نواته العقلية » وطرحا قشرته المثالية ، ثم وسعاه وانمياه .. »

٢ – فان ماركس وانجلس لم يقتبسا من مادية فورباخ سوى « نواتها المركزية» وطرحا عنها ما تراكم عليها من قشور مثالية واخلاقية ودينية ..»

وهو توافٍ في منتهى الوضوح ،من حيث ان التعليلين للمقولتين ،هما ادعاء ان.. وهذان الادعاء ان يقام عليهما الدليل بادعاء جديد .. هو : ان المثالية قشور .. وهو نفس الادعاء القديم المضاد : المادية لب .. ، وهو ادعاء ،اذا رُد ، وعرض على الاصل، كان بنتيجته السديم والنخام والابتدائية هي اللباب .. ، وهو نفس الواقع ،من الشعور – لا في المنطق ولا في الحق ولا في المادة ولا في الطبيعة – نفس الواقع من ان ماركس كان يشعر بمضادة لهيغل .. كما شعر ، من بعد، بتنافر نتائجي مع فورباخ ..

– فنحن نرى كيف تدور الدعوى وتدور ، متوالدة متناسلة فلا تلد الا بناتها.. (دعاوى).. حيث نستطيع ان ننمي وننسب لنرجع الى الدعوى الأم.. فاذا هي ما تزال ، برغم اجيالها .. ، ليست اكثر من دعوى ، لم يزدها النسل الا متربة وافتقاراً .. ولم تقترن بدليل يشرعها بعض هذا السفاح بالاستلحاق والاجازة اللاحقة ، او يبرر هذه الابتدائية من التوالد الذاتي القميء ..

– لم تقترن بدليل .. ولم تعتمد الاقتناع ، اللهم الا بمواصلة الادعاء مواصلة ديالكتيكية .. وهي الالحاح الذي يصنع التخمة والاشباع لا الاقتناع ..

والقضية اذن ليست في الفلسفة ولا في المنطق ولا في الطبيعة ولا في المجتمع .. انها، فقط، في محيط الشعور قضية .. فهي قضية شعور .. وشعور من؟ شعور ماركس !ومسألة

تقبل هو الايمان.. وايمان من ؟ ايمان رجال المادية ، ! الذين يعتبرون الايمان هراءاً وصغاراً ومحنة ..) واي مادية ؟ المادية التي ارادت ، من قبل ان لا تؤمن .. ان لا يسهارجس الايمان!! فاذاهي في سلسلة اخطاء ديالكتيكية من ايمان لاينصرم.. وبماذا ؟ بأفكار اشخاص الرجال انفسهم – لا سواهم – وبمبادئهم التي وضعوها لتعبر عن لدنيتهم هم .. اي انعكاس واقعهم هم من المعرفة والفهم والتقبل ، اذ هم افراد « الطليعة » الذين « ينعكس » منهم « الواقع » ، بلا شريك ، واذ هم « الطليعة » التي هي نتاج المادة الاعلى في العصر .. وافكارهم هم هي نتاجهم الاعلى.. فايمانهم بانفسهم .. بافكارهم .. كائنة ماتكون هذه الافكار من التفرد والاستبداد.. وما هي هذه الافكار ؟ انها عبارة عن مفاهيم للواقع .. هو يعكسها منهم .. فهي لذلك صحيحة .. وهي تتدنى بالنوع البشري او تتقدم به ، ولكن في اتجاه من الحقد والبغضاء والثورة وسفك الدماء ..

لماذا المنطق ؟ وما شأنه بعد الدول ؟ ما دامت ثمة طليعة تفسر التاريخ الذي مضى ، وتصنع التاريخ الذي هو آت .. فهذا التاريخ هو المنطق وغير المنطق .. كليلة ودمنة .. والف ليلة وليلة .. ولا ندري كيف انتهيا.. والدول الى غير انتهاء..

من يصنع التاريخ ، ما احراه ان يكون فوق المنطق !! وان يكون المنطق والعلم وكل المعرفة ما يفعل وما يقول ..

دول اخطاء .. ودول بجهلة وصحراء .. حرّم فيها الثبات والدليل والبديهة وفرض فيها التغير والضياع والوقيعة ..

الشعور والتقبل

ان ثمة تراثياً ، دون ريب ، ككل تراء .. ، للظاهرة عن الباطنة .. وهوهو الحصولية الطبيعية عندنا ، او على الاصح ،مسماها ، في جماع العرفـان البشري .. وانه – اي التراثي – ان كان سائب الحبل على الغارب او ملقى على العواهن .. فمن الخير ان نتعامل معه التعامل الخير (١) لانه هو متعامل معنا خير التعامل.. ولان القضية ، في العمق أعمق وفي السمواسمى .. ،طبقات متراكبة متصلة،من ان ننفي المادية ، ونحن غرقاها ، ومن ان نريد هذا النفي عن طريق الابانة عن «سرقة» اصولها المثالية .. من حيث الشكل والصودة ..

أليس يستطيع قائل ان يقول : حسناً .. لقد سرق الرجـــلان – ماركس وانجلس – ومزجا .. فاتيا بالعجب من السرقة والمزج .. ولمثـل ذلك فليسرق السارقون ..

إن ثمة تراثياً ، دون ريب ، :

١ – « لم يقتبسا من ديالكتك هيغل سوى نواته العقلية وطرحا قشرته المثالية»

٢ – « .. لم يقتبسا من مادية فورباخ سوى نواتها المركزية .. وطرحا عنهاما تراكم عليها من قشور مثالية واخلاقية ودينية . »

« ومن المعلوم ان فورباخ ، رغم كونه مادياً من حيث الاساس ، احتج على

---

(١) – التعامل الخيرلا بد انه تبادل الخير تعاملاً .. ووضع الجملة هنا انما يعني ضرورة دخول القصد والعمد .. اي ادراك الخير في اسلوب التراثي والاطمئنان له لنظفر منه بطائل

نعته بالمادية ، حتى لقد قال انجلس مراراً ان فورباخ (رغم اساسه) « المادي » « ظل سجين القيود المثالية التقليدية » ، و « ان مثالية فورباخ الحقيقية » تظهر « حال وصولنا الى فلسفته في الدين والى فلسفته في الاخلاق »

١ – لقد عبر ستالن عن ان:

أ – الاخذ الذي وقع على ديالكتيك هيغل قد تناول « نواته العقلية » و

ب – الطرح وقع على القشرة المثالية ..

لماذا المثالية قشر ؟

٢ – ولقد عبر ستالن عن ان :

أ – الاخذ الذي وقع على مادية فورباخ قد تناول « نواتها المركزية – والاساس المادي »

ب – والطرح وقع على « ما تراكم من قشور مثالية واخلاقية ودينية »

لماذا المثالية والاخلاق والدين قشور ؟

وبعد ، لماذا هذه الالفاظ والتعابير تتراءى تراثياً جاحداً ؟ وتراوغ الصدق الذي هو ايضاً يتراءى مع اهتزاز الكلمات والتعابير ؟!

لماذا لم يصنع الرجلان سوى الطرح ؟؟ هل الطرح فعل ام ترك ؟ هل الطرح فعل ام امتناع ؟! – اي ترك فعل – ؟

وبكلمة .. – ١ – هل الطرح عمل أو ترك بعدي مستقل ؟ اي بعد الأخذ.. – ٢ – ام هو عمل او ترك مصاحب يقع ضمن الأخذ ؟؟ – ٣ – وهل الازدواج والاستصحاب من الاخذ والطرح عملية تهذيب وتقليم ام عملية انتقاء ؟

وفيما يتعلق بالعلاقة مع هيغل ، هل هي عملية انتقاء ام عملية كبس وضغط ؟

– وفيما يتعلق بالعلاقة مع فورباخ ، :

لماذا هذا التراثي ؟ – لماذا الانسان الذي « رغم كونه مادياً من حيث

الاساس » يحتج « على نعته بالمادية » ؟ ولماذا هذا الانسان بعينه و « رغم اساسه المادي» يختار اختياراً ان « يظل سجين القيود المثالية التقليدية » ؟ و « يحتج » على اضافته لغير السجن ؟

هل مع الاختيار سجن ؟ ام هل مع الاحتجاج اضافة ؟ ام ان الاختيار هو الصحبة مع المقام ، والاحتجاج هو قرين الاضافة الراغمة الغاصبة فهو منتفى الاضافة والرغم والغصب ..

وبعد . فلماذا « المثل » ، التي هي « قيود » ، يذهب اليها الفلاسفة ، ومن الحرية ، مادين ايديهم واعناقهم الى القيد ، طيبي الخاطر .. ؟ ما هذا الحب ، او الظلم المحبوب ؟ وما هذا التفضيل للقيد على الحرية ؟ لقيد المثال على حرية المادة ..ولماذا المثل التي هي « قيود » تصبح « تقليداً » ؟ وعند غير المقلدين .. الذين ليس يصير الواحد منهم فيلسوفاً الا وهو ، عند نفسه وفي زعمه ، هو هو المتحرر من كل قيد ، والذي يريد ، من تحرره ومن شعوره بالقدرة ، ان يضع ما لم يوضع قبله .. ويبلغ ما لم يبلغه احد من العالمين .. ، ولماذا هذا « التقليد » تصبح له قدسية يصار ابداً وينتهي اليها .. فهي مصير ومنتهى .. لكل هؤلاء .. الذين سعوا الى الحرية والتحلل عندما سعوا لا الى القيد .. ومضوا الى الجدة بزعمهم ، والابتداع ، عندما مضوا ، لا الى « التقليد » .

ولماذا « من المعلوم » عند ستالين واسلافه ان لفورباخ « رغم اساسه المادي» « مثالية حقيقية » ؟ ولماذا « تظهر حال وصولنا الى فلسفته في الدين والى فلسفته في الاخلاق » ؟ لماذا يستوي فورباخ مع البشر ومع الماديين اولا ، ثم يظهر على « مثاليته الحقيقية » عندما يبحث الدين والاخلاق ؟ ولماذا لا تظهر حقيقة مثاليته إلا بعد مسيرة طويلة وتصعيد ؟ ولماذا هي مآل التصعيد ؟. ولماذا هي ، بالنتيجة ، دين واخلاق ؟

لماذا هذه المصاحبة ، مصاحبة المثالية للدين والاخلاق ؟؟ اي « للقيد والتقليد

والقشر والسجن » أهي مصاحبة ام تبعية والتحاق ؟؟ وماهذه الدعوة الى « السجون والقيود والتقاليد والقشور » كما لو كانت مضايف واعراساً .. اهي اعراس ومضايف؟ ما هذا السور الآخذ على هؤلاء الرجال، على طول التاريخ، حيواتهم واعمارهم وافكارهم ؟ ما هذا «التقليد» ؟ ولماذا هو، ابداً ، براح وتصعيد ومغادرة للاساس المادي، والى السجن المثالي ؟! لماذا القيود المختارة مثالية ، ولماذا الحرية المنبوذة المحتج عليها مادية ؟ هل نحن عبيد نكره الحرية ؟ مع اننا مع توهمها نمضي .. وفي مظنة محجتها نسير .. هل المثالية القيد اقوى اغراءاً من المادية الحرية ؟!

ما هذا الجبر الذي تنظمه فوقنا المعرفة ؟ ايجب ان نعيد النظر في هذه النعوت على تلامع هذا التراثي المغرق المغذ ؟ ! ام يجب ان لا ننظر الى هذه الاعتبارات . فما دامت المثالية في نظرنا سجناً وقيداً وتقليداً وقشراً .. فهي هي هذه جميعاً .. وعلى الذين يقارفونها ان يرزحوا فلا عاد لهم عود .. هيا بنا عنهم .. الى المادية .. ولكن مهلاً لعلنا نحصل واحداً منهم قبل القطيعة .

اليست الافكار كلها كما تقول المادية « انعكاس الواقع » او « نتاج المادة الاعلى » فلماذا هؤلاء الرجال يعكسونها قشوراً وسجوناً وقيوداً وتقاليد .. بل لماذا هما ينعكسان ، لا انعكاس واقع ولكن انعكاس خيال او زور ، ولماذا هما ينتجان ، لا نتاجاً اعلى ولكن نتاجاً ادنى ؟ . ثم لماذا ، هؤلاء الرجال ، لا يفعلون هذا الانعكاس والنتاج او هما لا يفعلان منهم ، منذ اساسهم المادي ؟ اي لماذا لا ينعكس منهم واقعهم الاخير منذ واقعهم الاول ؟ ولماذا لا ينعكس الا بعد التصعيد ؟ اهو « التغير » « الطبيعي » ام الرجعي ؟ اهو « التغير » « الديالكتيكي التقدمي » ام هو ذات الثبات الجبري الكلي ؟ هل واقع هؤلاء الرجال اللاحق ، من السجن والقيد والقشر والتقليد ، يمكن ان يصير من « اساس مادي » اي من « واقع مادي » سابق تملأه وتكظه « المعارف الصحيحة » ؟ فان امكن ، فاين غاب الديالكتيك ، وكيف نام عن نصف المعسكر فرحل الى معسكر العدو المثالي يعززه .. وكيف لمت المادة فطار ، خلال لهوها ، منها هذا الفكر شعاعاً مثالياً

سجيناً عبداً لا خير فيه ؟ افي غير المادة عاشوا ؟ ام عن غير الاساس المادي طاروا وابقوا وانفلتوا وحلقوا ؟ لماذا هذا الجنون النوعي الواحد يتديلك قروناً متطاولة فلا يعود الا ليثبت هو هو ذات الجنون .. برغم الماديات جميعاً .. وبرغم امتصاصها كل فكر .. وتسلقها على كل فكر ..

ما هذه الاسئلة ، ما هذا التجديف على المادة ودولها لمصلحة المثال والثبات ؟ هذا كفر بالمادة ، وردة الى المثال .. الم يقل ماركس : « ليس ادراك الناس هو الذي يحدد معيشتهم ، بل على العكس من ذلك ، ان معيشتهم الاجتماعية هي التي تحدد ادراكهم » بلى لقد قال . وهذا كلام لعله جليل .. ، فلا بد اذن من ان معيشة هؤلاء الفلاسفة ولا بد من ان معيشة الناس قد حددت لهم هـذا الادراك المثالي الذي يعق المادة ويهجوها .. ، فالمعايش ، إذن ، هذا شأنها .. : ان ينعكس منها الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر ، وبالعمل الصالح ومكارم الاخلاق ، وان ينعكس منها الايمان بالمثل العليا التي تنتمي الى القيم وترتد الى ذات المصير ..

– والمسألة ، اذن ، بحالهـــا ، والمعضلة على ما كانت .. ، لماذا المعيشة كانت وما تزال توحي وتحدد إدراكا هو ابداً تجديف على المادة واحتقار لها وتفلت منها ؟ . انها ، اذن ، لمادة تلد اعداءها .. وتعكس جحودها .. وبعد ، فما هي الا الأم التي تخجلنا امومتها ونخزى بما اورثتنا من النقص والفقر والاحتياج ، او نشقى لمـــا منعتنا منه وامسكته عنا من تقدم وتطور تنجمه تنجيما وتقسطه تقسيطاً على سلحفة الملايين من القرون .. يدفعها اليه الفقر السابق والاملاق .. فتتحرك وتتحرك .. وتختلج وتتناقض .. وتتضارب وتتفاعل لتخرج من ذات نفسها تقدماً لم يكن في لدنيتها ثم كان .. من فرط ماتتحوى وتتلوى وتتخبط وتتمرغ ، في كل حمأة هي هي وحضيض هو هي ..

– وبعد ، فما هي الا الأم التي لنقل ، تخلصاً من العار ، او اعترافاً بمـــا هو الصغار .. ، انها الخادمة الذلول .. والتي لنكرر انها الخادمة حتى ننسى وتنسى هي معنا الا انها كما نقول ونكرر ..

وبعد فمن ذا الذي قال من ابنائها مقولة اعتراف بها تضعه ولا ترفعها ، اللهم الا الساجدون في مراسب ضلالها ومغاشم وثنها ، المتعبدون رزوحها وتهالكها وتهافتها .. ممن اطلعت « طلائع » متنبئة عن مستقبل حاضر بكامتها وصممها وعماها لينسبوا اليها قصر معارفهم وخصوص وجودهم واجتزاء اوشالهم ...

... ...

وبعد : لماذا هذه التعاديل تظل تطرأ على النصوص الماركسية ، من كارل نفسه ومن انجلس ، ثم من لينين فستالن ؟ لقد كادت تنفد الماركسية بالتعاديل ، بل هي قد فعلت ، نفس نفادها الاول بالاخذ والطرح لتعبر عن انها فقاعة او لا تكاد.. لماذا يلاحقها التراثي فتظل تبوء بالاندحار ؟؟

ذلك انها بيدها تنتحر .. انها التغير .. انها الحول والدول ..

اننا ما نزال نذكر مقولة ماركس : « ان طريقتي الديالكتيكية لا تختلف عن الطريقة الهيغلية من حيث الاساس فحسب .. الخ ارجع اليها » هذه المقولة التي تركنا التعامل معها الى كتاب آخر ..

ان الانعكاس الذي يتحدث عنه ماركس ، والذي هو ، عنده ، حركة الفكر ، يعطى مفهوماً معيناً على ضوء الهيغلية ، التي هي مصدره ومرجعه .. فثمة ، اذن ، وضوح للزعم .. اما التراجع ضمناً عن بعض هذا التمادي في زعم هذه المقولة في المقولة الاخرى التي مرت : « ليس ادراك الناس هو الذي .. » فهو تراجع ستراتيجي مكابر .. ولكنه واقع تحت قانون التراثي وجبره ..

فالتراثي هو الذي جزر الستراتيجية في المقولة الاولى الى التراجع في المقولة الثانية عند ماركس نفسه ..

والتراثي هو الذي جزر الجزء الايجابي من المقولة الثانية عن مكافأة الجزء السلبي منها وموازاته .. تحفظاً هو التراجع ..

والتراثي هو الذي مد اعيننا لنبصر كل هذا التلامع وراء هذه التعابير .. فكان لنا من قانونه نبعة ميتائية .. ورائية ..

مما لا ريب فيه ان النفي في المقولة : « ليس ادراك الناس هو الذي يحدد معيشتهم . » يقابله من الايجاب للعكس ان يقال : (بل على العكس ان معيشتهم - بدون وصفها بالاجتماعية - هي التي تحدد ادراكهم ، ولو قيل هذا .. لاستوى الناس والبقر .. او استوى الحمير والناس .. وتحت هذا الجزر جاءت مقولة ماركس لتنص على غير المقابلة بين النفي والايجاب ، فكانت المقولة فيها اضافة نابية ملحوظة « ان معيشتهم الاجتماعية هي التي تحدد ادراكهم » وهي ، كما ترى ، اضافة لعوب تجعل المقولة لاول وهلة تتحصل في القبول ، لان «المعيشة الاجتماعية» معيشة تتضمن الادراك والحاجة معاً .. فهي تعبر عن الانسان متأثراً ومؤثرا .. غير اننا ان طلبنا للجزء السلبي ان يكافىء بالنفي الجزء الايجابي راحت مقولة النفي هكذا : « ليس ادراك الناس هو الذي يحدد معيشتهم الاجتماعية » فلو وضعها ماركس هكذا، لاندحرت المقولة وانهزمت خمسين عصرا قبل هيغل .. ولما تنفس فيها من الدول جديد ولا قديم - ذلك ان الناس ، في نظر الجميع، ليسوا صرف صفاء ادراك لا تشوبه المعيشة .. او هم ليسوا ملائكة .. بل هم قوم «يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق». فيصح، اذن ، ويقبل - وهلة - ان يكون الادراك غير مستبد بالمعيشة الاجتماعية ، بل ان جماع المعيشة الاجتماعية هو ما يهيمن على الادراك .. الذي هو جزء كبير من الاجتماعية .

لقد كانت المقولة تراجعاً يراد منه الاحتفاظ بوحدة الجيش والابقاء على استمرار الدول ، المحمول على الطبيعة ، جاريا في الحياة الاجتماعية على امتداد المادية الثانية (التاريخية) .

لقد ظهر التراجع برغم التغطية .. وبرغم الستر المسدلة على هذا الهجوم الساحق للخلف ، وعلى التقدم الى الوراء .. فلم تعد ثمة صلة على الاطلاق بين المقولتين ، من جهة ، وبين المقولة الثانية ، والحركة المادية ، من حيث هي تحرك اجتماعي ، من جهة اخرى .. ما ابعد ماركس الآن عن زعمه ! فلقد عاد من طلاب علم

الاجتماع قبل هيغل .. او عاد فيلسوفاً صغيرا قبل خمسين عصرا ..

ويتم اندحار ماركس الستراتيجي إلى نقطة الصفر بمقولته التي افاض ستالن في شرحها واتخاذ الحيطة منها ، اذ يقول ماركس : « تصبح النظرية قوة مادية منذ دخولها في الجماهير » .

• • •

ان بحث هذه المقولة وتتبعها وملاحقتها ليس من غرض هذا الجزء .. ولذلك لم نرد ان نبحثهـــا هنا اكثر مما فعلنا .. وانه ليكفي منـــا الان ان نضع الادعاء وحده وهو : ليست المعيشة ، وليست المعيشة الاجتماعية .. ليست واحدة منها تحدد تحديداً ادراك النـاس .. انها ذات علاقة بالادراك .. ولكنها لا تحدده قط .. انها تطلقه وتمده ..

هل بقي ، بعد ، من قائل ، ان لماركس مادية او دولا ؟؟

اللهم ، ان بقي له من شيء ، فالطفيلية كل الطفيلية ، والتسلق كل التسلق .. واللعب والاستهزاء .. والاستهتار ..

قانون التراثي

الظاهر والباطن

ان ثمة تراثياً ، دون ريب ، للظاهرة من الحقيقة ..

وهذا التراثي طباق التقنية الكبرى .. المتفرعة تقنيات ..

وهذا التراثي ، يروح تراوحه بين نقطتين في كل ما يروح بين نقطتين..

هذا هو انضباط القانون ..

...

ليس يتراوح التراثي ويتلاعب ، امام عيني ستالن وحده او أسلافه .. وليس يتلامع من المذهبية المادية وحدها .. انه على البشر عموم .. وهو في المعرفة الانسانية اساس .. اي بدء لكل معرفة ..

ـ هذا الاساس هو ما ظنته المادية الديالكتيكية « تناقضاً » و « تضاداً » و « نضال متضادات » ..

لقد رأته في « الوجود » ولكن من مجهر « المعرفة الانسانية » التي هي نفسها تحت التراثي .. فلن يكون الوجود ، إذن ، عندها الا طباق المعرفة الانسانية .. تحت التراثي .. وجوداً في المعرفة .. وجود معرفة .. لا وجوداً في الوجوه .. وُجودَ وُجود ..

ليس يتلامع التراثي من الماديات وحدها .. انه عموم على البشر .. يعم ويجبر ويسوّد ..

انه التراثي .. تثنية لا وحدة .. فالخلاص منه خلاص من الظاهرة الى الحقيقة .. خلاص من التثنية والتعدد الى الوحدة .. خلاص من الخصوص الى العموم .. خلاص من الانانية الى الغيرية .. خلاص من الانسانية الى الملائكية .. خلاص من القانون الى الحرية ، بالارتقاء فوق القانون .. ولكن لا بخرق القانون .. بل بتمثل القانون تمثل طواعية القانون .. وبدخول القانون في الذات وهيمنة على الذات هيمنة ارتضاء ..

هكذا يخلص المؤمنون ، خلاصاً بالمعرفة ، خلاصا في الكليات .. والارجاع العلّي .. خلاصاً هو الآخر نسبي مع الايمان ..

• • •

دخلت القيمة المادة (ليس هذا هو التعبير الصحيح ، ولكننا مضطرون عليه الآن) واستمرت تساور وتمس .. وتثبت في المادة ..

ولكن المادة ظلت اساساً .. ، عند نفسها ، فظلت القيمة في المادة غريبة في المشاب من المادة .. اجنبية في المذاب من المعرفة البشرية .. يُعبّر عنها ، تحت التراثي ، بانها « السجن والقيد والمثال والتقليد والاخلاق والدين والتصعيد » .. الخ .. فهي ارتحال لا اقامة .. كما يتراءى ..

ما هذا التراثي .. لا ينقطع ؟! ولكنه ، كما يتراءى ، تسلسل انقطاع .. وما هذا « المد الابدي » ؟! ولماذا كل مثالية تعقبها مادية نوعية .. فلا يكون ، من الحاصل ، الا ان تتقرر القيمة وتثبت .. ثم يعود الدول .. فنرى جدة من القيمة .. تتبعها جدة من الثبات .. فلا تكون المادية الا تجسيد القيمة والاصطلاح على القيمة والتعامل بالقيمة .. سواء في كل هذا ان يكون تلقي المادية من القيمة تلقياً مخلصاً

لا دخل فيه .. او تلقياً متحذلقاً جاحداً ..

بهذا التساؤل وبهذا الفهم .. وبالنسبة للقيمة ، تتصنف في المادية حتى النبوات تصنفاً غير الذي وضعناه .. **لانه ما النبوة ؟! انها انطباع القيمة على ماهى الحياة من عمر النبي .. تلبيها المحاولات من الاعمار والحيوات ..**

جبر هائل .. ونطاق .. عز من جبر .. وعم من نطاق ..

طبيعي ان لا تجنح المادة (١) ، من نفسها ، الى العلى .. فهي ابداً اساس ..

وطبيعي ان تعتبر المادة التحليق والتصعيد حال غربة ..

وطبيعي ان يكون اساسنا ، جميعاً ، مادياً بحتاً لا لدنية فيه لغنَاء او اغتناء ..

– فتصعيدنا حال غربة ، ثم هو ، بعد الثبات في المادة ، وطن ..

– وتسامينا محاولة للارتفاع عن انفسنا .. عن مادتنا .. ثم هو ، من بعد ، المستوى الذي نثبت فيه على جناح القيمـــة .. فهو تخليف لانفسنا وترك .. وهو مغادرة منا لنا .. وتقدم عن مادتنا وتفوق عليها .. وبعد .. هل هو ارتفاع مادتنا او ارتفاعنا .. ام هو ارتفاع القيمة ؟

ان التحليق للقيمة .. وانه لها الارتفاع ..

إننا نشهد السيادة متفرجين .. ثم تقع علينا السيادة . وقوعاً في التفرج .. إذ تحق حقاً اصيلاً من الكينونة .. **فثمة ، لا حال وقوع ولا حصول .. ولكن نراء من الوقوع .. هو الحق من الازل والقدم والبقاء ..** ويهبط علينا العرفان تراثي هبوط .. يجرنا جراً متداركاً متصلاً .. هو حقيقة اتصـــال .. لاحصول

(١) ليس هذا هو التعبير الصحيح ، ولكننا مضطرون عليه ، ربما نصل الى مسألة الوجود .. ونبحث المادة .

صيرورة .. اي تراثياً من الصيرورة والحصول هو الحق من الدوام المتصل .. قدماً وبقاءاً .. يجرنا جراً متداركاً جبرياً .. لا يد لنا فيه ولا حق رفض او امتناع

وعندما نصبح ، نحن ، في انسجام مع القيمة (وهو ما لا يدركه الا الانبياء وقلة من القديسين والاولياء) لا يعود لمطالب المادة علينا ثمنٌ او ارتغاب .. فلا تبقى فينا عبودية .. فنحن ، اذ ذاك ، ابداً ، نذر للقيمة .. **وحريتنا اذ لا نستطيع الخطأ .. وان لا نكون ولا نستطيع لا كون القيمة وارتغاب القيمة ..** دون هدف آخر

. . .

ان التراثي المتلامع في شعور ستالن وشعور اسلافه ، اذ يتحدث عن «الاساس والقشر» ليس موعياً عندهم على انه تراء .. لان العبودية للظاهرة تجعلها عندهم « الواقع الوحيد » خلاصاً من التثنية الى مادية التوحيد .. التي تجر الى الانانية والعبودية والخصوص والاستبداد ..

– هذا دون اي ادراك يتحصل عن التراثي انه : الظاهرة من واقع حصول ، (هو الواقع العديد) خلفها باطنة من القيمة الحقيقة ..

اذا كنا بشراً ماديين .. فنحن المادة والآلة ، ومربطنا إلى المذود .. فان صعّدنا وارتفعنا .. فالقيمة

.. وإذ القيمة قبلية الارتفاع ، لا حال تصعيد ، فنحن ، إذن ، في القيمة ، لا في المادة .. وما التصعيد الا ظاهرة ، هي فرد زوجي التراثي تحت الجبر .. هي علاقتنا بالقيمة .. تلك التي هي علاقة طواعية وائتمار .. علاقة المغازي بصاحب الانتصار ..

أليس ستالن يحكم على نفسه من وجهة نظره ؟

أليس هو يعبر عن ما نحن .. في الحاصل ، وعن ما كنا ؟ لا عن ما يجب ان

نكون .. ولا عن ما ، تحت الجبر، سنكون .. بتعيين القيمة الاكيد ..

ان هذا الحكم من ستالن على نفسه – الحكم الممتد الينا والذي نشركه فيه – وان التعبير عما نحن وما كنا – الذي نؤكده له .. متعدياً الينا مثله ..

– انما هو الحكم على ما كانت انفسنا .. لا على ما نُستطاع بالقيمة ان تكون ..

وانما هو التعبير عن ما نحن .. لا عن ماسوف نصبح ونؤول ..

انه ليس الا القيمة ، أوّلا ومصيراً ومرجعاً ..

كما انه لم يكن الا القيمة سبقاً وقدما ، واطراد استقرار وثبات ..

هكذا نفهم :

الظاهرة من الواقع ..	والباطنة في الحق ..
تحت الجبر في التراثي ..	في المفرد من الجبر ..
	– الذي هو الحرية

هذا هو الحق المبين !

الرجعـــــى

الحال ما كانت عليه الحال

.. وبعد ما تقدم ، ومع وضوح الاخذ ، ورغم الاساس المادي .. فاننا نظل في مسألة :

١ – هل دوّل هيغل هو عين دول ماركس وملحقه الفكري أنجلس(١) ؟

٢ – وهل مادية فورباخ هي عين مادية ماركس وأنجلس(٢) ؟

هنا الصعوبة : فلقد قال ستالن كلمته ووقف ولم يمش .. (برغم مأثورة فيلسوف الفريكة : قل كلمتك وامش ..) أما نحن – الذين ليست لنا « نخنية » مستقرة .. – فاننا على النحو من « نخنيتنا » نقول مرة نعم ، ونقول اخرى لا ، ونمزج ، ثالثة ، نعمنا بلا .. ونستولدهما في دَوْلٍ مستمر ... :

١ – ان الدَوْل (الديالكتيك) لهيغل ، لا بالخلق ولا بالابتداع ، ولا بالتملك ولا بالسبق .. ولكن بالتفرج والاستضافة والاذن واللحاق .. ، فهو التعبير الناقص من الضيف المتفرج عن دار المضيف التي لم يدخل منها الا ما اقامه فيه ، هو التعبير الناقص عن مسمى الواقع .. في تقدمية بالمنطق ظنها هيغل ، نفسه ، تركاً للمنطق ووثوباً عليه ونفياً له نفي استغناء لمصلحة الايمان .. ، فما كانت هذه التقدمية الا زيادة عليه وتعميقاً فيه .. (كما سيجيء في بحث آخر من كتاب آخر .)

– فالدول (الديالكتيك) المنسوب لهيغل ونعني به مسمى الدول ، الذي هو

---

(١) و (٢) ليس من السهل ، عند المعرفة ، ان يكون الرجلان شريكي مذهب يضمانه .. والشركة ، اذن ، شركة مصادرة

مسمى المنطق .. :

– الذي قصر ويقصر عنه كل من المنطق والديالكتيك وما سيلحقهما .. ،

والذي حاولت ان تمنطقه المثالية ..

– والذي اغتصبته المادية وردته نحلة للمادة ..

– هذا الدول سابق لهيغل .. ينمي هيغل .. وليس ينتمي اليه ..

وعندما يأخذه ماركس ويجعله مادياً .. فهل ظل هو الدول تفرجاً واستضافة وإذناً ولحاقاً ؟ ام ارتجع ما كان المنطق ؟ ام عاد بدءه الاول شيئاً ليس منطقاً ولا دولاً فضلاً عن مسماهما .. بل هكراً واجهالا وغموضاً وغشماً وضلال الأولين وخرف الآخرين .. ، هل راح زيادة .. وتعميقاً .. أم اضحالا واستيشالا (اي ريناً وطفواً .. من خفـــة لا من وزن ..) لا يرتفع عن الاساس المادي شيء ارتفاع ؟ !

– وعندما يأخذه ماركس دولاً من هيغل ويجعله مادياً .. ، خلطاً له بأساس فورباخ .. لا بقمته .. فهل هو هيغل أم هو فورباخ ؟ أي هل هو دول هيغل ام هو مثالية (قمة) فورباخ ؟ انه لا هذا ولا ذاك وانما مسخ من الاول وموطىء القدم من الثاني .

– وعندما يأخذه ماركس ، هذا الاخذ الذي ليس اخذاً .. ، (لأن الاخذ لم يقع الا في الوهم ..) وانما هو رجوع الى الاساس المادي الجاهل المخلف المتروك ، وردة – من المرتدين – مرت بهيغل مروراً في طريقها الى الاساس فحصّلت عنه ذكرى مرور ..

– وهذا الرجوع وهذه الردة يؤلفان لا فراراً من « المثالية والسجن والقيد والتقليد والدين والاخلاق » لأنه أين أين المفر ؟ ! ولكن محاولة فرار – كما سنرى في الفصل التالي –

– نقول : عندما يأخذه ماركس هذا الأخذ الذي ليس أخذاً .. ، وانما هو

تراه من الاخذ .. فأية علاقة ، بعد ، للدول المادي (للديالكتيكية المادية) بهيغل؟ اللهم الا العلاقة التي ، لا بين مسيحية المسيح وحبه وسلامه وبين حق الغضب من الناموس في العهد القديم ، ولكن بين مسيحية المسيح التامة ومادية شعب اسرائيل التي تأبى الهاً الا « عجلاً جسداً له خوار .. » والا كنيساً لله ، لبعبد الكنيس لا الله .. ، والا السبت والمذبح والذبائح والزيوت التي لا يكون الا بها في الفهم، آنذاك ، منطق فهم أو عقيدة .

عندما يأخذ ماركس هذا الأخذ ، فكيف يكون أخذاً فضلاً من ان يكون، ضمن الأخذ ، إقامة وتصحيحاً كما هو زعم الآخذين ؟!

كتب الاستاذ بكداش ملحقاً ضمنه ترجمات مختصرة للاعلام جاءت فيه المقولة التالية عن هيغل وماركس وهي مقولة ما فتئت تتردد على ألسنة الماركسيين والشيوعيين ، قال : « وماركس هو اول من قلب ديالكتيك هيغل ووضعه فعلاً على قدميه بعد أن تبينت له وحدة الذات والموضوع في الطبيعة وفي المجتمع البشري »

وهذا الاخذ ، بعد ، :

ان كان أخذاً بالحق فما هو اخذ .. وانما هو تلمذة .. وهو ، بعد ، لهيغل أو لمن أخذه عنه هيغل ..

وان كان أخذاً بالباطل فهو باطل الآخذ وحق المأخوذ منه .. (انظر بحوث التسمية) .

ان ما فعله ماركس لم يكن سوى الجمع بين مادية فورباخ (التي لم تكن مادية – باعتراف من ستالن وأنجلس وباحتجاج على النعت بالمادية من فورباخ – وانما كانت اساساً مادياً) – تلك المادية التي لم تكن الا قاعدة للتحليق، – وبين دَوَل هيغل الذي هو التحليق فوق المنطق .. وتحت التعاليم ..

ان دول هيغل مثالية .. وان دول ماركس مادية لا دول .. والمسألة ،

اذن ، كما تركتها الفلسفة : مسألة المثالية والمادية.. مسألة الذات والموضوع..، والمسألة ، اذن ، بحالها، كما عالجتها التعاليم : الله والعالم .. ، الحق والباطل ، الأزلي الأبدي والفاني ... ـ كل الثنائيات الجبرية التي لا مفر منها قط .. اينما توجهت ومهما وحّدت .. وكيف آمنت أو كفرت ..

٢ ـ لن نطيل عن مادية فورباخ . . فقد قال ستالن مضمّناً ومحتجاً بما قاله أنجلس من ان (« مثالية فورباخ الحقيقية » تظهر « حال وصولنا الى فلسفته في الدين والى فلسفته في الاخلاق . ») وهو أي فورباخ هو الرجل « الذي احتج على نعته بالمادية » وهو ، بذلك ، في عرف انجلس « قد ظل سجين القيود المثالية التقليدية » تلك التي ليس منها مفر ، وليس عنها من محيص ..

واذن ، كان ما اخذه ماركس من فورباخ هو ما تركه فورباخ ، غير آسف عليه ، من اساس مادي ، يحاول البشر ، اجمعين، بلا استثناء الماديين والشيوعيين، ان يخلفوه ويتركوه ويرتفعوا عن حضيضه..واعين متعمدين او مسوقين مغتمضين.. تحت الجبر الجبار ...

....

١ و ٢ ـ واذن فان مهبط فورباخ الذي ليس مهبطاً .. والذي هو مطار..، قد جعله ماركس حظيرة أسر ورباطاً لدول هيغل.. بعد ان طرد فورباخ منه..ـ فورباخ الذي لم ينتظر هذا الطرد قط .. والذي كان قد حلّق عن مطاره ..

ـ وما بعض هذا الا اعمال قرصنة فكرية تندغم فيها افعال من الاستغفال غير المقصود ، والتزوير المزوّر على فاعله ، لم يكن منها من خلاص بغير الوعي الذي كان شحيحاً على ماركس ، تحت العوامل التي ألمعنا اليها في فصل (شدة العفو الماركسي) ..

انا لا أدين ماركس .. اما الآخرون الذين رجعوا الهوينا عن الماركسية باسم التطور ، مع عمد احتفاظهم بأنجيلية « رأس المال » وبقدسية المادية .. فهؤلاء

انفسهم يدينون ..

اجل .. لم يكن اخذ ماركس الاقرصنة فكرية عفوية .. واستغفالا وتزويراً، كان ماركس معها هو المستغفَل والمستغفل والمزور والمزور عليه ، تعقيداً على تعقيد .. من الصعب العسير ان يلم به او يتفهمه بسطاء العمال الذين قد يعجبهم الرثاء من المادية .. لا لأنهم ماديون ، ولكن لأنهم مثاليون تجريديون .. يحبون تجسيد المقدسات المجردة وتطبيق المثال تماثيل في الساحات .. ، ومن هذه الخدعة يؤخذون ، وبها يساقون الى جحيم الحروب يصلونها من دون الماديين

مَن لنا بأن ينجلي لهم الغبار .. عن بهتان هذه البدعة التي قامت على اساس وعقيدة من الخراب والدمار.. والضرورة اللازمة ضريبة من التطور على الاعمار ..

الحقوق الممنوعة:

أ – الحنين الى الرجعى

ان المادية ما تزال تعتبر ان فورباخ هو

(١) – « الفيلسوف الذي اعاد الى المادية حقوقها »(١) . في نفس الوقت الذي كان –

(٢) – « من المعلوم ان فورباخ ، رغم كونه مادياً من حيث الاساس ،(٢) احتج على نعته بالمادية ، حتى لقد قال انجلس مراراً : ان فورباخ (رغم اساسه) المادي (ظل سجين القيود المثالية التقليدية) و (ان مثالية فورباخ الحقيقية) تظهر (حال وصولنا الى فلسفته في الدين والى فلسفته في الاخلاق) . »

فما هي هذه « الحقوق » المتنازع عليها والتي اعادها فورباخ ؟

. . .

١) – لو امتد اطلاع ستالن التاريخي – في تاريخ الفلسفة – على المادية ، من غير منظار اسلافه ، اي ، على استرسال المادية الواحدة الاولى ، اذ هي عبارة حال مادیتنا جميعاً .. ، واذ هي عبارة فهمنا ما يلابسنا من مادة المحيط .. ، واذ

---

(١) — وهذه الامامة هي الامامة التي اجبر عليها هيغل وفورباخ ، امامين راغمين مجبرين اجبار مصادرة . لقد ضرب وسجن ابو يوسف ليصبح القاضي ابا يوسف .. اجل ليقضي بين المتداعين وهو المحروم من حق الادعاء بعدم صلاحيته للقضاء .. هذا الحق الذي يملك ان يدعيه كل احد .. وهذان الامامان حرما من كل امامة ، في الواقع ، الا امامة السجن والطرد ..

(٢) – هذا الاساس الضروري لكل فلسفة ولكل عرفان ولكل دين ولكل تعليم .. ،

هي التعبير السلوكي والنظري ، معاً مندغمين ، عن المادية الطبيعية والحيوانية قبل ان يتجنح الادراك ويتجرد .. ، اي ، في الاصطلاح المادي ، اذ هي التعبير عن المادية الطبيعية والحيوانية قبل ان « تنتج نتاجها الاعلى »

– نقول ، : لو امتد اطلاع ستالن على استرسال هذه المادية وانشعابها ماديات عدة، تلاحق كل تجريد وتجنح –، مع انها في الاصل عبارة الاستمرار المادي وكفى.. وهي ، بعد الاصل ، عبارة تعب الطائر المادي من خفق الجناح .. وهبوطه الى المادة اذ هي اساسنا .. واذ نحن ، من قبل، لا شيء الا المادة،

–لوجد طبيعياً جداً ان يكون اساس فورباخ ، اساً مادياً .. ، ولوجد طبيعياً كذلك ان يصعد فورباخ بجناح مثالي مرتفعاً عن المادية الى المجردات الناظمة للحياة .. التي تعطي العمومية .. تلك العمومية التي تنفرع عنها النظم والكليات

طبيعية التصعيد عن الاساس المادي

– وماذا فعلت المادية نفسها باساسها المادي ؟ . انها صعدت منه خطاً او صوابا لتبحث المجردات ولتفتش عن نظم اجتماعي يكون في زعمها مصداقاً للنظم الطبيعي، فارادت لها ديناً وايماناً وعقيدة واجتماعية وحكما تصعد على اساسها المادي .. متدرجة من « المادة » و « الطبيعة » و « الواقع » الى « نتاجها الاعلى » .. وليس هذا وحده .. بل راحت تصنع صنع الدين والمثاليات والمنطق .. وتسبح سبحها وتصعد تصعيدها لا سواه .. فصنعت لها « ضرورة » هي اللزوم .. واستعارت لها « ديالكتيكاً » جبرياً اشبه بجبر القدر .. كله ليس بدعاً .. وانما هو هو البدع الاول .. او ضمنه او بعضه .. صادرته مصادرة ، واتخذته – فما عيب اصالته ؟ ! – اتخاذ محاكاة وتقليد ..

لقد صورت ما كان وما جرى .. جيشاً من الحياة والمضطربات في كل الحياة .. في «فيلم» .. ودخلته ، هي ، تمثيلاً .. متنازلة عن دورها الجزئي فيه ، لتلقي فيه اوامر يومية عسكرية .. ، شائبة فيلم لا سجام فيلم .. وتصنيع طبيعة لا طبع طبيعة ..

كان حياة لا فيلماً ، واجتماعية حيات ، لا شتاة حياة .. ، وكلية انواع لاانفراداً منها ولا قسمة .. ، عضوية حياة ووجود ، متجانسة متوائمة .. لا شرطة حياة او عسكرية وجود متفرقة متناهضة متقامعة ..

– وما دامت المادية تصنع لها (لا صناعة ولكن مصادرة صناعة) بدعاً هو تقليد البدع الاول ، مع الخطأ في تلقيه وفي تقليده .. وتتضمن فيها ضمناً هو ، نفسه ، الضمن الاول .. فلا قدرة لاحد على ان يفهم لماذا هو هذا التعنت الاستقلالي وهذا الانشقاق .. ولكن لكل احد ضعفاً يغريه على الظن بانه يفهم الاصالة الكونية .. اذا ما اختصرت له ، على المادية ، هـذا الاختصار المسيخ ، يستبدله بالمطولات المعقدة من تيه المثاليات .. او بالمقولات الجبرية من الالهيات ..

ان المادية تريدنا ، ابتداءاً ، مادة خرساء .. حسناً .. هذا ما كناه .. وها نحن ، خلا النطق ، استمراراً ، مـادة عمياء .. وتريد لنـــا نتاجـاً اعلى ، هو الفكر .. حسناً .. هو هذا ما نحن بسبيله لا نحيد .. وتريده اختصاص الطليعة ، طبقة في اسمى ما صارت اليه وتصير مـــادة الانواع المتطورة .. حسناً .. إنه ابداً على السنة الطلائع من الانبياء والعلماء والعظماء وعلى اقلامهم .. طبيعة اختصاص ، تروح معها المادية المحدثة تلقياً فقصراً عن التلقي .. ورجعيـــة اختصاص .. الى ابتداء المادة .. ، وتريد للانواع استرسالا تقدمياً تاريخياً .. حسناً وهذا ، لا سواه ، ما سجله التاريخ .. نوعية سبق وثبات على امهات الرسالات تروح معها التقدميات وحياً من السبق والقدم والخلفية لا هدفاً مما هو آت .. ولا افتراحاً من حاضر شذ في مقترحه عن المندفع الاول في جبر المتجهات ..

– هذا ما هو التاريخ .. توقيع القيمة حياة مع موسيقى حياة .. وتفعيل كل ما هو الشعر على انواع الأبيات .. وحدة زنة يذهب اليهـــا ، من التنوع ، الى منتهى القافية ارتغاب الثبات ..

.. وتريد وعياً وتخطيطاً للمستقبل !! إنه ، من الحاضر ، لو صح رأيها ، الى المستقبل ، بعثة الظلمات .. ما أغنى المستقبل ، اذن ، عن وعي وتخطيط !! ومع ذلك .. أليس هذا عينه ، ما نضطرب من اجله تحت الوحي من الخلفية وبالدفع من الماضي ؟! أليس هذا ما نزدحم عليه ، ونسير تحت لواء منـــه ، بالرغم من تخلفه ، اليه ؟!

– فماذا احدثت ، تلك المادية ، من جديد ؟! الا ان **قررت** – على ضوء ثبات، رأت وروده لا مصدره، – **خرس المادة وما فيها من عمارات .. تتعاجن ، في وهم التقدم ، لتعطى من كل ما تظنه ذاتها .. بعض ما هي الذات**

وكيف لها ان تنتج منها خيراً لم يكنها .. فان كان فهو كالاموات ..

انها تريد ان نثور ونقتتل لنقرر التقدم الظافر ونصنعه صنعـــاً ، يكون هو التاريخ .. هل نادت مادية البشر يوماً الا – حيثعـلا أليس هذا ما نفعل وما كنا نفعل وما نرانا نستمر نفعل ؟! بفرق واحد :

– هو اننا كنا ابداً نجد من طلائعنا من يقولون : لا داعي في التقدم وحق التقدم .. للحرب والاقتتال .. ولكن للاقناع والتعليم .. فاذا ظفر الحق والخير بعض الظفر في الخطوة ظفر الحق والخير كل الظفر في المسيرة .. وظفرا كل الظفر في الخطوة كذاك ، واستقام وانسجم بالقيمة كل ما هو المادة .

فلننظر هل هو فرق ..

لقد جاءت المادية تقول: ليس الآن .. بل حتى تظفر البروليتاريا تحت طليعتها .. عندها نستنطق الطبيعة .. ونسن للمجتمع على غرار منطق الطبيعة او نفرض ،

نحن ، ما هو منطق الطبيعة ..

يقال هذا ، والطبيعة نائمة .. عما هي .. وعما هو غرارها .. ويقع هذا ،والطبيعة اخت جهالة وغياب عما يفرض باسمها .. بل عما يسمى من نبواتها .. تسمية وكالة وانعكاس .. لا منطق اصالة واساس ..

أين هي الطبيعة لا ينفذ لها منطق .. الا باستنطاق .. ولا تروح لها تسمية الا بعد اغلاق .. على كل ما هو الطبيعة من قبل .. وعلى كل ما هو ، او كان ،شريعة حرب واقتتال ..

ـ أهذا يمكن ؟ استنطاق الطبيعة استنطاقاً اخيراً .. ترجع في غضونه ، وهي على كرسي الاعتراف ، امام كاهن المادية العراف ..، عن كل ما كانت تعترف .. وهي اخت « اكوام الاخطاء » وسليلة «التناقضات» و «نضال داخل المحتويات» ؟

حسناً .. وبعد .. ألم يكن هذا عينه ما كنا ، تحت التعـــاليم والفلسفات والتاريخية من كل التحركات .. بصدد منه .. اذ هو ، من قبل ومن بعد ، ذلك النشدان من الثبات .. من كل ملايين المحاولات .. نسعى في قلبها ، وارواحنا ارخص من الفتات والهنات ، امامنا .. تتقدم مادتنـــا .. تخترق الاخطار في سيرة تنفيذه وابتغاء توقيعه .. لا لشيء .. سوى لنروح .. في النشيد الجامع ، حرية لجبر .. وجبراً على حرية .. كلمات اشواق في بيت القصيد . . تظل ابداً مكانها ، بعداً ، عن محط كل الاشواق من عصمة كلمة القافية الواحدة العصماء .. تلك الكلمة من الثبات .. منها تمضي الابيات .. واليها تصير الابيات .. قبلاً لبعد .. وبعداً من قبل .. تضيع بينهما ، كل المطالب واحتراقات الاشواق ..

من لم يعش في القافية ، وهو في شوق القافية من البيت .. ومن لم يعش في شوق القافية من البيت وهو في قلب القافية من شوق البيت ، لم يعش في القافية ولم يعش في البيت .. انه لم يكن ، قط ، فضلاً عن ان يصبح او يعيش اويشتاق ..

ـ وبعد .. أأنتم ، الماديين ، صالحون للظفر ، من دون النـــاس ، بجواب

الطبيعة ؟ ومنطق المادة .. الخرساء .. ؟ تلك التي لا يتكلم الا نتاجها الاعلى .. نتاجها الاعلى ، الذي نتج ، من قبلكم ، وعلى غراره ، وفي ثوب الخطأ وجهالة غراره ، ها انتم ، في كل مضطربكم ، ما استطعتم ، ان استطعتم ، كلما استطعتم ، ان تنسجوا الا ان تنسجوه ..

وبعد .. اهذا هو ما يسمى النسج؟..

اذن ؟ فكذلك نحن متفقون توائم..على ان ثمة امكانا لغير الاقتتال والثورة..

– فلماذا قلتم ، من قبل ، انها ، اي الثورة .. « ليست جائزة الوقوع » فحسب ، بل « انها ضرورية » الوقوع ..

ألم تقل التعاليم انها جواز وقوع لانها وقوع خطأ ؟

أهذا هو – بعد كل هذا اللف والدوران والتفلسف التبريري المادي – ما هو التفوق علينا ؟ ام هو حال الاعتراف بالتفوق السابق القديم .. وعبارة قيامة تاكيد التفوق الازلي العميم؟!

أهذا هو تفوقكم علينا .. وعلى ايمانيتنا ؟!:

باننا ، من قبل ومن بعد ، ثابتون الثبات كله .. لا نتناقض، الا بان يكون الخطأ هو المناقض، ولا نتضاد ، الا ان تكون الجهالة هي المضادة ..، ولا نتغير، الا ان يكون التغير زوال خطأ او باطل ..

وبانكم ، من قبل ومن بعد ، متناقضون متضادون متغيرون.. ينقض يومكم امسكم.. ويقتل آباءكم ابناؤكم .. ويلعن غدكم تاريخكم .. سبة عن سبة .. شريعة سبة ولعان .. تقترفون ولا تعترفون .. وتقولون انه جبر الطبيعة .. فانتم ،في جبرها ، هذا ، ابداً ، بما هو فهمكم لا الطبيعة ، وبما هو خطأ اختياركم لا جبر الطبيعة ، مغرقون ..

أهذا هو تفوقكم علينا ؟ بالتناقض ؟

بلى .. انه فهمكم نفسه ، للطبيعة والمجتمع والتاريخ .. وكل الكون .. وكل

محتواه وللمجاميع الهائلة من المحتويات ..

أليس هذا هو الخطأ الجائز الوقوع الضروري الزوال ؟

اننا نعترف باننا نقتتل .. ولكن ما نصنعه هو الخطأ ..

وانتم ؟ أليس هذا نفسه هو كنين ماتقولون ومداورة ما اليه تذهبون ، ولمحوه ، انفسكم واعدادكم ، تنصبون وتعدون ؟! ألم يقل ستالن : « فمثل هذا الفهم يمنع علم التاريخ من ان يصبح فوضى احتمالات وكوم اخطاء سخيفة »

ـ فلماذا تنعكس الآية ؟ ولماذا لطليعتكم ، الحادثة المحدثة ، الشرعية والفراش والولد .. ولايمانيتنا ، القديمة الخالقة ، العهر والفراق والحجر ..؟ لماذا ؟؟

لماذا الاستبداد ؟ أأنتم ، باستعارتكم وبمسخ المستعارات ، خالدون مؤبدون .. ونحن باصالتنا التي استعرتم وبرود الأصالات ، نحن ، من دونكم ، الباطلون الاموات ؟!

ب دعوى محال

ولو امتد اطلاع ستالن التاريخي على الماديات ، اي على استرسال المادية الواحدة الاولى وانشعابها ماديات عدة ، لم تعد هي عبارة الاستمرار المادي ، ولو انه استقرأ من واقع الاحياء ومعايشهم :

١ – افكارالناس المنحدرة اليهم لقانة ، من وحدة الدين ومن شتى الفلسفات الميتافيزية .

٢ – وافكار الناس الاخرى التي تشغب على تلك (والتعبير الصحيح – التي تشغب عليهم ازاء تلك الافكار ، من ناحية) وتشدهم ، باسم اصغر وحدة من الواقع في رهن الان .. ، الى المربط من الاساس المادي ..

– هذه الافكار التي ليست افكاراً الا بضاعفات من الحرمان والافتقار ، والتي هي احساسات ..

نقول لو امتد اطلاع ستالن هذا الامتداد لما راح يزعم للمادية حقوقاً يحن اليها .. لأن الاستمرار المادي :

١ – لم يعد موجوداً وجوداً منفرداً بعد التراث الفكري .. (وسواء كان هذا التراث انعكاس المادة او كان تعليا ..) بحيث لا مبرر ولا مفسر له عندنفسه ولا محض فرد قوام .. ، والاستمرار المادي يستفيد وجوده الذي فوق الاساس المادي (اي المذهبية المادية) من تجسيد سواه او من نقد اخطاء المثالية او من انعكاس الاحساسات .. او الخ ..

٢ – ليس هو أية مادية راهنة على الاطلاق .

٣ ـ ليس هو أي المادتين الديالكتيكية والتاريخية .

هل المادية هي الاستغناء نهائياً عن الفلسفة بالعودة الى الاساس المادي ؟ أهي تقرير قديم عن المادة المخلوقة أو الطبيعة ، تعاد قراءته بلا اضافة ، أو باضافة يكتبها موظفون مختصون ؟

أهذا هو المقصود من قول أنجلس : « ان الفهم المادي للعالم يعني بكل بساطة ، فهم الطبيعة كما هي دون إضافة غريبة . » ؟

هل كان غير المادية عبارة عن اضافات غريبة ؟ وهل يجب أن نتدخل في تركيب الدماغ لكي لا يضيف اضافات غريبة ؟

قال أنجلس : « ان العالم المادي الذي تدركه حواسنا ، والذي ننتمي اليه نحن انفسنا ، هو الواقع الوحيد ، اما ادراكنا وفكرنا فهما ، مهما ظهرا رفيعين ساميين ، ليسا سوى نتاج عضو مادي جسدي هو الدماغ .. ، ان المادة ليست من نتاج العقل ، بل ان العقل نفسه ليس سوى نتاج المادة الاعلى . »

ما بال الدماغ ينتج ، فيما ينتج ، اضافات غريبة ؟

بل ما بال المادية تتناول ، من بعد ، هذه الغرائب وتمتصها ؟

ما بال الماديه تمضي اكثر من تقرير .. ولماذا تضاف اليها ، كل حين ، نتف عن حركة الجناح ؟

المادية استحالة مؤكدة

١) ـ ان مقولة أنجلس الاولى استحالة قول عن سلب معنى ..

أ ـ لانها تعني الاستراحة من الدين والفلسفة بمحض ادعاء ، لا يرافقه

دليل ، باننا نفهم الطبيعة كما هي ، أي نفهم ما هي الطبيعة .. ونحن ما نزال لا نفهم ما هي الطبيعة .. وينتج ، انه : ليس ثمـــة فهم مادي للعالم .

ب – لانها تفترض الاضافة الغريبة على الفهم .. وتريد اسقاطها .. وهو افتراض اذا سلسلناه رجعياً في الزمان باسقاط الاضافات الغريبة .. لم يكن لنا أي فهم قط .

ج – لاننا ، ابداً ، كانت محاولتنا ان نفهم بلا نقص .. لا بدون اضافة .. ومن اجل ان نفهم ، كنا وما نزال بحـاجة لاية اضافة .. غريبة او مواطنـة ..فنحن نرحب بالاضافة ولا نسقطها ..

د – لان عرض هذه المقولة على مقولة المجلس التي تلتها من شأنه :

(١) – ان يلغي غربة الاضافة الغاء تاماً – فتعتبر الاضافات كلهـا مواطنة لانهـــا « نتاج عضو مادي جسدي هو الدماغ » ولانها « نتاج المادة الاعلى » ، او

(٢) – ان يلغي العلو والرفعة والسمو من « نتاج المادة »

– فايهما الغى ، فقد كان لنا بنتيجة الالغاء سلب المعنى واستحالة المقولة .. وبطلان الفهم المادي .. ثم دول القول بلا ضابط ولا حسبان ..

– فلكي يقرر المجلس ذاته او مادية شريكه احتاج لان ينفي الغيريات ويعتبرها غرائب .. فكيف الغربة !! وكيف نصنع في الملتقى من الغرائب ضمن الكلية الطبيعية المادية ؟!

ان هذا النفي تغريب لا نفي .. والتغريب ليس خروجا بالغرب عن الضمن .. (راجع معترضات الاصلاح في الحساب)

فماذا بقي عن المقولة ؟! وماذا بقي منها ؟!

لقد بقي امر واحد .. هو ان (الدول) قد الغى المنطق، واذن، فقد اباح التناقض .. فلا يؤخذ بالمنطق ولا يلزمه منا منه من شيء .. وقد التزمنا، من مبدأ الكتاب ، ان لا نأخذه بالمنطق ان لم يكن معه الحساب .. والدول لم يقل قط انه الغاه ..

ان المادية تؤمن بكلية الطبيعة والمادة ونتاجها الاعلى .. فيجب عليها بل هي ملزمة ، من عنقها ، ان تعتبر ان ليس في العالم كله ، لا في المادة ، ولا في انعكاسها اضافات غريبة .. فلا اضافة من الفكر الذي هو انعكاس المادة – اي فكر – ولا غربة عن المادة – اية غربة – ما دام الايمان بوحدة المادة يصادر كل شيء في وطن المادة ويضرب عليه سوراً من المادة لا يشذ عنه ولا يناى ..

هذا حساب وهندسة .. ان يكن فيه المنطق فليس لاننا قصدناه ، ولكن لانه يصاحب الجبر ما سلم اسسه ومبناه ..

اما الفهم الميتافيزي .. فقد اراد ان يفهم الطبيعة اكثر فاكثر .. اي اراد اساساً ثابتاً من المعرفة لا يتزعزع ، لكي تتقدم المعرفة تقدماً لا يناقض اوله مسراه فتكون فوضى ، لا معرفة .. تحت الاعتبار المؤكد هو ان الفهم عن الطبيعة ليس كلياً .. لانه ، « بكل بساطة » هو فهم الانسان ، لا ما هي الطبيعة .. ، وبعد .. فان « كل البساطة » هذه ، وهي ما لم نتعرض له ، بعد ، من المقولة اصبحت تعني لا التعقيد .. ولكن ما هو شر من التعقيد ، لانها تعني ، تلك البساطة التي تفاجئنا جميعاً من كلمة بسيطة هي « المحال » .

ان الفهم المادي للعالم هو المحال ، لانه ليس فهما ولا معرفة ، فهو اللافهم والجهالة

والعماء والغباء .. او هو كما كانت المادة في وجهة نظر «الماديين» و «التطوريين».. ولا خلاف على هذا .. وانما الخلاف يرجع الى عهد « النتاج الاعلى » ، بعد الملايين من قرون التطور .

لقد زعم الفكر عند الماديين «ان الفهم المادي للعالم » «يعني فهم الطبيعة كما هي» فلعل هذا الزعم مغالطة للنفس عند الجاهد المتعب ، او بديهة من خلي غيان .. او لعله ، من بعد ، انعكاس من جماح .. فمضى الجماح وظل الانعكاس لا يهدأ ، ولا يستحي ، ولا يخاف ..

لقد سقط عنه التكليف ورفع حكم التناقض .. بشريعة هو شارعها !! ولقد جعل شريعته هذه ، لا جواز وقوع التناقض .. ولكن ضرورة، ولزوم وقوع !! وماذا في هذا ؟! **فالامر اذا ضاق اتسع !**

لقد هانت المذهبية بلا ريب .. ولكن من انها خصوص .. فاذا اريد لها ان تعم ، فالحرج الحرج .. والجدد الجدد .. **لان الامر اذا اتسع ضاق ..**

اعمد الى مراقبة نفسك ومفاهيمك .. ثم اجعل من بوادرك مقولات من كلم تعبر عنك .. انها سنتك ..ثم اشرعها على الناس شريعة .. فاذا وجب منها التناقض فما الذي لا يجب وما الذي لا يكون .. اللهم الا الاستقامة والانبرام والتواكد والاحكام

ولقد تعب البشر .. اما الماهية فاستراحت من حيث تعب الكرام ، ألم يقم البرهان ، على طول الالوف من السنين ، على ان المعرفة البشرية لم تكن ما هي الطبيعة .. وانما ما هي المعرفة البشرية ؟ ألم يبرهن التقدم في المعرفة دائماً عن كسر

من صحة الفهم والمعرفة الانسانيين لا عن وحدة وصحة؟!

هذا صحيح .. ان يكن فيه المنطق ، فالمنطق ليس ما اردنا ان نفر منه .. ولكنه ما التزمناه .

٢) — اما مقولة أنجلس الثانية :

« ان العالم المادي الذي تدركه حواسنا .. الخ »

فليس مطروح بحثهـــا هذا الكتاب (كتاب المعرفة) الذي يبحث مسائل المعرفة ..

لقد كان شهياً أن نستطرد .. ولكننا لا بد لنا من التقيد .. سيما ونحن قد اوردنا هذه المقولة لا لنبحثها ولكن لنعرضها على المقولة الاولى ولنحشرهما معاً في في سياق .. لغرض اصيل هو ابراز المغالطة ..

لقد اوردنا هذه المقولة ونحن نبحث « الاساس المادي » و « الاضافة الغريبة »

وإذ كان مما لا ريب فيه ، عند المادية ، أن « الدماغ » وهو « العضو المادي الجسدي » هو الذي ينتج الفكر ، فقد كان لزاماً علينا ان نشير الى انه ما دام الدماغ هو الذي ينتج الفكر .. فان الفكر — اي فكر — لا يمكن ان يُعد إضافة غريبة .. عند المادية .. وبلا ريب ..

واذ كان مما لا ريب فيه ، عند المادية ، ان الدماغ ينتج الفكر .. وان الفكر « يخرج من الكائن » فانه مما لا ريب فيه ان الميتافيزيات والفلسفات والالهيات ليست إضافات غريبة ..

هذا ما كنا بسبيله ، في هذه الطارفة من البحث .. وقد خلصنا الى منتهاه..

(أنظر مطلع فصل — لوافت المعرفة)

الصفـــر الـــاوى

الرفض الفلسفي او عـدم الذات

لو امتد اطلاع ستالن .. لما انسجم معـه ان يزعم ان المادية المـاركسية ـ «النظرية الفلسفية العامة لتطور الكون والمجتمع» ـ هي فلسفة على الاطلاق.. سواء كما هي المادية على مفهوم ماركس ومقول انجلس ، او على المفاهيم الفلسفية الاخرى ...

انه ليس من طبيعة المادية ان تكون فلسفة او ان تصير .. ومما لا ريب فيه ان هذه المقولة مقولة الجبر وأمره على الماديات جميعاً بلا استثناء ..

ان دراسه الماديات جميعاً تعطي رأياً واحداً عن طبيعة المادية لا يتعدد الا مع تراوح الظن بين توأمي الترائي ..

دائماً وابداً .. لا جديد من المادية .. وانما تعقيب او ترسيب ، او رفض او نقد .. او نقمة او مضادة .. وبالجملة التحاق او ردود افعال ..

دائماً وابداً، نجد المادية، من حيث هي مذهبية ، لا ذاتيه لها.. وماهي ابداً الا التسلق ، فاعلان الذات من التسلق بُعيده .. او بادعاء ما للغير .. وهذا ما هو التسلق تحت اسم آخر .. لا ما هو المادية ولا ما هو للمادية قوام ذاتي ..

فالمذهبيات المادية هي ابداً مناظرة (١) تقوم على حساب مقولات الغير ، لا

---

(١) ـ ارجع الى ماخذ كلمة « ديالكتيك » والفصل المفقود عن كلمة «دياليغو» اليونانية .

على عنديات « الأنا » المادية ..

والمادية كانت ابداً ، وفي كل التاريخ ، تناظر الفلسفة او العلم الحادث المنشق، على حساب الفلسفة والعلم .. فتكتشف اخطاءهما او ترسب الصواب منهما الخ.. لتكون هي .. اي ، لتلعب دورها الذي هو انها قبر اخطاء غيرهـا .. او سرقة صوابه او جحوده او امتصاصه واعادة تصديره ..

– فاذا تسامحنا مع المذهبية المادية قلنا انها :

رفض فلسفي Veto phylosophique

يستفيد ذاته من انه الرفض اي السلب « الامتناع »

ويستفيد التفلسف صفة له من ذات غيره ،

– اوقلنا انها:

قبول ايماني عملي او علمي في اتجاه معاكس من الايمان وفي اتجـــاه ما من مفهومها العلمي او العملي الخاطيء ..

هذه هي طبيعة المادية في الحياة .. مذهبية كانت المادية ، ام مادية بشرية عامة ..

– وهذه هي وظيفتها في الحياة..: ان تكون الخطأ ليظهر الصواب .. او ان تضرب خطأ آخر ..

ذلك ان الاساس المادي مقصود من الابداع والتكوين.. قصداً لا ريب فيه..

انظر في مادية البراجماتزم « الذرائع » : –

انها ، اي البراجماتزم ، مقلوب نظرية المثل الافلاطونية ..

ذلك ان المنتهى – اي الابد – عند البراجماتزم هي المبتدأ اي الازل عنـد افلاطون .. اما ما بينهما فواحد بلا تفريق سوى ان البراجماتزم تروح ماديتـه تحت الترائي .. وتغيض في المادة .. وان نظرية المثـل راحت تحت الجبر ايمانية خيرة وتصعد في المثال ..

والبراجماتزم نفسها تنادي بزوال الفلسفة .. كما تنادي الماركسية ، والبراجماتزم تصرخ بانها ، وهي مادية ، هي ختام الفلسفات ،

انه السواء في المذهبيات المادية او في المادية البشرية التي تعبر عنها تلك المذهبيات ..

١) – اليس الواقع ، في كل عصر ، ان الناس يتصرفون ويسلكون وفق المادية ؟ فهي اليهم اقرب .. انها ماديتهم البشرية .. هي هم .. أليسوا هم المادة في الاصل ؟ قبل مس القيمة .. او قبل التصعيد .. اي

– باستثناء المس القيمي البطيء المصابر – هذا البطء الذي علاقته بالانسان لا بالقيمة .. أي هذا البطء الذي هو بطء مقدرة الانسان في التلقي لا بطء القيمة .. – في التفسير الروحي ..

وفي التفسير المادي ..

– باستثناء التصعيد المادي ..

لنقل اذن ان مس القيمة هو التصعيد المادي تسمية ..

أليس يلاحظ ان التصاعيد ذات مآل تصعيدي واحد .. هو الروحي او المثالي .. الديني او الأخلاقي .. او القانوني الاشتراعي (الشرائع الموضوعة)

ما هذا الجبر ؟

مع انه لو كان التصعيد نتاجاً مادياً اعلى .. لراح انواعاً من التصعيد في التطور Species ، بسبب من ضرورة اختلاف الكيفيات باختلاف الكميات .. في « تناقض » كل « محتوى داخلي » ..

وبعبارة مادية من لغة الوعي او الامتصاص :

أليس الواقع أن المادة تتصرف من الناس وتسلك سلوكيتها ؟.. فهم مظاهر لها واحدة اللف والدوران .. فيعيد الواحد منهم نفسه ويكرر أباه حول ذات المدار .. مع خطوة تقدمية توسع محيط الدائرة في التي تليها منذ المنتهى من كل مدار ..

وهذا هو ما يكون – في التفسير الروحي – من مس القيمة ..

فان كان الناس يتصرفون وفق المادية .. ماديتهم ..

أليس الأصل ، اذن ، ان الاصل المادي الآلي .. (ثم الحيواني ..) كان بسبق .. باستبعاد التصعيد المادي .. أو باستبعاد القيمة ..

أليس هذا الاصل هو الكلية السابقة ؟؟ فمن أين تلحقها الأضافات والتطورات؟ ومن أين تتعاورها التناقضات والخطوات والتقدميات ؟! أمن كليـــة تحتوي التناقض الذي هو الهدم لا البناء .. والفناء لا البقاء ؟

أليس هذا الأصل هو الكلية السابقة من الافتراس المباح ؟

وجود يأكل بعضه .. هل يسمن أو يزداد .. أم يظل هو نفسه أم ينهدم وينهار ..

ليس الافتراس بدع سوء الا في لغة الشعور الموفوت المنتسب الى حـــاضر الانسان، الذي له من الارتفاع القيمي او التصعيد نسبة معتلى محدود .. والا في لغة الشخصية (الجزئية) التي تعبر عن الشعور .. اذ تكون القضية ، في لغـــة الصيرورة والتغير ، قضية تداخل وتبادل .. وليس يزيد الافتراس الدموي معنى عن افتراس كميات من الماء جرعات .. كلاهما افتراس .. وكلاهما ما يجري في المادة والطبيعة على الطبيعة والحيوان والانسان .. فمن أين يزيد الوجود ؟!

٢) — وأليس الواقع ، في كل عصر ، ان الناس ، بصدد الدين والفلسفـــة والعلم ، لا يلوكون منها الا ما كانت المادة والمادية موضوعه .. أي ما كان متعلقاً بمعايشهم .. أي ما رسب من القيمة في المادة وثبت .

من هذا توهم ماركس توهماً أطلع القسم السلبي من مقولته : « ليس ادراك الناس هو الذي يحدد معيشتهم .. » ذلك ان الادراك السابق قد اصبح في صميم المعيشة الراهنة واقعاً هو واقع معايش .. ان الناس ، اذن ، بلا ريب ، يعلقون من الدين والفلسفة والعلم بما قد تنزل ، فعلاً ، وانحدر من القمم الفكرية العليـا ودخل ، بمادية معايش ، في التقليد والسلوكيات وبديهة العمليات .. ويعلقون منها بما يلابس حيواتهم المادية ويخالطهـــا بمـا يجانسها .. مع جديد ، غير ملحوظ ، رشحاً على الزمان والمكان .. بما هو ، في وهمهم ، هي .. مع قليل من التصعيد ..

الجبر في السياق ـ الى المآل

لننظر في التصعيد : ـ

أ ـ خذ مثلاً ، من المزاج المادي الروحي ، اليهودية .. ثم ادرس من ثنائية المزاج ، المادية اليهودية .. منذ الفجر اليهودي حتى هذا التاريخ .. فماذا انت واجد ؟

انك واجد ، بلا ريب ، النزعة الاصيلة المادية الآلية الحيوانية .. ثم الانسانية التي هي ميلاد من المس بالقيمة ..

وانك واجد ان السلوكية سلوكية حياة مادية .. وانها تؤرخ الاستيلاء المادي على ما كان هو النقد او الثروة من المعزى والغنم والحمير والارض ..

واقرن كل هذا التاريخ المادي بمناهي موسى القيمية .. وموجباته على المادية .. اي ما اوجب مادياً .. (كانت اكثر موجباته مادية ..) ايجاباً هو ضد المادة .. لانه يعبر عن الامر بالخسران المادي ..

انك واجد ، اذن ، ان الدين ، في عهده القديم ، كان يحارب المادية .. وكان ، ابداً ، من ذلك ان التصعيد عبارة عن حال نزاع مع الاساس .. ينتهي بالتغلب .. وازدياد القيمة في الانسان .. بالامتصاص واحالة الامر القيمي ، مع الزمن ، الى تقليد متبع ، هو بلا ريب ، وحده المتسلط على معيشة الناس .. نعم ان الناس لا ينسون قط ان يأكلوا .. ويحتاجوا ويتلذذوا ويخطئوا .. ولكنهم ، ضمن التقليد ، يجب ان ينفذوا الى

معايشهم.. وضمن التقليد يكون نفوذهم يتعاوره الالم .. لان زيادة جديدة من القيمة موشكة بهم ، تأخذ تحدق بهم وتحيط ..

انك واجد ، بلا ريب ، في التوراة ، ان الرب ، كانت علاقة عبيده به ان يخسروا ويدفعوا.. ذبائح وزيوتاً وطيوباً وهدايا الى هيكله،والى وجوه امره من البر.. والى النـــار والاحراق والاتلاف .. يجب ان يتمرنوا على الخسران .. والا غضب الرب .. أو ، على الاصح ، « حمي غضب الرب .. » واهلك واحرق وقتل واباد ..

ب – وفي الفلسفة :

لقد كانت همة الفلسفة ، كذلك ، الارتفاع عن الاصل والاساس المادي وعن المفهوم الحاضر ، والتصعيد الى المثل العليا والكليات .. ارتفاعاً وتصعيداً لا يلبثان ان يصبحا لزوماً في الفلسفة يغيض في الاساس امتصاصاً من الاساس ، ورسوباً منه (ثباتاً) .. هو لزوم التقليـــد ووجوب الثبات ..

ويهيمن ويتسلط هذا التصعيد والتقليد فيؤلف القدر على الفلسفة .. فيكون مرسومها ، من بعد ، كل مرة ، مرسوم نشدان ، وفي الوجهة التي هي على ذات خط الاتجاه .. ، والاهداف تظل عبارة عن القيميات والكليات والمثل العليا والاخلاق والقوانين .. وما خط الاتجاه والوجهة والاهداف الا جبريـة المعرفة المحيطـة التي تثبت عن طريق النفوذ من الفلسفة كما ثبتت عن طريق المناهي والموجبات الدينية ..

والفلسفة يتعقبها العلم ، كما يتعقب غير الفلسفة ، والفلسفة يلتحق بها التفلسف المادي من اجل ان يصير تصعيدها الى الاساس ويثبت فيه بالامتصاص..

جـ – وفي العلم :

كانت وما تزال قصة العلم ، – على تعدد الطرائق اليه ، – ومن هذه

الطرائق التجربة :

– ان يؤلف، من ناحية، تثبيت القيمة وتحقيقها في واقع الحياة والمعايش بالصناعة وغير الصناعة وبالتعليمية ،

وان يؤلف ، من ناحية اخرى ، نشداناً وسعياً الى جدة من العلم هي،–أي الجدة ، – برغم انها من طرائق شتى تنفذ .. ، ومنها التجربة والصدفة – لا يكون منها ان تكون جدة علمية خبرية من الواقع ، أي حكاية تاريخ حصول علمي جديدلم يكن من قبل.. أو وقوع على معرفة مستحدثة .. ولكن يكون منها القانون العلمي السابق .. اي تحصيل القانونية والجبرية من العلم والمعرفة التي تحكم كل المعلوم ، اي الصدق النافذ المهيمن ..

– فالتجربة مثلاً ، وهي الطريقة الباكونية ، وهي هي – المشاهدة – والتي هي أس التطورية في مذهب النشوء والارتقاء ومقترحها .. كما هي اساس كل الفهم المادي ، ليست ، من بعد ، مسألة فوز بالمجرّب .. ولكن هي التصعيد من التجربة الى الاعتراف بقانونية سائدة .. وهي الخلوص الى تعميم ..

وليس التعميم حدوث عمومية .. ولكنه سبق العمومية .. وما الحدوث الا في العلم الانساني والمعرفة البشرية ..

ان للعلم البشري تعميما يصدق في المكان والزمان .. ولكن جبريته تظل قاصرة .. لان ادراك القانونية ادراك زمان ومكان .. والجبرية على هذا الادراك هي أن يتقدم في القانونية من حيث هي وحدة قانون لا تعدد قانون ..

وفي مانهكر، انه لا بد من وجود كلمة جامعة تعبر عن كل الوحدة وعن وحدة الكل ..

ـ ذلك أن التعدد تحت الثنائيات .. مسألة معرفة بشرية .. والقسمة هي بشرية ايضاً .. لانها مسألة ادراك ..

إن الادراك الجزئي لا ينفعه الا ان يكون على وفاق القسمة والا لم يكن ادراكاً قط .. وانما اختلاط ..

واما الادراك الكلي .. فالقسمة ليست من لغته .. لانه لا يحتاجها ولا هي تقتضيه ..

ـ وليس يعني هذا ان الادراك الكلي اهمال للجزئيات .. ولكن يعني انه احاطة بها وانها في محيطه ..

وفي اللغة المادية انه مجتمعها .. أي اجتماعها .. أو جمع لها .. وشتان بين القسمة والجمع !!

على هذا النحو تكون مسألة المعرفة البشرية معبرة عن القصر البشري .. ومع ذلك تكون معبرة عن انها طول معرفة .. على مدّ ما من الطول الاكبر .. لا عن انها عدم معرفة ..

ان للعلم البشري تعميماً يلحقه القصر ويلزمه مهما طال .. ولكن هذا التعميم ، على كل حال ، ربح من القيمة وازدياد ..

وان للعلم البشري تعميما يسبقه الخطأ البشري .. قبل ان يكون تعميما ..

ان همة العلم ابداً ان ينشد القانونية وان يرتفع عن حيوز الاصل المادي الآلي السقيم ليفهم القانون السائد، من سبق، والمسيطر على المادة وعلى الطبيعة والاجتماع..

– وهو، في هذا، ليس يشذ عن الجبرية .. واللزوم .. انه التعلم من التعليمية الجبرية .. وانه، من بعد، كما من قبل، في سياق من الجبر يسير .. كما تسير الفلسفة ..

والماديات جميعاً :

١ – اذ هي تقوم على استخلاص من العلم ..

٢ – واذ هي تقوم على اخذ اي اخذ ..

– لا تستطيع ان تشذ عن النشدان، نشدان القانونية .. وعن طلب التعميم..

وهي اذ تخطيء في القانونية، واذ تخطيء في التعميم، لن تخرج بخطأهـــا عن الجبر .. لانها تحت التراثي .. الذى هو تحت الجبر ..

إن أخطاء الماديات أخطاء معرفة من حيث أن المعرفة ثنائية معرفة بشرية تحتها التعدد وفوقها الوحدة.. الكلية ..

– فاذا اخذنا توأماً من المثنى – التوأم العقيم – والتزمناه.. او ظللنا نتراوح في ذبذبة بين التوأمين ..

١ – رحنا في المنحدر، الى التعدد، على خط اتجاه خاطيء في التأويل

٢ – ورحنا، في التصعيد، الى الوحدة، على خط اتجاه خاطيء في الادراك..

اما المصير .. فالى الوحدة .. الى الجبر .. والى المعرفة .. مهما يطل العذاب في السياق الى المآل ..

فالتصعيد المادي يروح الى القانونية والتعميم في طريق مذبذب .. فلا يدرك الا الثنائية فتظل هي قوامه .. فيراها في «المحتوى الداخلي» «نضال متناقضات» ويراها هي دستور وجود وحياة .. ويرى القانون منها عموم قانون ..

- وينزل من التصعيد والكلية الى المادة والى الجزئيات كذلك في ذبذبات فيرى التعدد مواليد هي ابداً عبارة عن دول مقيت :«شيء يولد» و «شيء يضمحل»، فيظل تحت هذا الانقهار ..

وإذا أخذنا توأماً من المثنى – التوأم المعطي الوهاب – والتزمناه رحنا في المنحدر إلى التعدد على خط اتجاه صحيح في الحقيقة .. ورحنا في الارتفاع إلى الوحدة على خط اتجاه مستقيم في المعرفة (العرفان) .. أما المصير فألى الوحدة وإلى الجبر وإلى المعرفة ..

فالارتفاع الى القيمة .. ، عن غير المادية، يروح الى القانونية والتعميم .. فيدرك الواحدية – الاحدية «الوحدانية» .. وتظل هي قوامه .. على رغم التثنيات .. فيراها في التثنيات والتعددات .. وجود احدية محيطة لا ريب فيها .. ويعرفها مسألة عطاء .. لا مسألة تثنية وتعدد، ولا «نضال محتويات»، أو «ولادات واضمحلالات» ..

والمسألة محلولة : ليس يعطي احد الا مما عنده .

فان كان ثمة آخر معطاء فانه لا يعطي «من خارج» ولكن من لدنه .. وطبيعي، على هذا الفهم بعد، ان يكون عطاؤه وجوداً ومعرفة وخيراً وجمالاً ..

وطبيعي ان يكون العطاء للمعدوم وعلى الجاهلية في الفقر والشر وقبح العماء ..

التطبيـــق

خطأ التصعيد المادي ـ واتساع الهوة

هل يستوي ما قلنا على المادية في انطباق ؟

لنأخذ في التطبيق ، بعض التطبيق ، على ما هي المادية الاخيرة ـ الماركسية ـ ماذا اراد ماركس ؟

لقد كان كل همه الاول ، ـ قبل الاستفحال وقبل المسيرة في الضلال ، وقبل كل بحوثه ذات اليمين وذات الشمال ـ هماً انسانياً .. هو نشأة عن شعور شخصي ، وهذا الشعور الشخصي يعبر عن مقدار تقبل ماركس للواقع ، اي عن مقدار فهمه للواقع لا عن ما هو الواقع تحت عمد الجبر وقوانين الجبر .. ولا عن حقيقة الجبر ..

ان من عرف الجبر وقوانين الجبر عاش طيلة حياتـــه تلميذاً على الوجود لا يطرف منه اعتراض ولا يغشاه الريب ..

لقد كان كل همه ـ ماركس ـ الاول ان لا يكون على الارض اشقياء .. اشقياء يكدحون .. ومترفون ينعمون ..

ـ فلو كان على الارض اشقياء يكدحون دون ان يكون هناك آخرون يقابلونهم من المترفين الذين ينعمون لكان هم ماركس هماً آخر .. ولكان شعوره شعوراً آخر ..

في هذا الكتاب ، نحن في بحوث المعرفة ، ولسنا نتعامل مع هـــذه المسائل الا بالجبر وقوانينه .. او مروراً على التطبيق فلننتظر الى ان يجين حين هذه المسائل والقضايا في الترتيب العميم ..

اننا نكتفي هنا بالقول ان الكدح والعذاب ضرورة اقامها الجبر وهي من ضرورات المعرفة والوجود ـ مسألة لزوم ـ

– ويختلف الكدح والعذاب جنسية ونوعية .. ولكنه حدة واحدة من حيث توزيع المقادير .. ان توزيعه ، مسألة استمرار ، على جميع الذين يلتزمون الضرورة من الحياة (المعرفة والوجود) اي يلتزمون ان يكونوا في قلب الحياة .. لا على هامشها ، اما الذين ارتضوا الهامش فقد اختاروا عذاباً آخر من توزيعه .. وعذابهم في نفس ما ارتضوا واختاروا من عقم الهامش وفراغه من الضرورة والالتزام .. (الفراغ من القيمة ..) انهم يملون انفسهم .. لانهم يكرهون فراغها .. وهـذا هو عذابهم الحق ..

ان التعليمية ، تحت الجبر ، توأمان كما قدوضح من قبل .. فالى جانب التراث من المعرفة ، لا بد من سبيل جدة الى المعرفة .. لا بد من سبيل الى المزيد من المعرفة ، وهذا السبيل هو سبيل العذاب والكدح والتألم ..

وقبل التراث من المعرفة .. لقد كان الواحد الوحيد الى المعرفة هو الكدح والعذاب .. وهو الذي نبع منه التراث .. وبه التراث يزيد ..

والعذاب يختلف نوعية وجنسية ولكنه واحد الاستغراق ..

ان الجبر ان نعرف جبر لا دافع له ، فلو سويت الارض قسطاً جديدا وعدلا فريدا – لم يكن ، من حيث الحاصل ، من بعد ، الا هذا القسط السابق القديم .. اللازم المنقطع النظير .. الذي هو سر المركب من الخليقة تحت الناموس ..

لقد عرفنا هم ماركس الاول .. فماذا كان همه؟

١) – انه همّ هائل بلا ريب .. انه يعترض على الله ، في مسماه من العدالة او او هجيراه .. « العـدالة الابدية (١) » . وانه يصـادر الله باذلال ابدي لله ، لا

---

(١) يقول ستالن : « .. ان كل نظام اجتماعي ، وكل حركة اجتماعيـة في التاريخ ، لا ينبغي الحكم عليها من ناحية « العدالة الابدية » ، او من ناحية اية فكرة اخرى مقررة سلفا . »

لا قيامة له منه الى الابد .. لو صح شيء من ذلك .. : —

لئن كان التوزيع الالهي ، هو هذا التوزيع الذي شهده ماركس : اشقياء يكدحون ومترفون ينعمون .. « مستثمِر ومستثمَر .. » انه ، اذن ، لتوزيع أخرق .. من إله غاشم منحاز .. شرير أبله .. غبي متعسف ينسج العماء في العماء .. ويخلق الداء بعد الداء .. ويترنح ، بما يفعل ويقدّر ، ليسقط في احبولته بين الأرض والسماء .. تبت يداه ..

— فلا كان من إله سقيم ولا كان ما يليه من كون عقيم .. إنه لخير له — والخير من غيره — ان لا يكون وان لا يسمى .. وانه لخير له ان يغيب غيبوبة «ابدية» في اقعار المادة فلا يستفيق .. ليكون غشمه غشمها وشره شرها .. وإنه لخير لنا — نحن — وللكون وللعقم ان ننقبل قدر المادة بلا عنفوان .. وحال الطبيعة مع الشنآن ، كما صورتهما المادية في أطار مؤبد من البخس والبخع والقتال والعار والسبة واللعان ..

نخط ونخام .. هذا ما نحن .. فلا كان شيء ولا استقام .. فلتمض الخليقة الى المجهول .. عماءَ عماء .. وشقاء شقاء ..

٢) — هذا هو همّ ماركس .. إنه هم يتعامل مع الظاهر ، كما يفهم ، هو ، هذا الظاهر .. مع الظاهر اليه ، والواقع تحت نظره من نظره .. ومع الجزئية .. فالظاهر هو هذا ..

ألم يكن خليقاً بالاشقياء ، لو كانوا حقاً في شقاء لم يحتملوه .. ولو كانوا حقاً في داء لم يقاوموه ، أن يكونوا قد انتهوا منه قبل ماركس .. **فيخلفوه ..** ولا شيء في احبولته .. ألم يكن خليقاً بكل شقي ان يقع على شريعة الشقاء ، من لدنه ، فيندفع بلا صبر في نهجها تحت مقولات هذه الشريعة .. اندفاع الحقد والسبة واللعان وانطلاق المقت والبغضاء — فيناضل ويقاتل قبل ان يأتي ماركس ليضع الشريعة نصاً ولفظاً عن « النضال » لا ما هو حق النضال وجبر النضال ..

ألم يكن خليقاً بهم ، ان لا يكون هو – ماركس – قياس شقائهم وميزانه (بارومتره)

ألم يكن خليقاً بهم ان لا ينتظروه ليزيد النقطة من مشاعرهم باللجة من طوفانه وينمي الجرثومة من الطمع او الطموح مزارع تأكل كل النفس فلا يبقى فيها الا الآكل ، الطمع او الطموح .

لقد مات الكدح ، اذن ، بماركس ، كما مات الاقتدار عليه .. انها شريعة الكسل تحت سوء الفهم والتقدير ..

ان المعضلة قائمة بلاريب ، .. وليس ماركس حلا لها .. ، بلا ريب ،

وان المعضلة ستظل ، بلا ريب ، من حيث انها معضلة ..

لقد مات الكدح بماركس ومات الاقتدار عليه ، وخلف الطمع او الطموح فاحتل مكانه على الارض .. ولكن بلا كدح ..

انه لجهاد ان نكدح .. ولكنه موت ان لا نفعل .. فايهما نختار ؟

لقد اجاب البشر اجمعين بالظاهر والباطن ، وبالفعل من الواقع ، على هذا السؤال :

لقد اختاروا الحياة .. فلا بد انهم اختاروا ضمنها الكدح والشقاء .. ولقد نبذوا الموت ورفضوه .. الا رغماً . فلا بد انهم نبذوا معه الكسل والقعود ..

ولقد بقيت المعضلة .. وظل معها نشدان الحل ..

وستظل المعضلة وسيظل معها نشدان الحل..

والمعضلة تتجدد .. والنشدان يتجدد .. «والمعرفة تزداد» ..

« واما انت يا دانيال .. فاخف الكلام .. واختم السفر الى وقت النهاية ... »

. . .

هذا ما كان .. لانه الحق .. ولانه الجبر .. ولانه الناموس ..

نشدان الحل – والحل سابق باق

تكذيب الـ « أنا » بفعلها والسلوك

إننا نتعامل مع القيمة .. ، وفي صحيح القول ، **ان القيمة تعمل فوقنا ..**

واننا نصعّد في القيمة بلا ريب .. وفي صحيح القول ، **ان القيمة تنزل ..**

ولقد رأينا من مد الاحاديث المتقدمة شريعة الجبر علينا ..

إننا نتعامل مع القيمة ونصعّد .. واننا ، برغم الاساس المادي العام ، بل اننا ، مع هذا الاساس المادي العام ، وبهذا الاساس ، نمضي تحت الجبر الى المعرفة وتحقيق المعرفة وتأكيدها في التقنين والتعامل والتقليد والتخلق .. وفي كل ما نحن .. لتظل القيمة وحدها هي السيدة الآمرة الحاكمة النافذة .. ولا شيء غير هذا ..

إنها لقانونية حصار طائل محيط .. انها الناموس ..

اننا ، في الحقيقة ، نتعامل مع القيمة لا مع الثروة والترف .. أما تعاملنا مع الثروة فهو الظاهر من تحقيق الجبر نفسه وتأكيدها وتقويمها.. **ان تعاملنا مع الثروة تالي نهائية الجبر ..**

اننا ابداً ننشد القيمة ..

هل هنالك من سبيل الى القيمة مع الترف ؟

وهل يغلق باب القيمة ويسد في وجه الترف ؟

وهل سبق في الجبر تعيين سبيل القيمة ؟ فعُرف من التعيين خط التقاسيم ..

يبدو ان **حظ الترف من القيمة حظ مطالبة وترسيب، تحصيل الحاصل من القيمة** لا الأبداع لما لم يحصل .. مسألة سياق لا مآل ..

اما تنزل القيمة فقد عين منافذه ومطارحه ..

ان القيمة تقتضي الاحتفاء من مهابط القيمة ومطارح النزول .. وتقتضي العبودية والانقطاع .. **لانه حيث تهبط القيمة وحيث تنزل .. فثمة ميلاد للممرود .. وظهور للجبروت .. ونفوذ للملكوت في الناسوت ..**

– فلا بد ، اذن ،لا من اعياد ميلاد .. ولكن ..

– **لا بد من هي ميلاد وعين ميلاد .. وذات ميلاد .. ومحاض ميلاد .. وليدة ميلاد ..**

ان الترف مسألة اعياد وزهو اعتياد .. مسألة تكرار ومعاد ..

ان الترف معاد افراح لا ذات افراح ..

ان الترف اضواء ميلاد .. **وشجرة ميلاد .. لا مذود ميلاد ..**

ان سبيل القيمة سبيل معروف على مد التاريخ من كل معرفة ووجود .. فاعمد الى التاريخ تجبك الدموع الدافرة من عينيك .. من الذكر او الاحياء ..

لقد شاء ربك .. وهو **القيوم** .. ان لا يأخذ القيم الا منه .. لكي يعطي القيم كل احد .. ولكي لا يأخذ الا من احد ..

لان ربك هو المعطي الذي لا يأخذ ..

ان سبيل القيمة سبيل معروف ، وهو ، بكل ما يكره المترفون محفوف ..

انها لقسمة سبل في الجبر .. : عطاء واخذ ..

ان القيم هو معطي القيمة ، وليس شيء غير القيمة عطاءاً .. ، فماذا عند المترف من شيء يستطيع بعطيه ؟ وهل يستطيع المترف الا ان يأخذ .. بسبب من انه الى كل شيء فقير ..

سل عن سبيل القيمة يجبك عنه النبي والولي ، والحواري والصحابي ، والشاعر والموسيقي .. بمقارنة يعقدها لك بين ما يتحصل عنده من أمالٍ ، وبين الامتلاء ، قبلها ، ذاك الذي كان يدفع اقطار روحه ليفجر امامه الروح والطريق ..

...

ان سبيل القيمة سبيل معروف يعرفه حتى ماركس ..

لقد اخطأ ماركس مولد القيمة .. ولكنه ، بلا ريب ، جن (١) منهـــا او « حبل بها .. » (٢) ولم يتم له حمل ولا تم منه ميلاد ..

لقد رفض ماركس وكره ان يعمل ويكدح لنفسه .. فراح يعمل جاهداً للغير .. فكان شقياً بالجهد شقاء مادة .. ولكنه كان سعيداً بالاعتقاد والسبيل .. سعادة روح (٣)

هذه السعادة هي الفضيحة التي يفضح بها الجبر الاسمى ماركس وغير ماركس .. من **الذين لم يرتفعوا عن الترابي ..**

اجل انها افتضاح ماركس الذي يقول عن المادة انها « الواقع الوحيد »

لقد كان حرياً ، اذن ، بماركس ان يسعد بالمادة ، وان يسعد لنفسه ، لا ان يختار التسامي والتصعيد ، ويكون لغيره كل ما يجهد وما يريد ..

إن ماركس، بغيريته وحياته ، فعل من التكذيب لكل ما يقول..

---

(١) – تعبيرنا نحن ..

(٢) – تعبير قديم .. « ميلاد الحقائق التي بها النفوس حبالى » .

(٣) – برغم انه انكر الروح

إنه فعل يطلب ، ابداً ، الينا ان ننشد التأويل والتفسير ..

لقد اخطأ ماركس .. ولكن الأسلام يقول : « للمخطىء اجر .. وللمصيب اثنان .. »

فليقنع ماركس بأجر المخطىء .. — اجراً على النية ..

أما خلفاؤه .. فقضيتهم بين يدي القيمة ..

والقيمة جبر قديم ..

فدع الحكم من القيمة .. لمن هو به عليم

• • •

لقد اخطأ ماركس كلاً من العقيدة والميلاد .. اما شقاؤه وجهاده .. فمأجور عليه .. إن ماركس ، في مذهبيته ، لم يتعامل الا مع الظاهر والواقع والمادة .. والرائن على هذه الشقاء .. ، فكان على ماركس وعلى اعصابه التعامل مع شقاء الناس .. في محاولة الحل ..

لنفرض ان ماركس لم يخطىء في طلب المساواة ، وفي نشدانـــه ان يصنع عدالة اخرى غير العدالة الحقيقية الكائنة في الظاهر والباطن معاً .. ، تلك التي اخذ منها ماركس الظاهر وحده دون الباطن .. — فلم يعجبه الواقع من التاريخ (١) واراد غيره تحت عدالة غير « العدالة الابدية »

ماذا كان يريد ؟ كان يريد العدالة السابغة ..

— فهل استطاع اذن ان يريد من حيث النتيجة اكثر مما اراد موسى والمسيح ومحمد ؟ بل هل استطاع ان يريد اكثر مما ارادت الفلسفة والاخلاق والعلم ؟

وماذا صار همه ، من بعد ، وماذا اصبح يريد ؟

---

(١) — « لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع .. » — « حديث شريف » —

« فعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » — « آية » —

« وعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » — « آية » —

لننظر خطأ الميلاد ..

لقد اصبح همه في المنحرف من بعد ، – في مادية معممـــة – ، ان يقدح في « العدالة الابدية » لمحض انه اخطأ فهمها كما اخطأ الفلاسفة والعلماء .. عندمـــا ظنوها صناعة بشرية ومسأله حدوث وحصول .. يوقعه البشر بالتصرف ..

– ذلك انهم كانوا قيد الظاهر من العدالة .. وتحت التوأم العقيم من الثنائية ..

ان البشر يستقلون بالخطأ .. وهم احرار فيه .. **تلك هي عبقريتهم : ان يخطئوا .**

اما الصواب فهو الجبر الذي فوقهم .. وعليهم .. من سبق وقدم .. اوامر ونواهي في الناموس .. ليس احد حراً في الحق .. الا ان يشهد والحق .. ويغيب فيه فلا يعود .. وبعد ، فان جور خطأ الارض بمعصم عدل من السماء ..

وبعد ، هل العدالة رفع الظلم عن أناس وظلم آخرين ؟

وهل العدالة في توزيع الشقاء بعد تجريده من سبيليته الى القيمة .. وبعد ان تسلخ عنه الوسيلية التي هي المبرىء الوحيد له .. بانه سبيل القيمة ..

إن التعامل مع الباطن والماورائية .. هو التعامل الذي ينشد تفاسير الوجود والحياة والظواهر .. انه هو الذي يعلل الحادثة والواقعة والظاهرة .. فبهـــذا النشدان .. وبهذا التفتيش عما خلف الظواهر .. نجد ونعلم **ان الشقاء ضرورة .. ضرورة تعليمية .. سبيل القيمة .. سبيل تحصيل القيمة ..**

– امـا **الترف** فلا سبيل الى توزيعه .. ولا الى تحصيله ، او تعميمه .. لانه **مهلكة الانسان .. وخسران القيمة والعنفوان ..**

.. اما الترف .. من بعد ، ففراغ وعقم وهوان ..

ان سبيل تحصيل القيمة هو قضية الباطن والماوراء ، وهوهو التعميم والقانونية والنفوذ .. انه ارادة الجبر ..

من كان لا يقدر على الشقاء .. لم يقدر قط على تحمل القيمة ولا على تحصيل القيمة ..

وليست الغاية للنوع ولا هي الغاية من النوع ، ان نكون بشراً بقراً بالطعام بلا شقاء .. فلقد كتب في الناموس : « **بعرق جبينك تأكل خبزك .. ولن يكذب حرف من الناموس أو يزول ..**

انه الواسطة ان نشقى .. لان الغاية ان نتعلم ..

فالتألم تعلم ..

وهذا قانون الجبر .. لا مفر منه الا اليه ..

اما نفوذ هذا الجبر .. ، بالنتيجة .. ، فلا تسل عنه الاشقياء .. ولكن سل المترفين .. يعبروا لك عن الف الف نقمة .. ولا تسل عنه رجال الاستثمار والاحتكار .. وبلاد المال وملوك المال .. ولكن سل عنه وطن الفلاحين والعمال ..

لن ينتفي العذاب والشقاء . الا بالاضمحلال والفشل .. ولا بالتحمل والاقتدار كن فوق عذابك تغلبه ، واعبد القيمة تخترق ، مرأى ، طريق الشقاء .. وانت ، بعد ، بالقيمة ، وبما تعبد ، السيد الحر المتغلب المختار ..

مواليـــد الضلال

صفـر الذات

قلنا في مطلع هذا البحث انه ليس من طبيعة المادية ان تكون فلسفة او ان تصير ، دائماً وابداً لا جديد من المادية ..

ان المادية ليست فلسفة ، ولكنها ، ان خططنا ماديتها ، وجدناها ذات نزعة نادة عن الفلسفة تشبه الايمانية الدينية ، غير ان ايمانيتها بالمادة .. فالمادة هي العابد وهي المعبود .. والجبر قائم في المادة .. ولكنه جبر غاشم جاهل مجهول ..

ويجيء التناقض ، من طبيعة تلازم هذه المذهبية ، فيعنون لها ويعلن عنها .. فلا تكون الا اياه ..

والتناقض ، في المادية ، مضاعف .. لان النزعة الانسانية والمعرفة الانسانية تداخلها الاطراف والتوائم السالبة .. من حيث هي النزعة الانسانية والمعرفة الانسانية – من حيث هي النقص – وقبل المذهبية المادية ، فاذا صارت الى مذهبية ، فقد صارت الى مواليد لا تنتهي من « التناقضات » .. و « نضـــال المتضادات » في « المحتوى الداخلي » من كل بارقة ظاهرة ونسمة حياة ..

انها مذهبية من فهم الانسان وعلم الانسان لا من علم الكلية .. ولا من التعليمية .. وهي ، اذن ، مضاعفات حرية الخطأ .. ومواليد الضلال .. والدول .. ، لا من وحدة جبر الصواب والثبات .

بهذه المفاهيم ، يرتد مدى الرؤية .. ويتمدد النظر الى كل الانسان في تاريخه .. من ناحية انه حيوان ، في نفسه ، يجب ان تطرّفه الايمانية ، او المثاليـة مع اداء الاساس الماديّ – او المذهبية المادية – وظيفته على الزمان ..

ان الانسان يتكرر بأبنائه وانساله ..لتعلق بالجيل وتثبت فيه حقيقة تطبعه فلا تغادره في جميع انساله من الاجيال التالية ..

فالحقيقة للبقاء لانها القيمة .. والقيمة هي هي البقاء ...

ويظل الانسان يتكرر ليعلق به ويثبت مدى من الحقيقة اوسع ..وبغير هذا الفهم لا نستطيع ولا يستقيم لنا ان نقول ان الانسان يتطور ..

ان التطور ، اذن ، هو عبارة عن **علاقة القيمة بالمادة .. او علاقة الله بالخليقة ..**

– فأن ابى احد الا التعابير الفلسفية .. فليقل ان التطور هو علاقة « المادة في ذاتها » او « الشيء في ذاته » بالمادة هذه .. ، ولنقل معه ربما نقرأ معاً كتاب الوجود ..

الميزان

نسيقا القيمة

كتاب التسمية

- بين المعرفة والوجود -

وعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء
هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت
العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ...

سلب الجبر وايجابه

نسبة انتفاء الحق

منتفى الحق

او الاشاحة عن الباطل .. الانعدام ..

لقد تحدثنا عن الحقوق الممنوعة .. وليس منها بدع مادي واحد .. إلا الاساس المادي .. فاذا كان لا بد من «التسمية» فلا يجمل ان تسمى المأخوذات التي أشترك في اخذها الشريكان .. او استمر في تداولها الغاصبان ـ المثالية والماهية ـ «حقوقاً» وليس يجمل بورثة الشريكين الغاصبين ، فضلاً عن التنازع ، ان تستمر على منطوقهم التسمية :

لانه ، في الذاتية ، ليس وارث الغاصب وارثاً ، فيما يرث ، مغصوبات المورث .. لان التوريث ، في شرعيته ، ليس فعلاً او حادثاً من النقل ، ولكنه استمرار من البقاء هو بقاء الشرعية ولم تكن في الغصب شرعية سابقة حتى تبقى التحاقاً او استصحاباً ..

ولانه ، في الموضوعية ، لا يصير المال (او العين) موروثاً بتمويه من حال تتراءى انها الحق او الارث .. لان معنى الارث ليس هو المعنى من استمرار وضع اليد (الغصب) وانما هو المعنى الذي لا تتم ولا تكون به حال من الارث الا اذا كان الموضوع حق الذات ، بسبق عن الانتقال .. ، قبل اذ هو ارث .. والموضوع ، عندنا ، ـ كل موضوع لا يكون حقاً ولا باطلاً الا بالاضافة الى الذات .. (١)

---

(١) كل موضوع ، عندنا ، في المادية الروحية ـ هو حق الخالق ، فان انحرف به احد عن وضعه هذا ، راح باطلا .. ، فالسماء تضع الموضوع وتمنحه .. فان اخذ على انه مضاف اليها ، كان الاخذ حقاً والملكية للسماء .. وان اخذ سرقة او انتحالا راح باطلاً ، والملكية باقية عليه حقاً للسماء .. والارث الصالح بقاء الملكية .. ، والغصب تصرف باطل .. يبطل الموضوع عند الغاصب بما هو الغصب والملكية باقية.

انه اذا كان لا بد من « التسمية » أليس الراجح ان تسمى الاشياء باسمائها ؟!

أليس الحق ان لا نترك العقوق ينمي الابوة ، ويُغرق .. حتى يدعيهـــا بنوة تغولة بستلحقها بالتبني .. وينزع عنها قدسها الحق .. لا بانها ولدت له من الزنا .. فهي لم تولد له ، فقد كان غيباً او عدماً .. عندما كانت .. ولكن بأنه هو (العقوق) ولد من الخطأ ، فلا يكون منه (من ادنه) شيء من طبيعة الصواب ..

إن الاب الحق لا يكون الا اباً حقاً .. فان حاولته لك ابناً او دعي بنوة، لم يكن لك اباً .. لا لأنه ليس اباً .. ولكن بانك ، انت ، بمحاولتك ، وبالنية فيها ، لست ابنا .. فالسلب منك .. ومنك النفي .. ونفسك دينونتك .. ولن يدينك غير نفسك .. لانه **هكذا اراد الناموس ان يجعل من جبره جبراً نحن نتحفظ به** (١)

– وانقلاب الحق باطلاً ، ليس انقلابا للحق الا عندك واذ تقابه ، وليس هو انقلابا للحق .. ولكنه اثمك الذي اقتصر عليك به بطلان الحق .. فمن حيث ان الحق انقلب اثماً ، فما هو بالمنقلب عن ذاته .. ولكن مـــا تظنه الانقلاب ، هو ظاهرة « الموضوع » الظاهرة عليك .. لا باطنة الذات التي لا تنقلب ..

وذلك ان الحق ، فى ذاته هو .. وهو فى تعديه ، يؤدى معنى العقوبة وفعل العقوبة عن البطل .. وهذه هى الطائفة ، طائفة الحق .. ومؤيده .. وجبره الذى فيه ..

ان المزعومات والمدعيات هي ، منذ الفكر ، متراوحة ومتأرجحة بين المثالية والمادية .. يتبادل اغتصابها الذي هو عقوقها .. ويُفرغ جهد الحذق من كل من الجانبين في توشيتها ، لتكون التوشية مداراً او عبارة استصحاب ..

---

(١) « اقرأ كتابك » – أي ما انت كتبت لنفسك بقلم عملك من كتاب – « كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » وهي ابلغ عبارة عن جبر الناموس .. فانت القارىء والكاتب والحسيب ..

– وتلتقي التوشيات ، لا الحقوق ، لقاءات عدة واندغامات ، صغرى او كبرى ، ان اسفرت عن شيء :

– فعن واقع التوشية وعن انها لا تستصحب الا مزاعم ومدعيات – هي اصالة الحقوق قبل الادعاء والزعم والتوشية

– وعن اشكال استمرار هذه الثلاثة ، قذائف بين النزاع والصلح الرخيص ، نزاعاً وصلحاً هما ، بمقدار الابتعاد والاقتراب بين التوشيات ، لا يطالان بالدينونة ، في الحالين ، غير الذاتين الغاصبتين ..

اما انها «حقوق» في الادعاء .. و «فكر» في الزعم .. فانها لكذلك ، عند الفريقين ، بمعنى انهما – لو صح انهما فريقان .. ، ولن يصح في غير التعيين منهما ومن النزاع ، لانهما عند المسروق منه يظلان فريقاً واحداً .. فريق نزاع ووحدة باطل .. – يدعيان ويزعمان فيها .. يسميانه حقاً مدركا .. وينسبانه كل اليه .. ، فالمادية تنسبه اليها ، والمثالية على نسب انقسامها تنتمي او تنسب ..

ولذلك عفت ، مع كل معرفة بلا ايمان ، صيرورتها عذاب سرقة وعقوبة هلع وقلق .. لا قناعة معه ولا اطمئنان ، ومرنية مادية مترفة .. وعفت ، بالمقابل ، مع كل معرفة مؤمنة وهو مقرها سكينة واطمئنانا الى عطاء غير ممنون ، وثواب قناعة وازديادا من الفضل بلا طلب او بالجميل منه ..

ولكن بصدد « التسمية » أيها خير ؟!

١ – ان نطعم ، والبشر اجمعين ، طعام الحمير ، عالمين ما نأكل ، وقد اكلناه اجيالا .. ظلمنا ، برغمه ، بشراً لا حميراً .. ام

٢ – ان نلوي اعناق المدركات التي نقودنا .. فننقاد لالتوائها ، ضالين شاردين .. ، لا ندري : ان كنا نحن علمنا الحمير ما تأكل ، فتعلمت .. ام هي التي

علمتنا ما نأكل .. فاكلنا ولم نتعلم قط ..

وهذا النزاع على تسمية المسروق ، وهذا التوارث الباطل فيه ، يروحان في دول مستمر ، يثبت اصالة الحق وثباته ويؤكدهما بالمقابلة .. ويمحق الادعاء والزعم والتوشية .. وينفي الفريقين المتنازعين معاً .. منفى ضلال ومضطرب لا اهتداء منه ولا سكينة ..

...

تمكن القيمة واحداقها .. عمود الحق —

الحق ، ابداً ، في قيامة .. شفافيته من وراء (الظاهرة) الباطل

...

.. واما انها ما هي هذه الحقوق في الاصل .. فانها محض تعاليم .. هي ، من انها الصدق ، تتعامل بالحق :

١ — ايجابا مع التصديق — الذي هو الايمان ..

٢ — وسلباً بايجاب مع الشك

٣ — وسلباً محضاً مع التكذيب ..

والتعاملان الاخيران هما مع الميتافيزية وطبقات المادية ..

— فتعيش الميتافيزية مخطئة بالشك .. :

فأن صدّقت ، بعدياً ، — بعد الشك — راح التصديق منها علماً من التجربة لا ديناً (١) فكان ، هو الآخر ، ارجوحة بين الخطأ والصواب .. بين كل نقطتين من التراثي .

وان صدقت جوانبُ منها بايمان واخرى باستدلال .. راح خليط التصديق مُثلاً واخلاقاً وشرائع موضوعة .. يساورها الخطأ ، من تلك المخارج والمداخل فيها ، من غير الايمان ..

---

(١) — الدين هو المصدر من لزوم الدينونة ، وهو الذي تدين به اذ هو الجبر الخالص من الدينونة ، اي اللزوم ..

– وتموت المادية (١) في البطلان الذي ابتدعته (٢) وهو التكذيب (٣) فلا تكون الا صرف الخطأ (٤) ، لا لانه لا مدخل منها للحق يساورها منه .. ولكن لانها انتحال الحق وتصرف به ، يجعلانه محتوى فيها .. والحق لا يظل حقاً الا ان يكون هو المحيط .. فان جعلته محتوى ومحاطاً ، جعلك، انت، لا سواك، منذ فعلت ، لا تحتوي الا الباطل الذي هو الزور من الحق بالانتحال ..

– وهي الحال من العقوبة التي هي الطائلة من جبر الحق ..

.. وبقى الحق المنتحل شفاقاً عنه الزور لغير المكذبين .. فيدمغه فاذا هو زاهق ..

كل ذلك واضح بالواقع على طول الحصولية ومعترضها .. **فالحصولية غير مصداق وممتنع للقيمة الحق ولنفوذها في كل غير .. :**

اعطني مخلصاً للعرفان على نفسه ، تبعته مثلاً من تخلف مراقد الزمن في ما عمد من التاريخ .. اي رجل كان .. لا اعطك منه الا عريفاً عليها .. لا تساوره منه نفس الا انفعالا بامره .. **وأرك كيف هو قد عاش ، لا بنفسه، ولكن**

---

(١) – المادية الخالصة غير موجودة

(٢) – المادية لا تبتدع ، وما القول الا عبارة حال التراثي ، هذه الحال المبتدعة ، من مساورة القيمة

(٣) – ليس في المادية تكذيب الا التكذيب بالتراثي ، زعم التكذيب ، فهي ، فيما استلحقت لم تتعامل الا مع القيمة والدين .. فتفكيرها غير مبتدع ، اذ اخذت من الدين والايمانية ورست نفسها المادية..اي دعت الى جحود تراث لديها ليس تراثها..وانما هو تراث الدين فهي ، في الحقيقة ، تدعو الى نفسها ، ولكنها لا تبسط نفسها ، اذ لا نفس لها ، الا الادعاء ، بل تبسط التراث القديم زاعمة انه لها .. واستمرار الزعم معلق الاخطاء المتراكمة من بعد

(٤) – في الحقيقة لقد انقلب كل التراث اخطاءاً مدمرة لمجرد الزعم المادي لانه في الديالكتيكية المثالية ليس ثمة اجبار سوى الاجبار الذي لا يصطنع ..فالزعم المادي صارت الديالكتيكية مادية واصبح الاجبار مادياً ، البشر يصنعونه.. ومنذ شرع الاجبار البشري كان صرف الخطأ ..

بالعرفان.. فالعرفان فيه هو الحي، لانه الباقي الصالح ، والتراث الذي لا يموت..

– وهات لي تفصيل تاريخه ومضطربه أضع عينك على الارث كيف هو حي يتوزع ، وكيف هو بقاء يستمر .. بحكم سلسلة من ابناء الحق والخير من تلاميذه وتلاميذهم .. **اما نفسه** هو .. تلك التي ماتت عنده .. في كل خفقة من مضطربه ، **فلا فائدة للبحث عن مقبرها من بعده .. لان مقبرها لم يشهده أحد ، فهو الذي قتلها وهو الذي قد دفن** .. وهو الذي ، بالعرفان ، من بعدها قد عاش وخلد .. وهو ، بعد ، ليس نفسه .. ، ولكن شيء من محض العرفان الحي الاحد..

واعطى صدّيقاً للقيمة في الله او لرسول القيمة ، هو وحدة صحة من الصديقية ، لا كسرصحة .. ، **اعطاك منه نبياً بقول الجبر ويفرض القيمة ويهدي الى الحق وجناحه على المستقبل جناح اعتوار للغد ، مشارق ومغارب** ، تحت بصره ورؤيته لاتنبؤه .. **اذ الغد تحت جناحه ، ابدا ، قبل ان يخفق بامره كل من الغد والجناح..**

وادرأ عني متمنياً متلوماً محتاطاً في حبه الخير والحق ، حذراً من العرفان مستريباً ، ادرأه عنك فيلسوفاً منطيقاً ملأ الدنيا شكا .. فاقام به واقعد .. وهو يروح ويغدو على ابر من الشرر يثب منها ليشتار لنفسه الاطمئنان .. حتى لا تعود له قدمان ، وحتى لا يعيش الا وثباً .. وأنظره ريثاً ، ريث يتعب ، ويتعب به المضطرب.. ، فاذا به قد لاذ بكلمة غبّته عمره ، فلم تسعفه ، كان سمعها ، اتفاقاً ، في الخمس الاولى من سنيه ، قبل الشقاء.. ، واذا بها مستقر النوى من فلسفته ، بعد اذ هي مركز المحام والمدار .. فان كنت تعدّ له ، ما عددت الا خمساً ، لان بعد الشقاء رهن بمحو ريث الشقاء ينقض به ما لم يبرم .. ويدرأ عن نفسه .. ثم يدرأها عن غيره .. جاهداً يكذّب ما قالت نفسه ، ويسارقها لا ليعيش من جديد

ولكن لينسرق حياً في الخمس ما يتجاوز ولا يقيم ؟!

ابهذا الجبر الجميل .. ان كان هذا عدل .. فلماذا لم ينصف الله الظالم الذي هو وحده به المظلوم ..

أبهذا الجبر البديع .. ان كان هذا عدلا .. فمن لنا ان نطبع او نصنع عدلا آخر .. بدعاً مثله على الابد .. لا يتأثره ولا يستجديه !! ويسلك مسالكه .. ويداخل دخله ، مشيئة مشيئة ، وقضاء قضاء .. لكل قدر ، من الازل سابق مكين . (لا لنا الا هو .. فان كان فما هو الا هو ..)

فان خطر لك ان تقذفني بالعاصي الطاغية العتي .. فجرت لك منه نفساً منتفخة ، فماترى الباطن منها الا اجوف مفرغاً ، هو مقدار الورم والصعر الظاهر ، رئاء الناس ، انه فضل وازدياد .. بينـــا ليس هو الا صدى الضجيج ، وصراخ الفقر والفراغ .. ذلك هو الفضل الذي ليس فيه من القيمة الا عفو اقتراح ، او تقرير عن الخلاء من القيمة .. ، والشدة الصارخة اليها من الافتقار .. فهو ، بعد ، تزوير امتلاء .. والاستعاضة بالغشم والادعاء .

– ودللتك منه ، وهو ، اذ هو على غيره من الناس ، لا يستطيع منه ، على احد منهم ، شيء من طائل ظالم ، الا ان يستحق ، ذلك الاحد ، طـــائل الظلم عدلا .. فهو طائل الحق .. ولا يقدر منه طغيان ، اذ هو طغيان .. لانه – اي الطغيان – في لزومه ، سبة الطاغية في ذاته .. يتمنى لو استغنى من فقره بـه .. ، ولانه ، في التعدي ، لن يظل طغياناً .. وانما يتحول (يحول) سيفاً ، لا يدري انه سيف ، تضرب به القيمة ضلالا آخر فتمسح به طغيانا اوعصيانا او انانية فراغ .. فتتبدد هذه ، ويتبدد بها السيف ..

« ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً .. » مع انه ما جاء ليلقي سيفاً بل سلاماً .. ولكنـــه السيف الذي يلقيه السلام .. لانه السلام الجبر .. الذي فسرته السلوكية التشريعية في الاسلام .. جاء المسيح سلاماً .. فهو ، على من قبله ، هو السلام .. وهو ، على من رفضه ، هو السيف .. الملقى المصلت ،

وجاء محمد فاشترعت مفاهيم السلام ضرورة السلام .. الذي راح سيفاً على المعتدين على السلام .. لاعلى الذين رفضت نفوسهم السلام .. لان رافض السلام .. واقع في سيف نفسه ، واقع في نفسه ، فمحمد سيف الرفض هو هذا سيف المسيح .. لقد القاه محمد تعليم قدر هو السلام .. فكان سلاماً .. ووقع قضاءاً هو هو السيف ..

ـ قضاء قدر .. يمحو الباطل والظلم .. بباطل وظلم .. هما منهما .. فيؤولان معاً عدماً واحدا .. لانهما ، من قبل ، باطل واحد وظلم واحد .. عدمهما عدة واحدة .. هي عدة الافتقار والعدم ..

ـ وما كانا ، وما كانت الا الظاهرة من التراثي .. لتكون البروز من الجزاء، الذي يضارع العصيان على مد فراغه .. ليشف عماؤه عن عدمه ، حيث تتم الرؤية، ـ من التراثي ـ انه ، من اوله ، بتوأمه العقيم ، بطلان وانقضاء ..

• • •

كل ما تقدم واضح بالواقع على طول الحصولية ومعترضها ، في التاريخ ، لو راح التاريخ يتعامل مع الداخل الانساني ..

فهل كان حق هذا الوضوح ، من قبل ، تصرفاً من الجبر ، تصرف نفوذ ووقوع ، ام هو منا ، نحن ، ابتداع واختراع ، ومحض ادعاء ؟!

أيـــــد القبـــــة

دستور الحصولية

هكذا .. فلقد حق ان « الماكر الاكبر » **قد شرعها سابقة في الناموس طائلة آسرة .. لا مفر منها الا اليها .. وقد تناولت بالرغم الاسمى والجبر الاعلى كل ماصار ومايصير ..**

ـ فليس يحدث بدع يند او يمرق ، وهو ، في الظن ، بدع نفسه ، او هو على هوى اختياره .. **الا انتهى قضاء الى المصير المعين في السبق من التقدير ..** فان يحدث من شيء لا يحدث على انه بدع المنتظم وطارد الناظمة او طريدها .. حِلًا من الفوضى وإقامة من الشذوذ والعصيان .

ـ فالبدع ليس حِلًا ولا إقامة .. انه حال من التراثي تعيش انخداعاً في منقضى التوهم ، وتخدم الناظمة بانها تطرد البدع ويطردها .. فما عاشت لتعيش .. ولكنها الحاجة التي تقوم في التفكر لتقترح الغاءها .. **فهي لا تحمل هوية نفسها .. ولكن دلالة لغوها .. وعدمها . دلالة في الوجود ، وهو محسن ، انه يتمثل العدم تمثل اختراع .. ويصوره تصوير ابتداع .. فاذا هما الجهد من تراثي اللغو والانخداع .. انه عبر ـ الى الانخداع ـ وكان هو المعبر ، فعن ثنائية**

وحدة واحدة ، من عدم نفسه ، التي هي انقضاء كذب تحت صدى جبر النظام الذي هو بقاء وجود ..

ليس يحدث بدع ينداو يمرق.. **وان يحدث من شيء بدع لا يحدث بدعاً ،**

لدنية ابتداع – بدع تفرد واستقلال واستغناء واكتفاء .. – ولكن قد يتراءى انه هكذا يحدث ..

– إنه ليس (بدعاً آخر).. **وانه ليس الا ، في البدع الاول ، تقليداً ومحاكاة ..** ترداداً لثقانة وترجيع تعلم سبقه التعليم الذي في العلم الكائن ..

– فهو اذن ، تعدي البدع ، اللازم عن لزومه ..

ما من عبقرية ، في الحدوث ، أصيلة.. إذ العبقريات كلها أرجاع القيمة واصداؤها .. جواب الامر .. استجابات المادة ..

– فان لعب بها التكذيب او الانتحال ، آضت في المكذّب المنتحل باطلاً منه فيه .. بالاستحقاق .. تقلصاً منها عنه (لا منه ، بل تمدداً منها منه بدونه بلا فائدة يفيدها هو ، وتفيد سواه – تمام استمرار للاعتداء) وامتناعاً عليه .. عصمة على المكذبين ، دون غيرهم.. لا على كل ما هم المكذبون..ولكن على ما هو التكذيب منهم .. لا عصمة حرد وانزواء ، ولكن عصمة اعتداء طائل النفاذ ..

– فهي الحصينة عليهم ، عدلا ، بانهم هم ردوها وتحصنوا منها..وهي النافذة منهم عليهم جبراً بانها النافذة لزوماً وتعدياً ، وبانهم مجبرون تحتها لا يملكون من وهم ردها الا خدمتها والاستجابة لها ..

– فيروح بدعها هو البدع نفسه .. ويروح بدعها ، عندهم، ترائياً انه بدع آخر .. وظناً أو وهماً يرين على التكذيب يمحق به نفس التكذيب

وتبقى القيمة هي البدع حقاً لا ريناً ولا تلبساً .. ولا تراثياً ..

وهي السخية السمحة الشائعة .. « **لا مقطوعة ولا ممنوعة** » قِبَلَ اي من العالمين .. ذلك بما يشاء أيّ ويريد ويختار .. وبما ، من قبل ، شاء واراد واختار له الجبر .. من الناموس .. ، عدالة تبادل جبر واختيار ، وعداً حقاً .. واستحقاق حرية حق .. واختيار ..

— كل شيء في المادة ينقص بالعطاء منه .. الا المعرفة والا القيمة . فانها لا تنقص .. بل هي عند الانسان ، تزيد بالعطاء .. والسخاء ..

ليس يحدث بدع يند او يمرق .. وان يحدث من شيء لا يحدث شيئاً ، (اي وهو شيء) وانما يحدث خلاءاً من الشيئية .. وإملاقاً منهـــا .. يحدث لكي لا يكون .. ولكن ليشهد ويمضي .. ليشهد ، من عدميته ، ان الوجود مستطيع ان يؤديه أداءاً ، وهو ، لا هو له .. ، اذ هو امتناع ، .. وان يحيط به ، اذ هو ، منه ، صرف اختراع .. وليشهد للوجود انه اقتدر ان يخلق منه — (وليس له « من » ولا اليه « الى ») — ويبدع ويخترع .. خلقاً وابتداعاً واختراعـــاً .. — كادت ان توهم ، او ارهمت ، على مد الحصول ، واقطار الوقوع ، انها صنو الذات وصورته ومثله او نظيره او نده او شريكه (١) .. او اخت كل سلطانه .. وما هي جميعاً الا حصولية انقضاء .. غير معبرة ، ان عبرت ، الا عن ازل الوجود وابد الوجود .. وازل منقضى العدم وابد منتفاه ..

---

(١) ان كل الماديات واقعة في الوهم من الحصول .. ، طالع « البراجاتزم — الذرائع » وهي مادية عملية ..

والغيب والعيان

ولكن ما الذي حدث ؟ وكيف هو مثل الحدوث الاكبر ، على انه تحقيق القيمة وتنفيذها وتأييدها (حق القيمة ونفوذها وأيدها) وعلى انه ليس الا هذه جميعاً : أيد القيمة ونفوذها وحقها ، جمعاً ومنعاً ؟

الهرتان والجبنة

لقد حق ان « الماكر الاكبر » ، قد قلده الثعلب في قضائه بين الهرتين .. سارقتي قطعة الجبن، عندما اختصمتا اليه وحكمتاه .. وهو ، من دون التحكيم، هو الحكم ، وعنده ، من قبل ، الدينونة والفصل والميزان :

لقد قسم القطعة الواحدة قسمين اثنين ، احدهما اكبر من الآخر .. وجعلهما في كفتي القسطاس ، حتى بدا لهما .. فتناول الراجحة ، فقضم منها رثاء تسويتها بالمرجوحة .. ثم القاها في شطرها من القسطاس ، فرجحت الاخرى .. وهكذا ..

وهكذا استمرت القسمة : ريثما (ظاهرا) على الميزان .. والوحدة : باطنة (غيباً) فى القسطاس ..

– واستمرت القسمة باطناً من وحـــدة القضم ، ظاهره الضرورة من مثنى الميزان ..

– واستمرت العقوبة جبراً من العدالة قديماً .. في وهم الحرية المتجدد من امل الحصول وتمام السرقة .. (عدالة من الجبر .. وجبراً من العدالة) .

انها ، لعمر الباطل ، عملية واقع حصول .. في ما نرى وفي ما الهرتان تريان ..

ولكنها ، فيما لا نرى ، لعمر الحق وحدة ثابتة من قدم حقيقة .. لا قسمة فيها ولا كفتين ولا ميزان ..

فهي ليست رجوعاً مستحدثاً الى الاصل .. ولكنها بقاء الاصل (قدماً) واستمراره .. (ابداً) وراء الحدوث .. وزوال مؤكد للحصولية من السرقة ، لا حدوث زوال ، ولكن رجع زوال ، وراء الحصول .. يؤكد الزوال تأكيداً وليس ينشئه انشاءاً ..

– فهي ، اذن ، ليست القسمة بين السارقين .. ولكنها غيب القسمة .. تلك القسمة (الظاهرة الحادثة) الرين – التي لم ينتصب ولا ينتصب امامها ميزان حادث .. عن قسطاس ، وراءها ، قديم .. لان العدالة – ومن ورائها الحق في لغة الحق – قدم لا حدوث .. ولا عدل بين ظلمين .. ولان العدالة وحدة لا تتوسط لتفصل .. ولكن تعمم لتنفذ ..

والسرقة حدة بطلان وان تعدد وتنازع السارق من الهررة او الانسان .. وليس فيها نوعية من تفضيل ورجحان ..

وليس في السرقة ولا عنها او منها تسوية ولا رثاء تسوية .. لانه ليس مع السرقة الا الاستصحاب من جواب واحـد قديم ، مكتوب في جبر القدر من الناموس ، نافذ بالقضاء .. ذلك هو : غيب الجبة والجبان ، وراء الشهود من الثعلب والميزان .. تسامياً عن تلك الهزلة من العيان ..

• • •

اما انها قسمة .. وتظل قسمة رثاءاً .. فنعم .. ما ظلت الهرتان .. وتعدد مجتمع الانسان .. وما بقي في اللغة وعلى المنطق تمويه بموه البرهان ، وتحريف

يحرف معنى الكلم الضمير من التعليم ، عن موضعه من عمد جدد البيان .. ويقصره على اللفظ الضرير في حضور الحس وشهادة العيان .

واما انها قسمة ديالكتيكية (ديالغية) فهي هي ، لا سواها الديالكتيكية التي تليق بديالكتيكية النزاع على جبن الجبان وتعاليم الديان .. تحمل مسروقة ، ويولج بها ، بلا استحياء ، دور القضاء .. وتشحذ لمصادرتها والدفاع عن انتحالها الاقلام ويذرب لسخها كل لسان .. ثم .. ثم الرماح والسنان .. والمدفع والدمار والشنآن .. تحت السمع والبصر ، وفوق النوع كله من بني المذلة من الانسان ..

ولكن .. هل الواقع ان قطعة الجبن الفلسفية – التي هي ، من قبل ، اصالة تعليم ، ثم صارت ، من بعد ، سرقة متوارثة – آخذة تصغر ؟

الواقع ان هذه القطعة لم تكن قط قطعة .. لانها لا تقتطع عن الوحدة اقتطاعاً .. فالمعرفة وحدة .. والجهالة ، اذن ، هي التي تقتطع .. كلما تقدم الحي في شمول المعرفة .. **والقضية اذن مسألة وعطاء** .. فان حدثت القطعة حدوثاً ففي رثاء السارقين .. لانها ، منذ السرقة ، لم تعد معرفة .. بل انقلبت جهالة .. وحدث الرثاء والوهم ، فلا بدع ، الا ذات بدع قدر الناموس وجبره ، يجعل العرفان ، مع الجريمة ، جهالة .. ويستمر توارث الجريمة والتنازع عليها دون المعرفة او الجبن .. ولا عجب ان تكبر الجريمة لا المعرفة ، كبراً يستأهل مزيداً من الوراثة الاشقياء .. ، من حيث كان يجب ان تصغر الجهالة .. صغراً يستأهل قلة او عدماً من الضنى والشقاء ..

بلى .. لا عجب ان يتوارث النزاع والشحناء والبغضاء .. لا المعرفة ولا المسألة والعطاء ..

لقد غابت الجبنة غيب الجبّان .. عن اكثر بني الانسان .. مع انه ، هو ، فضلاً عنها ، ليس في غيب .. انه **ملء السموات والارض .. أبصر به وأسمع ..**

وليس الغيب غيباً الا عن العمى الذي ما زال قيد البصر لم يؤت البصيرة النامية المنطلقة في تلك السعة من ملك الصفات ..

– وحتى الجبنة (المعرفة) المعطاة آلت مع العقوق وجحود الواهب اداة شر ودمار .. – لا من انها معرفة .. فهي لم تعد كذلك .. ولكن من انها عقوق وجحود .. –

– جبر ذات القدر .. وعدل غيبه المشهود ..

ولكن ماذا حدث ؟ بعد غياب الجبنة .. فالجبان لم يكن لهم في حسبان .. والهرتان لم يختلج لهما بذكره ، عند الثعلب ، نأمة لسان او جنان ..

– اما الثعلب ، مقلد الديان ، او قضاؤه ، فعنده من الفعل والحدوث بيان أي بيان .. ومن الصيرورة والحال خطيب يسمع الانس والجان .. ولعله قد ناب عن الغائب (في الغيب) صاحب الجبن .. قاضياً لا مدعياً .. او لعله هو ، ذاته ، رثاء الجبان ..

أما نحن فلا نعرف له نائباً في غيب .. لانه لا يغيب .. ولا خليفة في ريب لانه لا يمضي ولا يريب .. انما نبصره .. محيطاً ليس وراءه وراء ..

لقد رآ هما خليفتي سرقة وبهتان .. فمضيا صحبة كاذبة وتثنية كفران .. فتلى لهما الحق بالميزان .. وأقام لهما العدل قضاءاً وقسمة مشهد وعيان ..

والهرتان .. كل عينان .. بكفة مسمرتان .. فان انتهت هرة ، من ما ترى من دول علم الثعلب ، الى مادية .. جبنية .. جازمة ..

– فليس لأنه قد بقي من الجبن مادة .. او دول انقسام .. (فكلا الدول والمادة انتقلا عن الشهود) .. فهي، ايضاً ،قد شهدت انتهاء الحصولية من كل من الجبنة والثعلب والميزان .. ولم يبق الا الدرس والمعرفة المتحصلة في الجنان .. تعلماً من التألم .. هو حياة من القصاص ..

– ولكن لأنها (الهرة) ازدادت تعلماً من العيان .. وشهدت فناء الحصول .. ورأت الجبنة تغيب في فم الثعلب .. بينا لها هي فم جدير ان يبتلع الميزان ..

– اما ما وراء كل ذلك من وحدة القسطاس والحق ، وما وراء الانخداع بالكفتين من وحدة الميزان ، فكله غيب عن ماديتها .. ويظل اصرارها في معزل عن تعلم فرد التثنية الآخر ورفيق الاصطحاب .. ويظل قصاصها في الحياة فلا تكون لها حياة في القصاص .. وتكفيها الظاهرة من صرامة الميزان .. وشدة وطأة الحرمان .. لا من دعابة الثعلب وجمال مكره الديان ..

لم تتعب الهرة او الهرتان في علف وحلب واستجبان .. فهذا كله شيء قد كان .. فيكفي منه ظاهر العرفان .. ويكفي منه انه واقع مغدق سحّان .. فلنسرق منه حيناً بعد حين ، وزمانا بعد زمان .. ولنأخذه اخذ واقع وحدثان .. فالذي يهم هو القضم .. والأهم هو الثعلب والميزان .. وكل ما هو الجبن الذي تغري بلصه غيابة الجبان ..

– ألم يترك جبنه لانياب الثعلب . هذا الذي علمّ بالحرمان .. وبالفعل وبالمادة والعيان ؟!! فلنترقب من هذا العلم (العلم بالحرمان) وانقلابيته اصراراً خطأ الحسبان .. ولنعرضه على سبق التقدير وبعدية الميزان ..

ماذا حدث ؟؟

ولقد راح الفريقان في زعم الارث ، يزدادان نفراً ويتوارثان الزعم لا الارث .. والحرمان لا العطاء .. والموجدة والتعب لا الراحة والاطمئنان ..

– ولقد نسيا على اي شيء كان النزاع .. هل كان على الجبنة التي كانت (مثلث) المعرفة .. ام كان على الحصولية التي نمت عن الوجود ..

لقد نسيا الجبنة .. والجبان .. والهررة من الحيوان .. من طبعها النسيان .. هذا ما كان ..

الدينـــــــــــونة

الحق اضطـــــــرار

والباطل اختيـــــــار

ان الاسلوب الذي وازاه الثعلب بكر الاساليب ، بلا ريب ، وهو،وحده ، البدع من دونها جميعاً .. فليس له من نظير في امكان الابداع وابداع الامكان .

ولسنا نورده للتفكه والتندر ، ولكن للكشف عن قانونية رائعة هي الضابط الكوني.. **الذي يعلل سنن القدر ويصرف الوقوع في زفائفه وتفاصيله بالعدل الاسمى ..**

– فليس في التاريخ كله ولا في الوجود كله خارجة واحدة عن طائلة ضبطه او شاردة واحدة.. **انه نظم الكل بلا شذوذ..**

وهذا الاسلوب قد تعلمه الفريقان – الفريقان الماضيان في التزوير وفي البطلان –

– لا من حيث انه قيد الانتهاب بلا حارس..

– ولا من حيث ان الفريقين يتنفسان الاستطاعة ويستطيلان بالقدرة ..

ولكن من حيث عفوية الاسلوب في ضبطه ..

ومن حيث ان قدريته تنقلب قضاءاً لازماً منصباً لا مرد له..

ومن حيث ان تساجيل نفوذه في الوقوع قد عبرت عنه،وحده،وعن عدم سواه، لازماً ومتعدياً .. تعبيراً جامعاً مانعاً ..

ومن حيث ان الوعي الامكاني ، في مقابلة العفو ، هو العبارة كذلك عن فقهه

والتعلم عليه .. او المضي في تكذيبه مع التزام تزويره وتقليده ومحاكاته وادعائه .. وليس بطرف غير ذلك ..

(فهو الذي يضطر ويجبر الفرقاء الى ان يعينوا فريقيتهم .. وهو الذي يضطر الافراد والمشيئات المخيرة الى ان تصف في واحدة من تلك الفريقيات(١)..

لكي ينالها ما ينالهم ، ولكي لا ينالها إلا ما ينالهم . فتنتظم جميعاً في جبره باختيار .. فيحكم كل بنفسه لنفسه او عليها (٢) – خياراً لا خيار مثله ، وجبراً لا جبر نظيره .. **وعدلا تملكه المشيئة الصغرى فتكتبه على المشيئة الكبرى.. عدلا لا عدل بعده ..)**

هذا الاسلوب .. قد تعلمه الفريقان ، وأي علم ، لعمر الحق ، ألزم طائراً في عنق ، وأشد إحاطة بالمرء ، بكل ما هو المرء ، من هذا العلم .. انه علم تتعلمه برغمك لا يخليك .. بل إنه علم ، لا تعيش عمرك الا فيه .. يعلمك ويلح عليك .. ولا تظفر من كل ما تعيش او تعلم الا بما هو هذا العلم ، والا بما هو وحده لا سواه .. (فليس له قط من سوى او غير)

اما الانسان **فيتركك ، برغمه ، أن يعيش ليفعل أن يتعلم**.. او هو يعيش في التعلم .. (لأنه هو المقصود) وليس يتعلم في العيش (لأن العيش مقصود بغيره) .

وإذ كانت المعرفة هي المقصودة .. فالأبليسية المادية تحيلها عيشاً هو المقصود دون المعرفة أو بوسيلة من المعرفة .. كما أحالت تعاليم علم القيمة مادية .. ذلك هو التكذيب والانتحال ..

---

(١) ــ حديث قدسي (ان الله قبض قبضتين، وقال هذه في الجنة ولا أبالي وهذه في النار ولا أبالي)

(٢) ــ (..اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) آية

والمثالية تحيلها تعلماً في العيش (الشك)

– والانتحال ، وحده ، دون الحصول والوقوع ، هو المفسد المبطل .. لانه هو القسم الباطل من الوقوع .. الذي به الوقوع هو الوقوع .. والذي بـــه يبطل الوقوع ..

وفي الاصل من العلم والعرفان ، – كما في كل مدرسة ، وكما بين كل تلميـــذ واستاذ .. – ليس من فرق ، الا في النية ، بين الانتحال والادعاء وبين الخضوع والانصياع .. والتعلم اخذ عن المعلم ، أخذ اضطرار واجبار .. ليس فيه طارفة اختيار .. الا ما تعلق منها بهجران العلم والمعلم بالفرار ، فالثـاني جهالة ثم ارتداد الى انجبار .. الى حضن المعلم الاكبر الذي هو الشقـــاء .. الذي يصنع ، من بعد ، التصديق ، او الاصرار ..

اما الاول فمنذ تطرف هذه الحرية .. لا يعود التعلم تعلماً .. ولـكن احصاء على التعلم .. وشكاً فيه .. ثم تصديقاً باصطناع جدة من البرهان كان التعليم غنياً عنها .. او تكذيباً ثم تراثياً .. فادعاءاً لما كان نفس العلم .. لا سواه ..

كل مـا في العيش والحياة والطبيعـة والـكون تعليم للانسان .. ركب مجـانسة [1] تعليم .. وصنع كما لو كان اسلوباً للمعرفة .. والفعل من العيش اول تعلماً من البيان .. فمنه انجيل آخر وقرآن .. ينزل مع القيمة كل لحظة زمان .. في كل مدى مكان ..

ليس من فرق ، الا في النية ، بين الانتحال والادعاء (التكذيب) ، وبين الخضوع والانصياع .. (التصديق) ، والنية موجهـــة الانسان ، دون الواقع والحصول .. لان الواقع شفاف عن القيمة .. وعن المعرفة ..

---

(١) ــ انظر المقدمة .

ان النية الخيرة مولود الاقتدار .. والاقتدار نبع العرفان .. ، والمعرفة عند الانسان ، نبت التعلم .. وما احوج التعلم الى الاستجابة بالطاعة ، والى الاعتراف ..

وكلا التكذيب والتصديق صانع ما هو اتجاه الانسان .. وما هو عنده ، من بعد ، الفكر والنية .. وكلاهما – ان لم يزدوجا فيكونا هما « الشك » – تحت الضابط يجري الاول الى خسار وتبار .. تلده النية المجرمة ويلدها .. والثاني الى الارتفاع الى الوحدة مع القدر وهو العلو الشاهق .. الذي لا يولد .. ولا يحتضر .. اذ هو طبيعة في النية الخيرة .. طبيعة خلود لا ميلاد ..

القضـــاء والقـــدر

الواقع من القضاء
تواقيع القدر

ان القانونية الرائعة ، في هذا الضبط الكوني، الذي قلنا انه يعتلي منبر القدر ، قانونية اقامة واستمرار .. وهي وحدة اصالة .. ومؤيدها فيهـا .. في تصريفهـا الوقوع في تفاصيله .. ، في فعلها .. وفي القضاء على الخطأ ومواليد النية المجرمة .. والقضاء هو واقع التنفيذ لقانونية التقدير (القدر)

لقد تعلم الفريقان الاسلوب تعلم انتحال .. او تعلم فقه ،

فالمثالية سجلت ، مع اخطائها الضرورية ، لنفسها الفقه وكتبته على نفسها .. والمادية اختارت الانتحال (١) .

فكان من قضاء القدر، اي من تنفيذ القانونية الرائعة ، هذا الذي سنرى.. وهو

مؤدى الحال في سياق المآل:

١ – للمثالية :

أ – الوعي والتعقيب والمنطق والفقـــه واستنتاج الشرائع والقوانين الموضوعة ، والاخلاق (في وهم الخيار.. لا في حق الجبر) وما الى هذه..

ب – الشك البشري

---

(١) سنرى في « كتاب الوجود » ان المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية قد ابتلعتا « الاسلام » انتحالا كما ابتلعتا كل معرفة بالانتحال.. ، فعادت المعارف كما أض الاسلام خطأ بالانتحال والانقلاب به الى مادية اي ترسيب .. بمجرد نكران صاحب التعليم .. انظر الفهم المادي كيف هو ، في ضلال الانتحال ، يتوهم افتراق المسيحية عن الاسلام .. فالاسلام عنده ثورة مسلحة تنشد الحكم والسلطان (فهم المادية للجهاد) ، والمسيحية عنده استكانة وجماع مذلات ..

٢ ـ وللمادية :

أ ـ الانتحال والادعاء .. والكفران والغشم والاستبداد

ب ـ الدول والحال

واننا في هذا الكتاب لمتحدثون عن : أ ـ الوعي ، و: ب ـ عن الشك البشري الذين هما حظ المثالية .. ، اما حظ المادية فهو من « كتاب الوجود » .

أ ـ الوعي وفصيلته

ان اشتغال المثالية في القانونية والمنبثقات التي ذكرنا ، هو من نفوذ الجبر ، قضاءاً على المثالية ، يتم بالمثالية واشتغالها .. ولكنه قضاء مختار .. أي معسكر من معسكرات الامر .. يصح الفرار منه الى معسكر آخر ضمن نطاق الجبر ..

ليست تبعات المثالية على أعمار الاشتغال حق عرفان .. فأنها ، في التصنيف الآخر ، وثنية عرفان ..

هي كنيسة الصلاة وصور للابن وللعذراء .. وليست كلم التعليم والصلاة ، ولا ذات العذراء ، في نذرها العمر ، هدر ذات .. او ميلاد العصمة الجازمة ، بالرفعة من العصمة ، وبالرحمة ، من قوة العصمة ، ضعف الخطاة ..

هي صناعة من العرفان لا ذات العرفان .. **تمثال البطل لا البطولة في العنفوان** .. وبعد .. هي إجازة لاحقة او تقرير .. وهي الشهادة المدرسية لاكل العهد المدرسي .. ووثيقة الاعتبار لا انطلاق العبرة ..

انها محاولات ناجحة للسجل من التدوين والتاريخ .. لا للفعل من التاريخ ، ديوان واستهداء .. لا انتجاع وإمداء ..

انها تحصيل واعٍ للتعليم الحاصل تعلماً ، عفو تعلم ، عند الايمانية .. بالايقان..

لنأخذ الشرائع الموضوعة مثلاً :

١) انها تستقي من منابع معروفة ، ترتد كلهـــا الى الثنائية التعليمية ..

– العلم والعمل .. –

واذ كان هذا الارتداد غير مباشر .. ،

واذ كان مدخولا بالشك وبعض الانتحال ،

– كانت العلاقة مع الثنائية التعليمية ، تحت التراثي ، علاقة اختيار ..

ان التعليم يُتقبل كلا (١) لا خيار فيه .. ، لا بعضاً مع الخيار .. ، كما رأينا وكما سنرى ،

– فالارتداد المثالي ، اذن ، ليس ارتداداً حقاً ولا تقبلا حقاً ..

ان الشرائع الموضوعة تتحدث عن الماضي ..

– اذ تكون هي تأريخ التعامل المبتدع ارتجال تعامل .. (التعليمية العملية – توأم التعليمية) ، هذا التاريخ المصوغ تقنيناً ، لا قانونية ، هو مثالية تقنين لا اصالة قانون .. وتاريخ لا شريعة ولا روح قانون ..

– وإذ تكون عبارة عن ملاحظات عن الخلافات في التعامل وعليه ، فقياسها قياساً في غير مقاس على المعضلات من الخلافات .. فالفصل فيها جملةً بعبارة قاصرة تسمى ، تسمية ، قانوناً ..

وبهذا تصبح الشرائع الموضوعة قضاءً بالجملة على التفصيل .. ، قضاءَ جملة تشذ عنه كثرة من التفصيل .. قضاءً ليس فيه احتكار ولا احاطة .. ولا اسر من الجبر الشامل .. اجل تصبح الشرائع الموضوعة ، لا شرائع .. ولكن قضاءً على ما لم يقع بعد .. قضاءً بالجملة يتوزع بالتفريق ..

وتصبح .. لا روما سديد المنافذ قديراً على التخلل بالحلول شعب الحادثات

---

(١) – « يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض .. »

حلولا عدة لا تعبر الا عن وحدة الحق وجبرية لزومه في كل منعرج وفي وجه كل شرود .. **ولكن .. هنوطا** متهالكا يعبر عنه **تاريخ الموت او صوت التاريخ ..**

– وهكذا تصبح الشرائع الموضوعة تفعل :

– تقنن قضائيتها المليئة بالاخطاء ..

– وتقضي قانونيتها بمزيد من توالد الاخطاء ..

ويصبح الفصل (القضاء) المخطىء القاصر ، هو الشريعة الموضوعة .. ، سواء كان هذا الفصل قضاءاً في خلاف بين الخصوم في المحاكم ، او قضاءاً في خلاف بين النظريات وعديد اطرافها ..

ويشبه هذا ، الاخير ، ان يكون **قضاءاً للذات على الغير .. قضاء استبداد ..** ألم يقض ، في الاصل ، قضاءه بين شكه وبين التعليمية ..

وهكذا تفعل الموضوعية التشريعية في المثالية :

– **تعطي اجتهادات رجال المعرفة** وآرائهم على اختلافها وتنازعها صفة **القانون** وصبغة الشريعة بالتسمية

وتعطي للطبقة التالية ، أي **لقرارات المحاكم العليا** واجتهاداتها ، وهي وشل من الوشل .. ، **صفة الينبوع للشريعة المقبلة** .. وأي ينبوع ؟! الينبوع البيزنطي الذي لا حدة فيه ، ولا ثبات اصول .. ولا أصالة .. – الا الوحدة والثبات والاصالة المصطنعة من عبارة القانون الجديد الانشائية .. ، تلك التي تسلك عديد المجاري والتيارات في هبوب متحد اتحاد سقم وتنافر .. **اي** تسمية اتحاد .. ، لا حقيقة اتحاد –

٢) – انها تقصر عن المستقبل .. فلا تستطيع القوانين الموضوعة ان تعبر عن روح ، وراءها ، للقانون ، روح حق مستغن مغن .. ، ولا هو يستطيع منها ان

يدها .. الا غرار مدد ..

– لان هذا الروح الذي يسور الشريعة ، ان وجد ، روح ماضٍ محنط بذات نصوص الشريعة التي هي ، في الاصل ، حنوط او موات تعليم .. من مطروحات القيمة .

فالشريعة الموضوعة وروحها متقابران متدافنان يعيشان رثاء الناس لا حق العيش وبالقدسية من بظنة التسلسل الحي عن التعليمية السابقة المقدسة الحية .. حياة وهمٍ عند الغير ، بالحظأ من الغير .. ، لا حياة ذاتٍ بالذات الحق الكائنة المتعدية السارية ..

– وهي لن تستفيد من التعامل المبتدع الجديد الا رثاءاً من الاستفادة ، هو الصورة من رثاء التعامل الخاطىء .. المنحدر من فهم عن الشريعة ، هو انها عقبة للاجتياز وجسر للمرور الى الخطأ والافتئات .. وهذا الفهم هو ذات الفهم المثالي الاول (الذي اعتمد نفسه وكذب التعليم) ، يترادّان – الواحد الى الاخر .. – ليعودا ، كما قبل الميلاد ، شيئاً واحداً هو ، من بعد ، الكثرة من الخطأ ومواليد الضلال ..

– وهي لن تستفيد من التعامل المبتدع الجديد الحق (التعليمية العملية) لانها لا تفهمه من روح توأمي التعليمية .. ولكن من شائبتها الاولى (الشوب المثالي – الذي به المثالية مثالية ..)

وهي لا تثبت في الزمان والمكان إلا ثبات الموت . هذا الموت الذي ، بانه الموت ، ترك للجبرية الرائعة ان تقضي قضاءها في التعامل .. بنفوذ غيبي غير مدرك ..

كفاء أن المشترع لهم رفضوا نفوذ التعليم المشهود .. ان يكون عليهم بالرضوان .. وصدفوا عن الصراحة في التعليم المنزل ..

لن تثبت الشريعة في الزمان الا أن يكون الواضع وما يكون هو الواضع **من اصحاب الجناح على الزمان**.. نبياً او صديقاً او قديساً..او هو تحت الالهام الذي هو مس القيمة انفعالا بالتعليمية ..

من هذا الذي تقدم وبه .. ، ما تنفك الشرائع الموضوعة تعبر ، وعند كل حادثة – كل حادثة فيها عنصر جديد – عن فقرها وقصرها ورجعيتها..فهي اقتراح دائم للتعديل لا شريعة .. وهي للنفي .. (اي هي نفي نفسها) دول نفي .. اكثر مما هي اي حياة لنفسها .. وهي ، بعد ، مصدر الشحناء .. اكثر مصدرية من الخلافات والقضايا الواردة على القضاء .. وهي ، اقتراح للرجوع الى الاصالة التعليمية .. لان هذه ، من قبل ومن بعد ، مصدر من الدينونة ، وبها الاقتناع والحسم اللازم العادل الجبار ..

تستفيد الشرائع الموضوعة وجودها من انها ابتعاد عن روح الحق والعدل ، فانتساب اليه انتساب ابتعاد .. وهو سلب وجود ، او قصر وجود لا وجود ..

هذا هو وجودها : عبارة رياضية .. كم يصلها ، على البعد ، من شعاع التعليم ؟ وكم تتقبل وتمتص من الشعاع دون ان ترده .. (مقدار النور منه ، لا مقدار العتمة فيها) .

وعلى هذا فانها تستفيد وجودها السلبي بانها حجة للفريق المتلوّم الطامع بـ :

– باكثر من العدل – كثرة من الظلم والاحتياز ..

– وبابعد من الحق – بعداً عن شعاع التعليم ..

– هذه الحجة التي تعطي فريق الطمع تعللا بسيف الشريعة الموضوعة ، و « حقوق » هذه الشريعة ..

معرفة الحق – طاعة في السلوك – الحق في القضاء

١ – الوعي في الاسلام

خذ الاسلام مثلاً في تعاليمه .. – في حقوقه غير الموضوعة – انه شريعة ينطلق معها القضاء من انطلاق الحق ..

قال قاض في صدر الاسلام « تلك كما قضينا . وهذه كما نقضي »

– ما اكثر ما يترك قضاء الارض لقضاء السماء .. ذلك بان قضاء الارض ، زيادة عن انه ربيط الشريعة ، ما ينفك ينطلق تحت قضاء السماء . هذا القضـــاء الطلق الذي تصلح به الاخطاء ..

ألا ان جور الارض يمسح عليه عدل السماء ..

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » (١)

لماذا قال القاضي مقولته تلك؟ التي ظاهرها الاستبداد ، رثاءاً من مظنة الوحدة بين الحادثين المقضي فيهما .. ، – هذا الرثاء الذي يُبدي انه ينكسر عليه القضاء عن الاندفاعة بالشريعة ؟!

لان انطلاق الحق .. فيه العفو من معنى الجدة في الوقائع – هذه الجدة الحاصلة من مس القيمة .. فتلزم عنها الجدة في تصرف القضاء ..

ان هذا التصرف نفسه يواسي معنى سبق الحق وسعته .. وهو ، لذلك المعنى ، تصرف يتبع التقدمية بالحق .. خلف الحصولية من مس القيمة ..

---

(١) الاية .

ولماذا اجاب عمر – عندمـــا بده بالسؤال : « أفراراً من قضاء الله ؟ »قائلاً: « اجل الى قدر الله .. »

لقد حُصر عمر بوهم من قضاء القدر .. لا بمـــا هو القدر .. **فليس القضاء في القدر ابتداء تصرف قاصر يحجزك حيث انت .. انت بالقدر، سبق شمول طائل يلحقك حيث تكون .. فلا تفر منه الا اليه .. بطيئ فيك .. هي منه عليك .. طول مالك فيه حول ..**

لقدبده عمر بقيد لا يقيده ويقيد القدر .. بل بقيد يذل القدر ويطع بالهمة في المدى ، وبمـا هو الا نطلاق .. فصرخ عمر تدوي من صرخته الشريعة والحق والانطلاق .. فكانت كلمته هي ذات السعة في الانطباق على ما هـو القدر بلا نطاق ..

القدر هو الذي تتحداه جهدك وجهد العالمين من التحـدي .. ثم لا يكون ، رحابة ، الا ان يعمك والعالمين .. ويرحمك وانت محاصر في قلب تحديك ..

هذا مثل عن فهم التعليم .. طباق التعليم ..

وهذا قضاء قضى به عمر من الشريعة ، في معضلة عـامة من الحقوق العـامة توقف على القضاء فيها ميزان القدر ..

من يدرى ماذا كان في جبر القدر ، لو اخطأ عمر وكتب خطأه على البشر ؟!

من يدري اليوم ان كان يؤرخ الزمن شيئاً من تلك السير !!

هذا قضاء كان حق القضاء .. وقضاء الحق .. فما كان عمر شارعاً وليس من حقه ولا من حق سواه ان يكون..

وكان عمر علم العدل وموصوفه .. ومع هذه العلمية والوصفية هل ينطبق عدل عمر قضاءاً وتصرفاً وفهماً وغيرها على ما هي الشريعة ؟! استغفر الله.. لقد عثر عمر في الفهم والتصرف والقضاء وغيرها جميعاً ..

ولكن عمر كان يحج فيخزى .. خزياً من الحق اذا حج .. وما اصرار عمر ، كلما اصر، الا زعماً حتى ينقضي بالحجة.. ويخنع عمر قبل انقضاء الزعم ، لانه يكون منذ بدء اشعاع الحجة ، قد اخذ يعاون على نفسه ولكن زلل عمر له اعذار من الجاهلية والنشأة والبنيان ..

علي

ولعل علياً سلم من هذه جميعاً .. فكان صباراً على سعة الشريعة يعي ثم يعي.. ومتحملاً حرجه من مدعنفوانها ووطأتها طيلة مسيرته وملؤها الانطباق على ما هي الشريعة الا ما بدر .. ولولا هذا الذي يقوم بما هو علي .. وعلي قوة وعرفان وسيف (اي نفوذ) ، لاعادها جاهلية تجثم على صدر الاسلام.. لا يطرف فيها التسامح .. ولأحالها، باسم الاسلام، لا بمسمى الاسلام ، كما احالها معاوية ،دولا من الشريعة، واعتياضاً عنها ، وروحاً من البغي والتغلب لا تتطرق اليها الاموية من معاوية ولا غير معاوية ولكن علياً اراد ان لا يكون الا نفسه ... تلك التي هي قيد الشريعة وقيد مسمى الاسلام، ولو بان يظل معاوية نفس معاوية ..

هذا جبر الدين والشريعة .. ان خطأ الغير لا يبرىء للذات الخطأ ..

اما الباقي فعلى الله .. ، **« ان للبيت ربأ يحميه »** وانها وان تكن جاهلية عبد المطلب في ايمانيته ، لو انها جاهلية ، فهي اخت مسيحية المسيح : **« اعطوا ما لقيصر**

لقبصر وما لله لله .. » انهما الثورة في الرضى .. والايجاب في السلب ..

وابلغ العنف من التمرد في السلام .. اذ السلام ضرورة، وهي، بعد ، عبارة الآية « إنا انزلنا الذكر وانا له لحافظون »

إيمان يروح اقطار إيمان .. فما شأن علي فيما هو من شأن الله ؟! ولماذا لا يحصن عليّ من الزلل خطوة خطوة ، إلا ما بدر ،؟! وكيف هو الخطأ في طريق ردع الخطأ ؟! أيبطل ان يكون هو هو الخطا ؟!

لولا سلوكية علي مع ما هي الاموية لرفعت الاموية القناع الاسلامي عن وجه جاهلي اعمى .. ولكنما رضي علي للاسلام على نفسه وطاب عن بعض الاسلام .. لمعاوية قانعاً ان يظل النزاع اسلامياً .. لا يتطور بحيث يسفر المقنعون .. ويقح المستحون .. لقد كان علي لله على نفسه ..

فداري لله ، ليتسلم الاسلام الى جيل من الكثرة وطيد فيه الاسلام عن جيل من القلة تتنازعه الجاهلية الاولى والاحساب ..

ان رجل الامبراطورية ، ان كانت بالمعنى الذي نريد .. ، هو علي وليس معاوية .. كما يجهل التاريخ .. فالملكي حقاً .. هو الملكي اكثر من الملك .. ورجل الامبراطورية هو رجلها على نفسه وعلى جيله .. لتتسلمها الاجيال امبراطورية .. لا ليكون فيها هو الامبراطور ..

لقد كان جناح على على المستقبل جناح أضواء للغد .. مشارق ومغارب .. تحت بصره ورؤيته

بلى .. لقد كان الغد تحت جناح علي ، ابداً ، قبل ان يخفق بأمره كل من

إن لم يكن هذا وعياً .. للقيمة الاسلامية .. انه الاتحاد بالله .. والمصير اليه في الدنيا قبل المصير .. **لفر فرار على في الله** .. وسقط ما بدر من علي على ارض الله .. يضيع عن علي ويتبدد ..

ولقد اشترى عدو علي ، بالله كله ، بعض ما لقيصر ..

ليس التاريخ ما كتب .. انما التاريخ ما يظل يكشف ويعلم ..

ان التاريخ خلف المعرفة .. ولكنه ان ظل يتعقبها .. فانه يزيد .. ويظل يزيد ..

عود الى عمـــــر

نعود الى عمر .

جاء عمر ابو لؤلؤة يشكو المغيرة مولاه .. فرده عمر الى المغيرة .. وامعن في رده وصلب في قضائه .. حتى قال ابو لؤلؤة ما معناه : ان عدل عمر وسع الناس جميعاً دونه

اما إن كان المغيرة يريد عبداً عبداً .. لقد عرض عليه ابو لؤلؤة انداد العبد العبد فدية عن نفسه .. ولكنّ ابا لؤلؤة كان ، من جانب ، عبداً سيداً .. فهو مستطيع استطاعة السادة ان يشتري العبيد .. فوق استطاعات لم تكن للسادة .. في زمانه .. غير ان للعبودية دولا .. ولا دول المادية .. — فكل ما يملك العبد وما يستطيع .. وكل ما يشتري الفدية من عبيد .. حري ان تستلحقه العبودية الاولى .. لا استلحاقاً .. ولكن ان تتضمنه العبودية الاولى في الضمن .. بديالكتيك لا ينتهي في مكر المغيرة .. هو سور الابدية من العبودية ..

اللهم ليست هذه فكرة الرق .. انها شيء آخر .. انها قدر الالوهة .. اللهم

وليس المغيرة آله أبي لؤلؤة..

وفي وهم عمر وحسبانه عن الشريعة ، لسنا ندري ما هو الرق .. فهل نسي مقدار العبودية في الرق ؟! روى ابو ذر قال : سابيت رجلاً – يعني بلالا – فعيرته بأمه ، – وكانت أمة – فقال النبي : « انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم ، فمن كان اخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فاعينوهم . » – لا « خولكم اخوانكم .. » امعاناً في التحرير ضمن بقاء الاسمية من الرق في الآن .. لا في الزمان .. وتقريراً لكل الوضع من الواجب والحق

– وهل نسي عمر ان الاخوة نفسها الغاء للرق قطعاً من الالغاء ، ليس ينقصه الا التنفيذ .. فيه الطلب والرجاء منابأً عن الامر المبرم بالايجاء .. والتنفيذ على المأمور لا على الآمر .. او هو التنفيذ بالقضاء .. ذلك الذي انتصب له عمر .. ولم تكن تنقص عمر القوة .. ولكن نقصه ان يحيط .. ولو قضى عمر لابي لؤلؤة في هذه بعينها ، لتغيرت روح التاريخ ..

كيف ؟ لو قضى عمر على المغيرة لما خسر المغيرة ولسويت القضية .. فلم يك يُقتل عمر .. ولم يداخله من مقتله ، ما داخله ريناً على سابق اطمئنانه وعزمه .. ولطال عمره في الاطمئنان والعزم .. فلم يحتط بالشورى (الشورى التي هي سبق فجاءت من عمر لحوقاً متأخراً نبع عن اتعاظ)

أجل .. لما احتاط بالشورى كما اخطأ يوم السقيفة .. حيطة الجزع الذي كله اجتهاد على خوف من الله .. لا على اطمئنان .. ، ولجاء الاستخلاف او غير الاستخلاف عزماً من العزم بعد زمن من الحكم .. وعهد من الجزم .. تقرر فيهما ان لا عبودية .. وان لا ضيق في الحق ..

لو انه فعل .. ،لقدكانت تتسلم التعاليم الى الروح الآتي وضوحاً لا إظلام فيه ولا تعتيم .. ولقد كانت تموت الجذور من الحسبية والسيادة بغير الحق .. ولكانت

تصرفات الاموية او غير الاموية ، من بعد ، بريئة من التآمر على الاسلام..وبريئة من الاسترقاق المُملين الذي باشره موسى بن نصير .. على عباد الله وإمائه من المسيحيين والمسيحيات المؤمنين والمؤمنات .. الناجين والناجيات (١) بنص التعليم الاسلامي ..

ألم يتحول معنى الاسلام في وهم المسلمين الى مادية استرقاق واحتياز .. ويتأكد ، من هذه الوقائع ، وَهْمُ الاسلام لا حقيقة الاسلام ؟

ألم يجد عمر ، قبل خلافته ، على خالد بسبب ظاهره وباطنه شبيهان بالظاهر والباطن من ملابسات القضية بين المغيرة وابي لؤلؤة ؟!

وهل نسي عمر ما ندب له الارقاء من جلائل الاعمال .. ام هل نسي ذلك الحصار الرائع الذي انصب ، من كل حدب وصوب ، من الآيات والاحاديث والساوكية (السيرة) على الاسترقاق ..

لنقل ان عمر قد ضل العمومية من التشريع .. وغاب عنه روح الشريعة .. في ضيق القضاء ، في هذه القضية ..

فلننظر في الخصوصية من التشريع ، وفي هذه القضية ،

لو كانت العمومية ابقاء على الرق .. لكانت الخصوصية من ابي لؤلؤة والامتياز شذوذاً صريحاً يتطلب خروجاً من العمومية الى الخصوص تحت طائل خصوصات القانون نفسه او بطائل من ضوابط اخرى ..

هل في الخصوص من عمومية الابقاء على الرق امر صريح ؟!

جاء في القرآن : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم . »

ولقد غاب عن عمر الامر « بالمكاتبة » امراً من الأمر .. ينفي الاصرار على الرق .. فبالمكاتبة نستطيع ان نستبدل عبداً بعبد .. ونستبدل مالا بعبد ..

---

(١) – ان الذين آمنوا والذين هادوا ، والنصارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الاخر ، وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . » – سورة البقرة .

وجوب استبدال .. ناهيك بعبد مستطيع .. له من ذات الاستطاعة فكاك وحرمة وحق .. فهو هو السيد .. فلماذا لا يعدل عمر ؟!

أتشيعاً للمغيرة ؟ اللهم لا ونستغفرك ..

انه الحصر الذي عرف عن عمر ، والضيق والحرج والتزمت .. وكلها ، من خوفه وخذلان نفسه ، في الله ، اثر او بعض اثر .. اما الخوف والخذلان فمن ارجاع الجاهلية حاضر في نفس عمر .. تقترن بالاسلام .. ومن دول الحال .. ومن بقاء شي. من «السياق» في « المآل » .. يرتد به المآل سياقاً ودول حال ..

لقد طعن ابو لؤلؤة ، باليأس الذي صنعه له عمر ، خاصرة عمر .. ليروح الخطأ عن عمر هو الطعين الميت في الشهادة من الحياة .. فليس عمر الا قاضياً (١) فرداً .. من القضاة الافراد الذين هم في الجنة .. ولن يكون توأم قاضيين من القضاة التوائم الذين هم في النار ..

ويأبى القدر الا ان يرسم عمر الشهيد خوفاً خوفاً .. ، وعمر « الخوف » هو احد عمرين أيّدين ، اختارت كفة ميزان القضاء رجحانه .. على عمر الذي لايخاف .. ليعز به الاسلام .. وما يرسم عمر القضاء رسم اختيار وترجيح .. الا بما يرسم عمر الخوف من الله رسم اختيار وترجيح ..

– لئن كان عمر من قبل ارادها – اي الخلافه – لابي بكر .. ثم رضيها لنفسه .. فلماذا هو يأباها على ابنه من ستة يدسه فيهم دس حرمان ؟

– ولئن كان محمد ترك ولم يستخلف ، فلماذا هو – عمر – لا يترك تركه ..

– وان كان ابو بكر استخلف واحداً ، فلماذا هو – عمر – لا يستخلف واحداً ؟ ولماذا يقسمها بين ستة بما يشبه قسمة الازلام الجاهلية ؟!.

– فأن أعاه الامر شورى ، كما هو حق الامر ، فلماذا عين اهل الشورى بعقدة من شروط ؟!. ولماذا عينهم من اهل الخلافة .. وجعل شوراهم على الخلافة – على

(١) – ورد في الحديث : « قاضيان في النار وقاض في الجنة . »

وحدة الخلافة – لا على موجبات الخلافة ؟!. ولماذا عينهم ؟ وهم ، عنده ، مراتب مقسمة تخرج من تقسيمها الى انهم ، عنده ، ليسوا من اهل الخلافة .. ولكن من اهل النزاع عليها..

انها الرهبة والخشية من عمر .. والضيق والحصر .. لا التعدي ولا الافتئات ولا الصعر ..

لقد كان قاضياً لا يرغب إلا في الله ولا يخاف الا من الله .. ولكن الخوف غطى على الرغبة وازداد ..

اللهم اغفر لعمر .. فان القضاء قد رسم من القدر ليمسح على الخطأ من عمر.

لولا ابو لؤلؤة لهلك ،حقاً، عمر ..

عود إلى علي

علي كالميزان عفواً ووعياً .. عفواً على وعي.. ووعياً من عفو .. الا ما بدر والعصمة لله وحده

لو جاهد علي ابابكر في زحام الخلافة لأخطأ.. ولو ازعج عمر في سجام الخلافة لأخطأ..

– ولو زاد في سيرته مع عثمان قيد شعرة لأخطأ ..

وعليّ لم يفعل شيئاً من هذا الخطأ..

ولو فهم علي عائشة بما هو حق عائشة « ام المؤمنين » المرأة التي أحبها محمد ، الذي لا يحب عن هوى ..

ولو داخل ابا بكر وعمر بما هو حبهما لمحمد .. لا بما هو خطأهما من التسرع في البيعة – الذي هو في الأصل خطأ أنصاري من اخطاء الجاهلية الانصارية..– في غير محضر من أهلها .. ان حقت او كان لها أهل معينون : –

– لما كان علي الا نبياً بعد محمد .. لا خليفة لمحمد.. ولا موضع خلافة ..

– ولما كان علي الا بحيث يكون الله قد فرض له وعليه النبوة في أم الكتاب سبق فرض ، او تعديل بعدية ، ولكن العصمة لله ..

ذلكم هو علي .. وانه ، حقاً ، لمسماه ..

٢) ـ خذ العرفانية الانكليزية وعقليتها وفقهيتها مثلاً .. فهي ،فيما نعلم ،في كثير من جهاتها، اقرب شيء الى الاسلام الا ما تعمدت من شذوذ

خذها مثلاً في فهم روح الشريعة وفقهها .. من حيث العدالة .. ومن حيث الحرية:

أ) ـ العدالة : ـ التشريع والقضاء

ان العرفانية الانكليزية لا تريد شريعة موضوعة تغل القضاء فهي ، اذن ، في مفهومنا، لاتترك الروح اداة شلاء.. فالروح من العدل قائمة في دماغ القاضي، وفي فهمه ومعرفته ، وهي قائمة في مبتغى القاضي ونشدانه .. لانها في راينا الجملة من حصالة الانسانية فيه فقهية وادبية واخلاقية ـ وهي قائمة ومتشخصة، قيام حياة وتصرف..

(لسنا من الذين يصنفون الوضع البريطاني في صنف الديموقراطية ..

ـ فليست « الديموقراطيـة » على الوضع البريطاني الا تسمية لمسمى ما ابعده عن الديموقراطية !

(ان الديموقراطية شركة شحناء لا تشمل الامة.. وعاصفة بغضاء تلف الدولة وتلمها وتجمع فيهـا بين الحضيض والقمة .. بسبة واحدة ونقمة ،يظنونها ، في العالم المتخبط الضال، بركة ونعمة..وما هي الا التخبط والضلال زلة..

والديموقراطية هي قرعة الجاهلية ليخرج منها بالازلام مصلي العرفان ومجليه.. وهي تخويل الدهماء والغوغاء تقدير القـدرة .. وانتقاء الحكمة وتعيين المعرفة ـ اي اعطاء الشهادات بالقداح للفائزين بالتسمية انهم اكفاء وعلماء .. هي معرفـة الفضل من غير ذويه .. فهي مجهلة لا معرفة .. وهي ميسر ميسرة لا عمد ميمنة ..

ـ ليس شيء من هذا عند هؤلاء الناس ـ الانكليز ـ شيئية نظام ..وهو حيث كان عندهم ، كان شيئية خطأ .. في سياق الصواب ..

ليس القاضي عندهم ذليلاً للنص حيث يطع النص بما هو القاضي..ولكن النص دنو

قطاف واغتراف .. ان شاء تناوله القاضي .. تناول احتياج واعتراف .. وان شاء كان له عنه محيد ومنه مناص وانحراف .. الى ما يشاء .. فلا يقوم النص ـ ذلك النص ـ في مشيئته على انه النص .. لانه ـ اذذاك ـ لا يكون هو النص المطلوب .. وانما هو ـ في الحادثة ـ عن ما يقوم في ذهنه تحت التراثي هو الانخداع .. والنص ، بعد ، شيء آخر .. هو ما يقضي به القاضي .. تفصيلاً من الجملة ..

يخطيء القاضي ، في قضائه ، فلا يسكت هو عن خطاه وقد علم انه الخطأ .. في انتظار الخصوم والمحامين وما يحتجون من حجة الى المحاكم العليا .. وانما يكتب خطأه ، كما كتب قضاءه .. ، ويرسله توصية عليه معه ..

ـ وهذه حال هي سلب القضاء لا القضاء .. وهي ليست ما هو الرجوع عن القضاء .. وانما هي الحق من الابطال والالغاء .. بل المحو بعد الامضاء .. والتمركز من القضاء في ما هو الوراء قبل القضاء .. في عصمة من خطأ القضاء ..

قلنا ان الروح من العدل قائمة في دماغ القاضي وفي نشدانه ومبتغاه .. لانها عندهم في راينا ، الجملة من حصالة الانسانية فيه فقهية وادبية واخلاقية .. فهي قائمة ومتشخصة .. قيام حياة وتشخص روح او ذات .. قيام حياة وتصرف .. وتشخص ذات وتعرف .. فليس قيامها في الشرائع الموضوعة ، اذ لا شرائع موضوعة ، ولا في السوابق من الاحكام (التي هي مؤتنس القاضي ، والتي هي ، بالتقرب مما يظنون ، مستقى احكامه . وبالنظر مما نرى ، مستقى ولكن لا استقاءاً للتطبيق اوالصب .. ولكن للتعليم او التعلم والفقه .. (استمرار اتصال بروح الشريعة ..) فهي دليل الفهم ولافتة المعرفة .. ملء المستدل بها الحرية .. الحرية المتعلقة بذاتيته الخاصة والتي تحصل من التعلم من الاحكام .. لا من متربة الاحكام .. قيساً وانطباقاً وتفاصيل تقاطيع واجزاء ..

هذه السوابق من الاحكام .. وتلك التعاليم من الشرائع ، روح الشرائع والدراسات .. تبقى روحاً لا يتجمد بالنص ولا يحنّط او يحاط بالتفاصيل والقص ،

فهي ابداً تصنع المحصلة الذاتية عند القاضي.. تلك التي منها يقضي .. لا انها تصنع نفسها شريعة بحفنة مقددة تقتطع منها قرارات القضاء.. حتى تنفد منها المادة والمسكة والذات .. وتصبح هي هي الانقضاء ..

وهذه السوابق من الاحكام هي اقتراح يهب في نفس القاضي متجدد الاطوار لا عن سابقة واحدة .. ولكن عن كل السوابق ..

– فهي، من انها سوابق ..، مجتمع سوابق تكون .. اي كأنها اعضاء مجلس تشريعي .. للحادثة لتعطي لها شريعة خاصة هي عليها الشرع والقضاء .. فيصدر عن شوراه مجتمعة الحكم الجديد .. لبوساً للحادثة ..

– وهي، من انها ثبات المبدأ من العدالة..، تروح تقدماً في التطبيق.. فينسجم ما بين المبدأ الثابت اذ يملي .. وبين الحادثة اذ تتقلب وتعلي او تدلي ..

ان السوابق من الاحكام ، اذن ، ليست نصوصاً للتطبيق بالذات .. لانها من انها نصوص ، ليست الا اقتراحاً ، عند القاضي ، للتقدم عنها خطوات .. عند ما يقارف الحكم في حادثة جديدة .. في القضايا والحادثات الجديدة ، حديثة العناصر والتكوين .. وهي ، اذن ، بالنسبة لما يليها ، روح شريعة لا نص شريعة او هي موحية ملهمة .. لا قاطعة ملجمة .. ، والقاضي اذن ، فتى المعرفة ، كل المعرفة ، لا اخا النصوص مستقيمة او منحرفة ..

هذا الحكم ، او الخطوة التقدمية في الحكم ، يتقدم الواقعة (القضية) الحادثة بمنفرج وسعة من الحق كأنها جديدة .. ولا جدة .. وانما هي سعة السبق .. التي خلقت الظاهرة من الواقعة جسداً او تعميقاً في المكان او لبوساً للباطن من القيمة تحت الجبر والتراثي بثنائية آبدة يتم فيها امر الفرد الاحد في مثناه ..

وهذا الحكم ، اذن ، يكافىء الجدة في عناصر الواقعة الحادثة او يقصر قليلاً.. كما كافأ الحكم السابق ، الذي هو، في قضية، حكم من عيون الاحكام..، تقدمية عناصر القضية السابقة ..

– ذلك ان القضية الحادثة تتطلب خطوة عن تلك السابقة في الحكم .. لانها هي خطوة عن سابقتها ازدياد عناصر .. « اننا لا ننزل النهر مرتين – هيراكليت» (راجع التعليمية العملية – والجبر الذي يحكم في التعليميتين) – ولانها ، هي ، في عناصرها، خطوة، في التعاملية ، ابداعية من خطى القيمة .. ليست تعيدسابقتها ولا هي تكررها ..

– وفي المواطن المتقدمة ، اذن ، لا يصل القضاء الا معضلات القضايا .. التي تكون مشورة المحامين فيها غير نهائية ولا قاطعة .. فهي،عندهم جديدة،وقيد المحاولة والاختلاف والاجتهاد .. ولا يكون عمل القاضي فيهـــا تكراراً من العمل .. وانما يكون مزيداً من العمـــل .. مزيداً من التعميق .. ، ولا يكون عمله فيهـــا نوعية تطبيق .. وانما نوعية شد ومد وتقريب وتبعيـد ، حتى يسطع ما هو الحكم المرتضى من نشدان القاضي .. فاذا تم السطع .. فهو الحكم .. الذي ، في انه قضاء ، يكون جدة شريعة .. كأنه جدة نص من الشريعـــة .. ويتناول من روح الشريعة .. اجل يكون جدة شريعة ، في الظاهرة على قيس الحادثة شداً ومداً وتقريباً وتبعيداً .. على قيس عناصر الحادثة .. حسبان عناصر .. نقصاً من العناصر السالبة في الحوادث السابقة التي هي من مطروحات القيمـة .. ومزيداً .. ، هو مزيد من العناصر التي وضعتها القيمة وضعاً عملياً بالتعليمية العملية .. نفياً للمنتفى .. واثباتاً للاثبات .. جبراً محيطاً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة – من العفو الا احصاها باثباتها وتأكيدها بالوعي .. (استحضر الآن تلك المقولة : «تلك كما قضينا وهذه كما نقضي .. »)

ان مرام هذا المسمى من الدول (الديالكتيك) ، قائم في الشريعة الاسلامية قيامة خيرة وقائم ، بعض القيام في انكلترا ونافذ قبل الشيوعية وماديتيها .. وقبـل دول هيغل نفسه .. كما قام ، بنسب ، في كل ما هو التقدم الميتافيزي والعلمي في كل ما هي هذه الارض الدنيا .. وليس الفرق الا في الضجيج المفعول حول الظاهرة ..

والا في صياغة العقلية الشخصية شريعة شخصية وامراً يومياً غاشماً متحولا متناقضاً امسه وغده .. لقاء الاضطرار الذي تحت الاطلاق من الحق الازلي الابدي .. والانجبار في الانحصار ضمن وحدة نطاق الحق ..

ان وعي الظاهرة ودرسها شأن الذين لا يفعلون الضجيج .. اما الذين يضجون بالظاهرة .. ويرقصون حولها بجنون .. اولئك لا يستطيعون المقدار العالي من الوعي .. وهم ، غالباً، عبيد الحدوث والحصول .. ، لا ما وراء الحدوث والحصول ..

قلنا ان الدول قائم ونافذ في كل ماهو التقدم في كل ماهي هذه الارض الدنيا، وليس الدول من مكتشفات احد ..

وثمة فرق في الدول من حيث فهمه .. فعبيد الظاهرة والحدوث يرونه دولا اعمى لا عمد فيه ولا وراء له .. وليس يهدف الى الحدة مع القيمة (انظر تفصيل الدول في المادية)

واما من حيث التشريع فالفرق :

هو ان اصحاب العنديات التشريعية (طرائق الشرائع البشرية الموضوعة) تنخسهم للتقدم التعامليات .. (اي التعليمية العملية) اي التقدم التعاملي .. (هذا الذي في اسفل المحور .. والاسر الادنى ..) (السعيد من وعظ بغيره ..) فيقتفون اثره ويتعقبونه .. اضطراراً الى التقنين والتشريع بعد تكرر الظاهرة من الافتقار والحاح المذلة من مهطعات مواد الشريعة الموضوعة ..

والاجتهاد تحت هذه الحال .. اجتهاد قميء دجال .. وهو قط ليس اجتهاداً .. لانه اشبه بالتعلم بالتكرار والعصا .. او المسير بالنخس والطرق ، حملاً على المسير .. بل حملاً للسائر نفسه .. ويقتصر على انه اجتهاد في الحادثة ، اجتهاد تسمية ، لا ينبع (يدفق) ابداعية مكافئة للحادثة .. ولكن يسترجع ويمشي القهقرى في الامام .. فيؤكد افتقاره ويلد قصره واعتباره .. ثم هو لا يرى ، بالظاهرة ، الا انه يمشي .. ثم هو ، مع الاجتهادات الاخرى، موالد تناقض تمحي فيه الذاتية والثبات من الحق ..

في كل من الشريعة الآتية والاجتهاد .. فهو امتلاء من المنفيات .. ومطروحات القيمة، وهو فرض الرجعية مع التقدمية ذبذبة سيرة وسياق.. وعيش القهقرى والتخلف.. عيشاً اعشى، هو كعين الارمد مع شعاع النهار .. ما همه ان يصنع تحت الازدياد من سطع النور الا ان يتقي الشعاع والنهار والسطع.. حتى يعمى بما هو الازدياد.. وينتفي ..

هكذا يضطرون تحت التقنين الى الاجتهاد في الاحكام..ذلك الاجتهاد.. ويضطر التقنين الى تحصيل الماضي من تلك الاجتهادات القميئة على ضوء اشدنوعية ضوء..لا تكافئها قوة في البصر تحتمل الضوء، والى تحصيله اي الماضي شريعة جديدة موضوعة

ان لم يكن الانكليز (الحكام الانكليز) ايمانيين.. بانهم قد داخلهم من المادية دخل فانهم انحدروا من الايمانية التي بقيت لهم تقليداً عند الحكام..تقليد خطة.. واتباع وجهة .. على الدرب ..

ان لم يكن الانكليز (الحكام الانكليز) ايمانيين.. فقد سمحوا للعفو من مس القيمة ان يداخلهم ، من روح الشريعة ، في الاحكام .. من دخوله في الافراد الحاكمين.. – القضاة والساسة وخدمة الذكاء –

وقد سمحوا،تلقائياً، للعفو ، سماح وجهة .. ان يداخلهم مرتين.. مرة من التعليم بالتقبل..ومرة ، بعد كل تعليم ، بالتعلق بنبع التعليم ..

وقد سمحوا ، سماح وجهة ، للوعي ان يثبتهم مرتين .. مرة اثبات التعليم موعياً على برد .. ومرة ، بعد كل تعليم ، بديمومة اتصال بالوعي السابق ..

لقد كانوا شدة احساس بالحياة .. وهي التي تنال من مس القيمة بالعفو..

ولقد كانوا سلاحف بطء وامتصاص على نغم بارد.. وهي الحال التي يرسب بها العفو الى الوعي..،استمرار اخذ.. بلا نفقة او تبذير..

ب — الحرية :

هذا غير من مدلول الحرية .. ، ان قيس به مدى المفهوم السابق وضح مدلول الاسم القديم للمسمى الحق .. في مدى جديد ..

الحرية هي العبودية .. والاطلاق من الحرية هو الاطلاق من العبودية .. الطلاق فناء ما هو العبد في هي بقاء ما هو السيد ..

قلنا ان العدالة مسألة القضاء ، والشرائع (الموضوعة) ، في نظر الانسان ، جواب مسألة التوزيع ، — توزيع العدل ، بالطلب ، علي خصوص من الناس ..

— واذن ، **فالعدالة مسألة خصوص** .. وان ما وراء العدالة من الحق وشموله ، اذن ، هو العموم ..

اما الحرية .. فهي مسألة العمومية .. كما تبدو بالظاهرة ، مع انها في الحق الخصوص .. ولن تعم الا ان تصبح هي ذات كل الجبر والالتزام والقيود ..

ليس احد حراً حرية الله .. ولكن هل الله حر ؟؟

ليس الله حراً حرية تعسف .. فلو كان ، لكان عبداً .. عبودية غباء .. لانه لا تعسف في الحرية .. ولا حرية في التعسف .. اذ التعسف جهالة وغشم وعماء ..

لن يستطيع احد ان يلتزم ما التزمه الله .. وان يوجب ما اوجبه على نفسه ، انت حر ان تقول : **اله الله حر** .. ولكننا نرى ان **حرية هي الجبر والوجوب والالتزام** ..

يقول الانكليز في « حقوقهم الاساسية » ما معناه : ان الحرية ليست ، عندهم ، بما يعطى .. وكذلك فانهم يعتبرون الحرية قائمة راهنة .. فليس هناك من يعطي الحرية ..

ان المادية الروحية (١) ترى في هذه « الحقوق » هبوبا من معنى الحرية .. لا كمالا من مهب الحرية ..

لماذا هو ليس اكثر من هبوب ؟!

ان الحرية قائمة بلا ريب .. وهي قائمة في المعرفة .. واذن فثمة كثيرون يستطيعون ان يعطوا مما عندهم من المعرفة .. وضمنها بعض الحرية ..

ان الانكليز من حيث الحرية ، ومن حيث السياسة والمستقبل ، — التقدم — يعتمدون الذكاء .. ومسألة الذكاء هي مسألة العفو .. فالذكاء هو ، بالحق ، سبيل العفو الى الانسان .. وسبيل القيمة الى مس الانسان ..

ما هو هذا الذكاء ؟! (لن نبحثه الآن عضوياً ، فذلك من شأن « كتاب الوجود » ولكننا نتكلم عنه من حيث المعرفة). أليس الذكاء هو القدرة (الطاقة) على الفهم والتقبل والقراءات ؟؟ أليس هو القدرة على التقبل (الفهم) الجديد المستمر الجدة .. ثم ، اذا كافأه الوعي ، راح منهما التصرف الجديد المستمر انصياعاً للفهم وطاعة (استجابة) للتقبل .. وسرعة في الطاعة .. أليس هو القدرة (الطاقة) على الطاعة ..

ان الطاعة لعفو القيمة تتضمن فهم القيمة حالما تمس الانسان .. فهو هو معها الأنسجام .. ان الطاعة تتضمن الاحساس والشعور بعفو القيمة احساساً وشعوراً يكونان هما الاستجابة .

لقد استعاض الانكليز، عملياً ، عما فقدوه نظرياً .. ذلك انهم يقدرون الذكاء وحق الذكاء ..

— فيكونون قد قدّروا ،ضمناً ،ان ثمة ،الى جانب قيام الحرية ،عطاء آمن الحرية ..

لا ريب في ان الحرية من الذات وفي الذات مسألة اكتمال صفات ، لا سبق

---

(١) — المادية الروحية في « المدى » ، وهي رسالة عامة يتخصص « مدى يعرب » منها في المدي من الزمان والمكان اليعربيين .

احتياز وهي في الخارج من الذات، في غير الذات، عسر وتعميق ومشقة ارتفاع.. لا سعة مرور وإباحة اجتياز (اقرأ «مواكب» للمؤدي)

ليست الحرية نبعاً من الذات.. ولكن تحصيل من غير الذات ..

—واذن ، فليست تصح عندنا المقولة العمرية « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً » اللهم الا في اتجاه القصد من مقدمة المقولة : « متى استعبدتم الناس » . انها ، اذن ، لنفي لعبودية عن المستعبَد الى المستعبِد ، مقولة .. مقولة خصوص .. لنفي النسبة في العبودية .. لا لنفي الاطلاق ..

ان العبودية الاولى (الاصيلة) ليس بوازيها ويكافئها ان تستعبد العبد فأنه عبد من لدنه او الحر فانك لن تستطيع ولن تطيق له استعباداً .. انك لا تستطيع ان تستعبد الا العبد.. هذه مسألة جبر .. لا خيار فيه .. والعبد هو الذي يفتش عن سيد يستعبده .. ولكن ما يرد عليها هو ان تديل من العبودية حيث هي تكون .. وهو ان تحاول بالتعليم ان تغير وتديل ..

انا عبيد .. ، ولن نعرف طعم الحرية .. الا حين اننا عبيد .. اطهار عبودية ..

ان المقولة العمرية ، اذن ، لنفي خصوص من العبودية بالنهي عن الاستعباد ، لا لاثبات الحرية ..

انها مقولة نهي .. لتكون مقولة نفي .. ولعلها من هذا تحض على التحرير.. ولكنها قط لا تصح عن الحرية ..

ان المرء يولد عبداً .. او بعض العبد .. ويمضي في التحرر ..

— فالحرية ، اذن ، بين المرء ونفسه ، في الحياة ، عبارة تحرر ..

وهي ، بين المرء وغيره ، مسألة تعليم وتعلم — فتقرر ..

ومهما يكن من امر ، فليس هذا نطاق كل الحرية .. **لان الحرية لم تسلم قط**

من الجبر .. فهي ليست الا تحت الجزر..

فان تصورتها ليست تحته ، فهي العدم او الفوضى .. ، اي : كانت صفر الحرية او تحت صفرها من الفوضي والضلال والغشم والعماء .. وهي جميعـــاً تحت جزر وزجر ، من استعلاء مطلق الصفر

ان انطلاق كل الحرية هو ان تحمل اعباء كل الجبر .. وان تلتزم شقاء كل الاسر ، فان فعلت فأنت الحر كل الحر ..

هذا مرام الجبر من الحرية وهو كل ما تناله الحرية من الجبر ..

ومن هناك ينفرج لك النطاق الى انطلاق .. حرية امداء .. فتحملك الاعباء لتطفو الى السماء .. وانت المحمول وينقلب المعقول .. فيزل عنك ويطع اليك الشقاء .. ويدنو منك اسماً على المسمى من النعماء .. **والاسر يغدو معبر العمر الى ابد الحرية من مدى ابد المضاء ..**

اذا كانت الحرية بين المرء ونفسه ، في الحياة ، عبارة تحرر ،

فهل يعني هذا انه لا يوجد على الارض محررون ؟ – فأن وجـــدوا فهم لا يستطيعون ولا يقدرون ؟

ان المقولة الثانية : « وهي – الحرية – بين المرء وغيره مسألة تعليم وتعلم – فتقرر » تنفي بعض هذا المعنى – فتسلك حق الحرية في الجبر.. وتنظم وجوب الحرية في الامر ..

– وينقلب المفهوم .. فـــأنت لست ذا حق بالحرية .. وحسب .. ولكنك – انت – مسؤول وموجب عليك ان تنساق في الحرية لتصبح حراً وتؤول .. والحرية اذن وجوب .. فهي ، من بعد ، مآل محتوم ..

إنك ، برغمك ، ستصير حراً .. لان الحرية كالامكان في الوجود ، وكالمعرفة في الجود .. مسألة وجوب ..

قلنا هل تعني المقولة الاولى انه لا يوجد محررون ؟ انها تعني ان المحررين لم يكونوا قط واهبي الحرية .. -اللهم- الا من انهم واهبو المعرفة بالتعليم ..

انهم ، اذن ، معلمون .. يعلمون ما يتأدى به المرء الى التحرر .. فالحرية ..

« خيركم ، خير من يمشي على وجه الارض ، المعلمون .. - فانهم كلما خلق الدين جددوه » (١)

ما اشد اللحمة وما امنع الاحكام بين كل مقولات السماء !

ان التعلم الحق يتضمن التحرر الحق ، لأنه يتضمن تقبل التعليم .. ان ضمنه الايمان والتصديق .. ان المتعلمين صدقا هم الصديقون حقا ..

واما التعلم الآخر .. مع الشك .. - حظ الميتافيزية - والتعلم الادنى في المحور ، ذلك الذي يتضمن :

أ - الانتحال والادعاء والكفران والغشم والاستبداد .

ب - الدول والحال - حظ المادية - فلا يتضمن الاول الا ما رأيت من الوعي وفصيلته .. ، ولا يتضمن الثاني الا نفوذ القضاء فيه ، واقعاً وظاهراً هو العقاب والجزاء ، دون الحق والجبر .. فيثبت الحق ، برغمه ، وينفذ الجبر اذ يشرف من زعمه ، ويجم القضاء عليه بوسمه ووشمه ، وتثبت القيمة في كل الامكان كما ترضى القيمة ، والماديون دون رضوان ، يحاصرهم الحقد والبغضاء والشنآن ..

فانت ترى ، في الحالين ، ان الجبر هو الجبر ، وان القدر هو القدر ، وان القضاء هو الواقع من القدر بالقضاء .. لم يختزم واحداً منها من شيء .. ولكن

---

(١) - حديث

النية ، التي ارادت ان تخترم .. قد اخترمت نفسها .. ولم تخترم الا نفسها .. وصاحبها فانصاع ، على شكل ، وأذعن ، على نحو ، وهو لا يدري انه الاذعان والانصياع .

ان المانع من الحرية الحق ، في الأصل ، مانع في الداخل الانساني ..

لا في الخـــارج .. **والمانع الى زوال ..**

ـ اما المانع من الحرية الباطلة فهو القوامة من الحق ..

هذا المانع باطن .. في الجبر .. ما اقل ما يبدو في الظاهرة والواقع ..

ـ ففي الظاهرة .. ليس ثمة من مانع ، قط ، من الحرية الباطلة .. وان اي مجرم او مستبد او طاغية لتجيبك سلوكيته .. اما التاريخ فكله اجوبة .. وهو مليء بحريات الاخطاء ..

ـ ان المانع من الحرية الباطلة على الارض القمع من حـالي جبر الجزاء .. ، فأن لم تروعها فأنت لا تبصر على الارض فعل السماء .. فـ **« لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض »** ، واحرِ بها ان تفسد .. وان تصير الى فناء ..

فالمعلمون الذين يعلمون ما يتأدى بالناس الى التحرر لا يضمنون ، قط ، التحرر لانهم لا يضمنون التقبل ـ الايمان والتصديق ـ : **« انك لا تهدي من أحببت ، لكن الله »** تحت الجبر في السياق **« يهدي من يشاء »** الى المآل ..

شتان بين التحرر وبين الفعل من التعليم .. ان التحرر بالتعلم .. أي بالتقبل .. والاستجابة ..

ـ ذلك ان التعليم لا يتأدى بك حتما الى التحرر ان لم يلبه التعلم ..

« وقالوا قلوبنا غلف »

كما أن فقدان التعليم لا يتأدى بك حتما الى بقاء العبودية ، لأنه يبقى لك التعلم .. والتعلم ليس طريقه الوحيد مفرد التعليم .. ان له طريقاً خيراً طبيعـــة وأوغل هي : قراءة كتاب المعرفة من كتاب الوجود .

يكفي انك وجدت لتعرف ..

كما انه يكفي انك تعرف لتحرر ..

ـ فان كنت وُجدت بامرك .. فاختر ، ان اسطعت ، غير سياق المعرفة ، ولا نقول ، لنعجزك ، غير سياق الوجود ، وغير سياق التحرر .. شيئاً او حالا او مصيراً او مآلا لم يكتبه الناموس .. واطلل على الناس بالبدع من دون البدع الاول .. او اثننا عنه بمزيد .. او منه بمراغ او مناص او محيد.

٣) ــ النظم الديكتاتورية ــ حكم الطغاة :

الحرية جبر لا ريب فيه .. وهي جماع المسؤولية والاضطلاع .. ، والارتقاء الى الحرية هو الارتقاء الى الاضطلاع والاعباء ..

ان الحرية تتضمن التحرير .. لأنها معرفة ..

وإذن ، فالديكتاتوريات تتضمن ثنائية سلبية :

١ ــ انها تتضمن حتماً عبودية الديكتاتور نفسه الى التعسف والغشم ..

٢ ــ وانها تتضمن حتماً عدم التحرير من عدم القدرة عليه ..

إن عدم التحرير صدى عدم التحرر ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ..

هذا من جانب الديكتاتور .. ، أما من جانب الشعب المسوس بالديكتاتورية ــ فانها تتضمن عبودية الشعب المسوس ، التي هي عدم التحرر من عدم القدرة عليه

ان الشعب « العبد » ينشد الديكتاتور لأنه صدى تطلبه وسداد حاجـــته ، فالمسوسون عندما يكونون غير راغبين في الحرية فالسبب سلبي .. ولا ضرورة لوجود سبب لعدم الرغبة في الحرية .. فالأصل هو عدم الرغبة ..

ان الديكتاتوريات ، قديمة وحديثة ، تعبر عن احتياجات المسوسين الى ان يكونوا مسوسين غير مسؤولين ..

فالديكتاتورية، في نفسها، ليست اكثر من تعبير عملي عن الواقع العبد (الواقع من العبودية) سواء للديكتاتور او للشعب العبد ..

وهي متعدية ، بالتبادل ، ــ ليست اكثر من تعبير عملي عن واقع العبودية التي تكره الشعب على العبودية ..

ولما كانت النظم الجماعية تعبر بالسلوكية عن شعب على تسلسل العبوديات ، كان طبيعياً عند الشعب الذي ارتضى تسلسلها أن يستجيب الى الديكتاتور كمنقذ.. (او ان يستجيب رجل الى الشعب العبد) وفي لغة الصدق ، انه يكون منقذاً لأنه يحقق الصدى للصوت الصادر من حناجر العبودية ..

إن الديكتاتورية ، إذ هي استجابـــة ، تعبر بصدق عن الواقع الراهن من العبودية بالارتضاء العام ..

ولكن حكم الطغيان فترة انتقال .. لا ريب في انه انتقال ..

وهذه الفترة من الانتقال تعبر ابداً بالرفض عن فساد التطبيقية للتعليمية وعن فساد الشرائع الموضوعة وقصرهـــا وعن اختلال النظم والانتظـــام .. فهي عبارة اعتراض ..

إن الديكتاتورية اذ تحاول الجدة لا تظفر من الطغيان الا بوهم من العفو المصوغ امراً من الخطأ او الانتحال .. امراً يومياً هو الآخر.. وتشريعاً كيفياً.. متقلباً .. ديالكتيكياً .. هو الاستبداد .. او هو عبارة ذات الفرد الطاغية وجملة « نفسيته» المتقلبة على الايام ، تتقاذفها المفاهيم والأهواء والأوهام .. من مظان العظمة وروغان « الأنا » في الاحلام ..

اذا اتفق ان يكون الديكتاتور عادلا .. لم يكن طاغية ولم يحسب ديكتاتوراً، ولم يكن حكمه استبداداً .. لانه لا يحكم ساكتاً .. بل يكون هو المتكلم .. وهمته ان يعلم الحرية دون ان يقتضي العبودية من احد ..

انه يعطي ولا يأخذ .. ذاك بانه غني حقاً .. وهو ، بأنه غني ، في قلب الحاجة ان يعطي .. نفس الحاجة التي عند قومه ان يأخذوا ..

• • •

كنا قسمنا البحث الى الوعي والشك البشري .. وتحدثنا طويلاً عن الوعي.. فما هي نشأته ..

ان منشأ الوعي وهذه الحصولية .. واضح مفهوم ..

هذه الحصولية نشأة عن القسم الاول الذي هو المثاليـة في الاصل .. وهي الناشئة عن الشك .. وقد أخرناه في الترتيب ليتاح لنا درسه على ضوء دراستنا « الوعي » وحصوليته .. وأعطيناه باثية أبجد بدلاً من ألفها ..

ب — الشك البشري

لسنا نريد الآن ، أن نسطع على الشك من منشأه الى منقضاه .. ولسنا نريد ان نتعمق في عرفانه ، كما تضبطه المادية الروحية .. ، بحض اننا ، الآن ، لسنا بصدد تفصيله منبثقاً واندفاقاً ومسيرة وتشعباً .. اي لاننا لسنا بصدد الكلية من الشك ، في هذا الكتاب .

تكفينا عنه ، الآن ، لمعات من السطع ، وتكفينا رؤية بعض وقوعيته وعمله ..

أ) الشك البشري بحسب الظاهر :

١ — اختلال النية بصدد الايمان (التصديق) . تكفي هذه النشأة الآن ..

٢ — وهو هجران العفو .. ليس العفو هو المهجور .. فأنه هو الهاجر .. (والهجر نسبي) وهجران العفو يتضمن استمراره أمامك .. وانت خلفه .. مع انه في الايمانية ، يكون خلف المؤمن يسوقه ويدفعه .. ولذلك يتساوق المؤمن ويتحد — اخيراً — مع القيمة بعفويتها .. ويرتفع الى السماء الشاهقة فوق القانونية التي هي الانضباط الكوني وهو الذي يعتلي منبر القدر .. نافذاً بالقضاء ..

ففي المثالية يستمر العفو امام المثالية .. وهي خلفه .. ولكن العفو يساور المثالية من لمحات البدائه والايمانيات ..

وفي المادية تكون العفوية عبارة صدور عن إشباع لا عن ابتداع .. وفي علاقتها بالقيمة .. فان علاقتها بها تكون بالمداورة من القيمة رشحاً من المثاليات ..

ب) والشك البشري ، بطبقة تحت الظاهر في الاصل ، وفي الشكل :

١ — هو تلوم الجهالة الانسانية إذ هي في حضن الاحاطة والحصار من القيمة والعرفان ..

٢ — وهو ما يؤلف الخطوة الاولى الى الوعي غب كل عفو من التعليم او التعلم ..

الشك ضرورة ، ضرورة كفاية ، في النوع ، وليس هو ضرورة ، ضرورة عين ، في افراد النوع .. سيما في منحدر هرمه وقاعدته .. (هذا لا يعني انعدام

الشك .. فلهذا تفصيل ..)

– وهذه الضرورة قدرية تنتظم فيما ينظمها من القانونية الرائعة والانضباط الكوني..

والغاية منه (من الشك) الوعي .. الوعي الذي هو بعض الثبات لبعض العفو من القيمة في المادة النوعية (١)

• • •

إن الشك البشري يؤلف الخطوة الاولى التي هي خطوة الانفصال عن التعليم، بعد كل جزئية من التعلم ..

– وهو مبدأ الخطوة الاولى الانحرافية عن التصديق في المثاليات .. فلنفهم الشك وعمله، في كتاب المعرفة ، بعض الفهم لنستطيع ان نفهمه كل الفهم في كتاب الوجود :

إذا بودهت بمبلغ من المال، عطاءاً .. ، فأنت بحاجة الى استصحابه ومواساته والنظر فيه وبعض التصرف .. ضعفاً منك وقوة منه .. لانك به اصبحت غيرك من قبله وبدونه ..

ان قصة الطبيب خير قصة تضرب مثلاً ..

• • •

قصـــة شائعـــة

علم أصدقاء رجل من المنعَمين ، من توّهم ، انه ربح الجائزة الاولى بنتيجـــة الاقتراع .. وكان مبلغ الجائزة من الضخامة بحيث يقترح الخشية على عقله ..

وكان بين هؤلاء الاصدقاء طبيب بارع في طبـــه للغير .. فكفل للزمرة من اصدقاء الرابح ان يتدرج في اخباره ، حتى لا تفعل فيه صدمة الفجأة .

ثم احتال في لقاء الرجل بحيث يبدو اللقاء لقاء صدفة ، واحتال في الحديث وفي تصريفه، بحيث تبدو الاحاديث امتداداً وتداعياً لاقصد وراءها ولا تصريف ..

---

(١) – وهذا بحث له أهمائه .

ـقال الطبيب بعد جهد من احتياله : لو انك ربحت الجائزة الدنيا ، أتراك تأسى وتحزن ؟ لكأني بك وقد انفقت اضعافها في شراء الارقام طيلة سنين..

ثم قال الطبيب : لعلك ان ربحت الجائزة الرابعة معتاض عن ما سلف من الخسار .. فلا عليك من وجوب .. ولكن ان كانت الثالثة فمـــا اراك الا مولماً لاصدقائك .. فما يخليك حقهم عليك و كفاء سرورهم لك ..

ـ ولكن ما عساك تصنع لو ربحت الثانية ؟! لا استكثرها عليك .. ولكن فقري لا يتخيل دعابتها ..

قال الرجل : أصنع كيت وكيت.. وما يحق لي ان اخليك من حظ فيها فلك الربع .. غير تكاليف الوليمة ..

فاصفر الطبيب وأخلاه دمه .. ثم أنقذه الشك في صدق صديقه .. والكلام كثير .. فاستحضر واسترجع..

قال الطبيب في غصة من حلقه لاهثة بالسؤال : فأن كانت الاولى ؟!

قال الرجل ابتداراً : النصف لك حلال .. ثم اردف .. لم اتعب فيه فهو نذر النصف الآخر ..

غام الطبيب ودوم .. واسعفـــه الشك والتشاؤم .. كرة اخرى ، بعض الاسعاف .. ونبس غيم الطبيب من جبيرة الاسعاف : لئن كان نذراً ، وانـــا مبخوت .. ،فما احراك ، على نيتي ، ان تثبت حظك وتؤكد لك ، على بختي ، النصف وتبايعني .. وتثبت نذرك شركة سابقة لازمة موثقة ..

قام الرجل من فوره واستحضر ورقة كتب عليها المبايعة ووقعها ..وامتدت يده بها الى الطبيب ..

.. ظل الطبيب هنيهة يجحظ .. ثم استحال الجحوظ الى عقله.. الذي استحال توقيعاً ، لا مبلغاً .. واتم الطبيب سفره في غربة التوقيع .. ولم يعد قط منها الى المبلغ .. المبلغ الذي هو النصف المحرز افتراحاً وبمحض التوقيع .. ـ لانه ظل افتراحاً صرفاً .. لم يتقنن ، بالقبض ، التقنين الذي يفتقر الى العقل لا الى التوقيع ،

اوّل ما يفتقر .. ، لقد جن الطبيب ..

• • •

مصير الطبيب !! ذلك مصير « القفزة والفجاءة والسرعة » .. انه المصير تحت دراك العفو بلا تدرج ومن غير تعقيب وعي .. كل ما لا يلحقه الوعي جنون على الانسان (١) او شبه الجنون او عتبة اليه .. والعفو المستمر في التلم بدون الوعي (توأم المثنى) غربة سفر في غربة القيمة والعرفان.. لن يعود منها الانسان قط الا وهو غير الانسان ..

اذا بودهت بمبلغ من المال عطاءاً .. فأنت في جد الحاجة الى استصحابه ومواساته والنظر فيه وبعض التصرف .. ضعفاً منك وقوة منه ، لانك به اصبحت غيرك من قبله وبدونه ..

– فما القول ، ان كان العطاء مبلغاً من القيمة ، وزنة ، أي زنة ، من العرفان ، وثقلاً ، كل ثقل ، من أقوم التعليم قيلاً وتقويماً ؟!

ليس جنون الطبيب بحاجة الى تفصيل .. لأنه هو عبارة اختزال للجملة من نصف الجائزة .. لو حل محله هون التفصيل للجملة – كما كان الطبيب يريد ان يفعل الوعي فعلاً ، طباً لغيره ، بالمراحل من التفصيل .. – لحق له ، هو ، الوعي وتبجيح بالنصف من الجائزة ..

هذه هي حكاية المعرفة والجبر (جبر القيمة) الذي شرع التدرج فيها .. ضرورة حكاية .. ومد قصة .. تنثني فيها المروءة الانسانية (ما هو المرء الانسان) الى ثبات بالقيمة هو ثبات القيمة لا الانسان..في غير تزعزع هو اطراف الجنون.. وينكفىء عفو القيمة ، بالوعي ، على الانسان ، محتملاً في ثقل نوبه ، لتنكفىء القيمة ، ثباتاً منها ، ثباتاً في الانسان ، هو ما هي القيمة .. لا الانسان ..

لقد كان الشك ، اذن ، رحمة من القيمة بالانسان .. ولكنه رحمة جبر

(١) ينهي انسانيته الى غير منها .. وهو على غير الانسان ينهي الواقعية الى غير منها شكلاً او حالا او هوية .. – أنظر البحوث الطبيعية المقبلة في « كتاب الوجود »

معطية لا سالبة، ورحمة فعل لا ترك .. اذ هو – الشك – في رحمة القيمة ،طبيعة تعطي الانسان ، من بعد ، القيمة ، جبرَ عطاء ، فيلتزم الأخذ ، جبرَ أخذ .. ، سائغين بالرحمة ..

ولكنه ، في رحمة القيمة ، بوجهه الذي نحو الانسان ، طبيعة ، وبوجهه الآخر، اسعاف ومعونة من القيمة تتحمل بها ذاتها وثقل ثباتها ، ولكن في الانسان .. وتؤكد بهما كلا من الذات والثبات .. فتعطي لحدوث الانسان ، على الوقوع ، معنى القدم والخلود .. مزاج معنيين منجمين مقسطين على الطاقة .. لمعنى واحد ، لا قبل للطاقة به ، هو الثبات ..

ما اكثر مداخل القيمة الى الانسان .. وما هو الا مداخل القيمة .. وماهو الا المخرج والمنقضى لغير القيمة .. جبر مداخل .. عضوية وفيسيولوجية اعضاء وتركيب .. واجتماعية .. وعناء اتجاه ..

من عُرف بالقيمة ، فقد عاش بها بعد موته .. لا لشيء .. الا أجراً منها ان استأجرته .. وصنعته .. ونفذت منه ..

ومن لم يعرف بالقيمة فلا حياة له ، حتى وهو حي .. ، الا بأرث نوعي قد سبق اليه من القيمة .. به وحده استحق حياته ..

• • •

لقد كان الرابح يقارف المال ، اذ هو كثرة ، وعي مقارفة .. فهو من الواعين فيه .. ولم يكن يفتقر الى الطبيب .. فلو كان في خطر من كل المبلغ ، فقد انقذه حظه من العفو بعفو التخلي عن نصفه بالنذر ..

اما الطبيب فمقارفته المال ، اذ هو قلة ، وعي مقارفة كذاك .. ولكنه لم يقارف المال ، قط ، اذ هو كثرة .. ، الا بعفو من التمني الذي يخالطه الوعي على عدم الحصول او امتناع الوصول ..

– فلا قبل للطبيب، بالعفو الذي بادره من الرابح .. فأذا جن فحق الجنون .. الذي هو حق ثقل القيمة على الانسان .. ، فلقد راح العفو ، الذي على النوع

نصفاً ، كلا عليه وحده فرداً .. واستقبله ، فجأة استقبالٍ ، نصف المبلغ كلا عليه لا نصفاً ..

هذه حكمة التقدير من وقوعية الشك .. ضرورة في النوع لا افراداً من النوع .. على انه مما لا ريب فيه ان بعضية الشك المخففة لا تخلي حتى العفو الذي يمس النبوة .. ولكن اللطف فيها يلحقها بالعفو إلحاقَ اصالة هي وحدة تعليم .. « ما ودعك ربك وما قلى(١) » فيكون الايمان والتصديق طبيعة بلا دخل .. ويروح الوعي عند النبوة والايمانية والصديقية وعياً على جهالة الغير ومواساة له.. وعرضاً له على القيمة انتقاداً له هو عبارة عن عرض الغيرية المتخلفة على الذات المتقدمة .. فيكون النبي والصديق والمؤمن المخلص .. مرحّباً بعرفانه،وموسعاً بتفاهيمه عن الجهالة ونحائز الشر عند الغير .. هـذا هو وعيه .. فهم المثالب وادراك السلب ..

وليس يعني ما تقدم ، ان النبي ، أي نبي ، لم يعرف الشك قبل « البعثة » او تركز النبوة .. لان النبوة ليست فجـاءة نبوة .. وقفزة هبوطٍ وتنزل .. ولكن تدرج ومساورة – سبقهما حق صناعة وكمال استعداد..« ولتصنع على عيني» – بالتعليم حتى يؤمن النبي .. وحتى ينتهي من كبريات عقبات الذات .. ليتفرغ الى عقبات المجتمع ..

كل هذا مقصود العمد من القيمة .. لان النبي اضطلاع بعبء الحق المغيب.. يسبق عن الناس ، وقبل أن يصبح مشهوداً بالتعليم .. فهو – أي النبي – هو الذي يعلم الناس الحق تعليماً .. وبعبارة مادية هو محو مضاعفات الكم من الجهالة بالسعة من العرفان ..

---

(١) كانت تعطى للنبي فترة راحة .. ليعي العفو .. حتى كان يخيل اليه ان القدرة رجعت عن اصطفائه نبياً .. وقد نزلت هذه الآية نحو هذا التخيل .. حتى النبي .. يكون طفلا تحت مس العفو السخي .. من القيمة .. حتى يعي ..

شريعة الحب شريعة السلام والخصب

مقامات القمة وشرائع القسمة

ان الاسلوب الذي وازاه الثعلب بكر الاساليب .. وقد تعلمه الفريقان ..

– فمن منهما يستطيع ان ينفرد بمقام الثعلب ؟!

هذا وضع المسألة من بعد ..

– وليس هذا الوضع حال استهانة بالمقام .. انه تعلم عليه ، واعتراف بوحدانيته .. فعفو التزام .. فانتظام أسر في احد المصاير لا شرود ولا فكاك ..

غير ان اتجاه النية يحول في انطلاقه التعلم انتحالا والعطاء غصباً .. فيحول التعلم بحوله شقاءاً ووبالا .. عقوبة تحول .. كفاءاً وجزاءاً فتحول عقوبة .. تعلماً هو هو ، التعلم ، ولكن من العقوبة .. « ولكم في القصاص حياة ..» حياة كل .. أي تعليم كل ..

هذا وضع المسألة (مسألة المعرفة) من بعد ..

ان الوسيلة الوحيدة للقسمة (١) .. – لقسمة أي شيء – هذا النوع من القسمة .. هي مقام الثعلب .. – القمة من الحكم ..

.. وبعد .. أهي وسيلة ؟! أهي وسيلة قسمة ، أم غاية استيلاء ؟!

– هكذا عاف الفريقان « الجبنة » .. وتطور موضوع الخلاف والنزاع تطوراً ديالكتيكياً معكوساً في الغاية والوسيلة : –

فالشرائع الموضوعة لنظم المجتمع .. ، كلها ، بلا استثناء – ان خرجت عن عن الشريعة الالهية .. كانت هي ، اشتراع الخطأ .. وسنه .. ، وان انتحلت

---

(١) – لقد لاحظ القارىء بلا ريب ان فكرة القسمة فكرة بشرية .. وهي خطـأ بشري .. ولذلك لم يقسم الثعلب .. انا بحاجة للجمع والضرب .. « للخصب .. » وللاخذ من العطاء الحق .. باستمرار .. لا للقسمة .. ولكن النوع البشري لا يقدر .. ولقد لاحظ القارىء ان مقام الثعلب الذي تنتهي اليه الغايات .. انقلب محض وسيلة .. تروح على المفاهيم الخاطئة .. وانتحال العرفان ..

الشريعة الالهية نفسها راح الخطأ في الوضع من الانتحال .. ومن الافتئات ، والانتصاب في مقام الشارع .. لأن وضع الشريعة ، لا الشريعة في الاصل ، هو الخطأ .. اذ الشريعة عرفان يتنزل وتعليم مفروض .. لا يوضع وضعاً .. ،ومنذ ينتحل ليوضع ، تبدأ مضاعفات الخطأ ..

أنظر الاغلال التي تتقيد بها الحقوق المرضوعة تعاريف وتصاريف .. تجد حقوقاً مسيخة هي عبارة عن الجهالة والبغضاء .. والشح والتكالب والشحناء ..

ان الحق الذي هو كبر واطلاق يعود بها –بالاغلال– صغراً وقيداً وحصراً .. لا خير فيه الا من اختزامه .. ووشك انهدامه ..

خذ شريعة الحب ، النازلة حباً في التعليم .. وتعليماً في الحب ، شريعة عموم وعموم شريعة .. لا يدخلها قط اشتراع .. ولا يأتيها وضع .. ولا تعرف بتعريف .. – فهي المعرّفة كل شيء في الحياة .. وهي المعلمة ابداً ان الاخوة بالمسيح ،ليست أخوة تساوي الاخوة .. إنصاف مساواة .. ولكنها بالمسيح اخوة .. تعلّم الاخوة .. تعطيها ولا تأخذ منها .. تجمع لها .. ولا تقاسمها .. أخوة الايثار والتضحية والفداء .. هي بالمسيح التجاوز والسماح والغفران .. ديالكتيك خيّر ! أين من يدلني على انتهاء له او انقضاء ؟! أهذه أخوة تعلمها الاخوة .. أم هي تبتدع الاخوة مرة اخرى بالتعليم .. – كما ابتدعت مرة بالوجود – .. اتساع أخوة بالمعلم .. – كما اتسعت ، من قبل ، بالخالق – وإطلاقاً للاخوة بالتعليم ..

أليس هذا هو الانضباط ، في المسيحية ، بلا ميزان ولا عدل ولا قسطاس قضاء .. ، – هو هذا الذي توهمه ضعفاء الفهم من المسيحيين والمسلمين انه فقر شريعة .. –

أليست هذه ، أن استقام فيها الانسان .. ، هي سماؤه التي هي اليه تهبط من غير عناء ارتقاء ..؟ أليست هذه هي المشيئة والملكوت اللذين في السماء ينحدران الى ذات الارض ؟!

أجل كانت المعرفة تعليماً يتنزل .. وقيماً مفروضة .. وهذا هو التعليم المثنى

الذي يتضمن العرفان والحكم معاً .. التعليم المنزل يؤيـــده جبر السماء الذي في العرفان ؟..

وبعد ، أهذه الشريعة .. تبحث القسمة والعدل .. أم تعلم العطاء والبذل ؟

اما الشرائع الموضوعة لنظم المجتمع .. فهي تبحث قسط القسمة ومقامـــات القسمة والقاسطين .. – لكي لا يكون على الجبنة نزاع ..

والموضوعة لهم الشرائع .. يحاولون ان يحذقوا فهم هذه الشرائع ، كما صار اليه امرها ، – لا لسبق جهالة بالروح التي يجب ان تمتد طول وراء هذه الشرائع.. ولا لأن الشرائع لم تكن قبل وضعها ..ولم تنتزل..واحدة"..شريعة ثبات وبقاء.. ولكن للارتقاء الى قمة الحكم .. او احدى قممه ..

(لقد اصبح التعليم حكماً .. والمدرسة الدنيا – محكمة .. فعلى ديالكتيك القدر اذن .. أي على الثعلبية .. ان تقمع كل هذا الشر ..) وهو قط مـــا لا علاقة له بالقسمة ولا الطرح.. فعلاقته بالجمع والضرب كذاك..في الجبنة والجبانين..

لقد تحول المنطق .. لا بد من جبن للقسمة .. تلك القسمة .. ولا بـــد من متنازعين يجهلون .. لا يفرقون بين حقيقة القسمة التي هي شمول غطاء الحق..الذي لا ينقضي .. وبين الظاهر من القسمة ، الذي هو واقع السرقة والانتحال ..تحت قناع النية السوداء ..

اما الجبر فقال : هو اختيارهم .. فليمرحوا فيه .. ونزيدهم .. فنمد لهم فيه مداً .. ليدينوا انفسهم .. ، وبشريعتهم ، من القتل والبغضاء ..

لقد ارادوها سلطاناً وقسمة .. فلتكن لهم القسمة والسلطان .. والميزان .. تقسمهم وتفرقهم .. ذلك بانهم تركوا العطاء والعرفان

لقد بقي الثعلب رئاءً عن الديان ..

ولقد بقيت القسمة وانتصب الميزان .. على الامكان ..

جل التقدير عن كل هذا الرثاء من العيان ..

لو أنابوا .. لأعطى بغير حساب او ميزان ..

آلام السياق — هبوط الطريق

فقهاء القسمة — الابليسية

ان فريقاً كبيراً من المتنازعين ، ومن ورثتهم ، من الذين كانوا ينشدون القاسم .. تحولوا الى فقهاء في القسمة .. وعـــادوا وليس بينهم من نزاع على القسمة .. لأن النزاع أصبح على مقام القاسم .. ولذلك استحـــال الوصول .. وغرقت البشرية من التاريخ في المعمعان من الحصول ..

لقد راحوا يوهمون انضباط الميزان .. ليكونوا هم ، على الارض ، القدر الذي تنحدر منه الكفتان .. ويعينوا الخفة والرجحان ..

١ — اما الظاهر من الفقه (فقه القسمة) فهو القسط (العدالة) ، ولكن هذا الظاهر نفسه ليظل فقهاً قال بانها (العدالة) أصعب الاشياء ..

٢ — واما الباطن من الفقه فليس فقه القسمة .. لأن مقام الثعلب لم يقسم كما علمت وعلموا .. ، وبعد ، لم يكن ، اذن ، فقه العدالة .. وانما فقه الاستيلاء .. وحكم الغريزة العمياء ..

تلك الصعوبة من ظاهر الفقه طلع هذا الباطن من فقه العماء !!

١ — ولقد اشتغل بالظاهر من الفقه طبقة لا تصل القمة من المقام .

٢ — واشتغل بالباطن من الفقه مسرحيون يتقنون كل الادوار ..

وهؤلاء .. اما انهم في مقام الثعلب ، أوهم شركاء بأسهم في المقام ..

هذا ، مع الاسى منا ، ما صارت اليه الحـــال في السياق .. لكي تستحيل الوحدة الى المآل ..

اما الحق فيقول : الارض محكومة مذ كانت الارض .. ولمـــا ان انبتت

الناس .. رزقوا ان يتدبروا على خير نهج .. فأبوا ، الا قليلاً منهم ، الا السرقة والجريمة .. والجريمة تلد الجريمة .. وتلد لها أخاً يكفلها هو الفقه ..

(راقب الفقه الابليسي .. – على مد قيس الانسان)

والسرقة هي التي اعادت الامر الى القاضي .. والقاضي باطن لا يظهر – لان ظهوره هو الاكتفاء والانسجام .. – الا عند الاخلال .. اما في استمرار الثبات من الحق فوجوده ظاهر بالاكتفاء والانسجام .. اما هو ، ذاته ، – كل البحر – فكيف يظهر لصغار السمك او الحيتان ..

لا بد ، اذن ، من تدخل القاضي .. ولا بد من ان يعمل بطريقة عريقة .. تزداد غيباً وخفاءاً ، وبالظاهرة ، كلما ازداد النزاع والمتنازعون .. والاصرار والمصرون ..

– وعندما صار النزاع على مقام الثعلب .. عمد القاضي ، من التقدير والتدبير ، الى قمة اخرى وقانونية اعلى .. فاودع بعض القدرة في الفرقاء .. فاستعملاها .. ، تحت توائي الاستعلاء .. سيفاً مصلتاً على الفرقاء ..

وإذ كانت تربية السيف ليست الا وازع السلطان .. لا التعليم ولا وازع الرحمان أو القرآن .. فقد راح الهم .. هم السلطان .. وراح التغلب هو الوصول والنشدان ..

والتغلب ، انما يقع في وهم الفرقاء .. لا في الحقيقة ولا الحدثان .. فما يتغلب فريق الا ليخلفه في التغلب فريق .. فحبطوا وحبطت الطريق .. وهكذا يضرب الباطل الباطل بأمر الحق .. وقدر الصدق .. من أزل السبق ..

هكذا تعمل القيمة من الغيب ، فوق الطبيعة والانسان ، أو ، في التعبير الفلسفي ، « بصورة ميتافيزية » ، وليست مقولة انجلس : «ان الطبيعة ، في النتيجة ، تعمل بصورة ديالكتيكية لا بصورة ميتافيزية » الا عبارة النظر من خلف القناع ..

وحـدة تحـرك !!

لقد فتحت الطريق بالكشف عن القانونية في شتى نواحي المعرفة .. ولكننا لم نمض في كثير من الشعاب .. ، ولا بد من ان يكون التعبيـــد .. من اغراض « المدى ».. وسيكون من هم السادة اليعربيين ان يتناولوا في « نظمهم » تعبيد الكثرة من الشعاب

– وما اكثر ما يكون من همهم ان يعبدوا الطرق لينتهوا الى انسدادها .. من حيث هي طرق تُسلك .. لا الى انفتاحها .. لان الانفتاح مسألة من مسائل الجبر .. ، ذلك ان انفتاح الطريق .. – كل طريق – مسألة اقتضاء من الجبر .. وان كل طريق .. ، لا بد ، متصل بوحدة الطريق ..

ولذلك كان على اخواني السادة ان يعبدوا الطريق .. ثم يشيروا الى منفـــذ انفتاحه .. على شرع الطريق وحق الطريق .. ولكن بعد طول الطريق وشقاء الطريق .. وما عليهم بعد .. الا ان يسدوا .. ويضعوا اللوافت من المعرفـة .. اللوافت التي تشير الى عقم الطريق .. والى ان حرية السلوك .. حرية خطـــأ السلوك ..

ان العقم يكون في « الكم » من الطرق .. لا في « الهم » من التعبيـــد .. إنها لتضحيات .. ولكنهم ، وهم السادة ، واجبـة عليهم من الجبر .. كما يجب – بالاستجابة للجبر – من القلب الحق الحر ..

إنهم ، ليكونوا .. ولا كوْن بلا تضحيه .. وليس الفوز قـــاصراً على الفوز بالطريق .. كل الطريق .. ولكن الفوز يعم الفوز بعقم الطريق .. والمعلمة بعـد المجهلة من الطريق . المعلمة عن الطريق ، انها القفر وصحراء الطريق ..

الفهرس

١ رسم المؤدي
٢ رسم المهدى اليه
٣ كلمة الاهداء موسومة بحروف الاسم (سعيد)
٤ المقدمة (مؤبجدة من أ – ع)
٥ كتاب المعرفة عنوان

صفحة

١ الماديتان (المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية)
٧ الميتافيزية والمعرفة
١١ الديالكتيك والمعرفة (قيس العرفان)
١٥ منتفى الدول المادي
٢٠ ألوهة اخرى (شريعة البغضاء – المذهبية المادية طلاء انخداع)
٢٧ جبر المعرفة (المادية تستحل برزخ المتاب الهيغلي)
٣٠ أحابيل الجبر (صيد القيمة)
٣٧ دول الجهالة (وضوح الجبر – مقولات السماء)
٤٤ رياضية حصار المعرفة
أحدية الجبر – قدر القيمة السابق قضاء لاحق ، الرضوان عن المدوعن الجبر ، ما هو الغيب وما هو الشهود
٥١ سياق المآل (الحول والطول)
٦٠ شدة العفو الماركسي والمغالطة الزمانية (الانقلابية الماركسية ومولد المذهبية الخاطئة)
٦٧ غشم الدول والتاريخية وسبق الناموس (المادية الاولى الديالكتيكية منتفى الثانية)
٨١ توأم التثنية – الديالكتيكية
٩٢ المادية الديالكتيكية (توأم التثنية الثاني – أو مادية الديالكتيك)
٩٧ التراثي (الشعور والتقبل)
١٠٥ قانون التراثي (الظاهر والباطن)
١١٠ الرجعى (الحال ما كانت عليه الحال)
١١٥ الحقوق الممنوعة (أ – الحنين الى الرجعى)
١١٦ طبيعة التصعيد عن الاساس المادي
١٢٢ الحقوق الممنوعة (ب – دعوى محال)
١٢٣ المادية استحالة مؤكدة
١٢٨ الصفر المادي (الرفض الفلسفي أو عدم الذات)

صفحة

١٣٢ التصعيد (الجبر في السياق ـ الى المآل)

١٣٨ التطبيق (خطأ التصعيد المادي واتساع الهوة)

١٤٣ النشدان (نشدان الحل ـ والحل سابق باق تكذيب الـ ـ أنا ـ بفعلها والسلوك)

١٤٩ مواليد الضلال صفر الذات

١٥١ سلب الجبر وإيجابه (نسبة انتفاء الحق ـ منتفى الحق أو الاشاحة عن الباطل .. الانعدام ..

١٥٤ تمكن القيمة واحداقها ـ عمود الحق الحق ابداً في قيامة ، شفافيته من وراء (الظاهرة) الباطل

١٥٩ أيد القيمة (دستور الحصولية)

كتاب التسمية { بين المعرفة والوجود .. الميزان

١٦٢ الميزان (والغيب والعيان)

١٦٧ الدينونة (الحق اضطرار، والباطل اختيار)

صفحة

١٧١ القضاء والقدر (الواقع من القضاء ـ تواقيع القدر)

١٧٢ أ ـ الوعي وفصيلته، العدل اقتدار

١٧٧ معرفة الحق ـ طاعة في السلوك ـ الحق في القضاء

١ ـ الوعي في الاسلام

١٧٨ عمر

١٧٩ علي

١٨١ عود الى عمر

١٨٥ عوده الى علي

٢ ـ الوعي الانكليزي

١٨٦ أ ـ العدالة ـ التشريع والقضاء

١٩٢ ب ـ الحرية ـ

١٩٩ ٣ ـ النظم الديكتاتورية

٢٠١ ب ـ الشك البشري

٢٠٧ شريعة الحب

٢١٠ آلام السياق

٢١٢ وحدة تحرك

كنا وعدنا ، في هامش الصحيفة (٧) ان نذكر بعض مقولات ستالن من التي لم نتعامل معها في هذا الكتاب ، وقد ضاق عنها المقام فنعتذر .

أخرج هذا الكتاب بنفقة صديق المؤدي :

المحامي اديب الحسني

صاحب

مطابع الحسيني

بيروت - المصرض تلفون ٨٤-٢٩

وقد تم طبعه

في ٩ كانون الاول عام ١٩٤٨

مدى يعرب

أ ـ العرب يصبحون امة

(العرب في سياق المآل الى المجتمع الواحد)

١ – قيادة العرب الى المآل وتوجيه مراقبهم الى تنافع اجتماعي مادي وروحي ، وواقع مصلحي تام ، لتمام الوجدان القومي .

٢ – دفع التراث العربي في الطارف الى مؤدى قومي لانبثاق روحي وانبعاث حيوي

٣ – كل شعب عربي مسؤول عن كيانه وتقدمه كما هو مسؤل امام الامة عن مسيره في سياق المآل.

ب ـ مدى المجتمع الواحد

١ – المنفيات : ينفي المجتمع الواحد، في الحال او في سياق المآل ، من وجدانه :العصبيات العنصرية والاقليمية والطائفية والطبقية ، وينفي من كيانه الاواصر العائلية والحزبية التكتلية ، ويهدم الانقطاعية ، ويحول دون الاستقطاب الرأسمالي .

وينفي المجتمع الواحد الفاقة والجهل والخوف والبغضاء والبطالة والاضطهاد .

٢– المثبتات : يثبت المجتمع الواحد ، في الحال او في سياق المآل، المواهب ، يحرسها ويخدمها ويمجدها .

يحرر المجتمع الواحد كل فضاء قومي وافق قومي .

(التسوية الاجتماعية قدر مؤكد)

(وهي مؤدي الواقع في سياق المآل)

يقاد الضعف ، والضعف الاخلاقي والروحي الى قوة .. صلاح وترقيـــة ، ويحل الفن مشاكل الحاجة ودوافع الجريمة ويؤ من العدل الاجتماعي، ويفسح للحريات العادلة، ويحمي مطلق الفكر والتفلسف.

ج – مدى يعرب

١ – لا يضغط الروح العربي ولا يسوده تحكم جائر

٢ – العرب يصبحون امة .. امة لتكون لا لتعادي .

٣ – العرب ، كما ليكونوا ، رسالة الى غيرهم .

هذه الارادات السابقة تؤلف واقع الامة المقبل ، وليس في الواقع الحاضر ما يزعزع هذه الارادات، كما انه لن يكون في المستقبل ما يزعزعها .

[redacted]
مراد ،عبد الحكيم
جبر القيمة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01001055